التسهيل لتأويل التنزيل

تفسير

جزء تبارك

في سؤال وجواب

تأليف
أبي عبد الله مصطفى بن العدوي

مكتبة مكة




تفسير جزء تبارك





الطبعة الأولى

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠٠٢/١٨٥٨٨

الناشر

مكتبة مكة

طنطا ت: ٠٤٠٣٣٤٥٧٤٥ - ٠١٢٣٢٤٨٩٨٥٣

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد للَّه نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده اللَّه فلامضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ .

[آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ .

[الأحزاب: ٧٠، ٧١]

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب اللَّه، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

فبين أيدينا تفسير جزء تبارك في صورة السؤال والجواب من عملنا

الموسوم بـ(التسهيل لتأويل التنزيل)، وهو تفسير القرآن في صورة السؤال والجواب، وقد صدر منه للآن ـ ولله الحمد ـ اثنا عشر مجلداً تشمل سور: الفاتحة، والبقرة، وآل عمران، والنساء، ويوسف، والنور، والقصص، والحجرات، وجزء عمّ.

وبالنسبة لخطة عملي فيه فقد قدمتها في الأجزاء الأُول، فاللَّه أسأل أن ينفعنا بها والمسلمين، وأن يجعل ذلك حجةً لنا لا علينا إن ربي سميع قريب.

أما بالنسبة لهذا الجزء المبارك (جزء تبارك) ومحتواه على وجه السرعة والاختصار والإيجاز فقد صُدِّر هذا الجزء المبارك بتمجيد اللّه عز وجل، والثناء عليه، فاللَّه سبحانه أهل الثناء والمجد، ثم أتبع ذلك ببيان قدرة اللَّه على الخلق والإيجاد، وبيان الحكمة من الخلق، وبيان ما أُعد للمطيعين المتقين، وكذلك ما وُعد به العصاة الظالمون، وما أُعد لهم من عذاب السعير، مع لفت النظر إلى آيات اللَّه عزَّ وجل في الكون، ثم ثناء اللَّه عز وجل على نبيه الكريم محمد عليه أفضل صلاة وأتم تسليم، مع بيان عموم رسالته للإنس والجن وإيضاح موقف الجن من القرآن، وحث هذا النبي الكريم على الدعوة إلى اللَّه عز وجل، وبيان ما ينبغي أن يتسلح به الدعاةُ إلى اللَّه عز وجل من الصبر والصلاة، وحسن الخلق، وتحذيرات متكررة من طاعة المشركين، كما قال تعالى: ﴿**فلا تطع المكذبين**﴾، وكما قال: ﴿**فلا تطع كل حلاف مهين**﴾، وكما قال تعالى: ﴿**ولا تطع منهم آثما أو كفورا**﴾.

وحمل هذا الجزءالمبارك أيضًا تهديداً شديداً ووعيداً أكيداً لمن كفر باللَّه

ورسله، وأعرض عن الآيات والذكر، فقال تعالى: ﴿**ذرني ومن خلقت وحيدا**﴾، وقال: ﴿**وذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلا**﴾، وقال تعالى: ﴿**فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون**﴾.

وبينت في هذا الجزء الكريم مصارع الظالمين من الأمم السابقة الكافرة باللَّه المكذبة لرسله.

ثم أيضًا حمل هذا الجزء تذكير بمشاهد القيامة والجنة والنار، والحث على توحيد اللَّه عز وجل وعبادته وحده لا شريك له، الشأن في ذلك شأن عموم السور المكية، فأغلب سور هذا الجزء الكريم مكيٌّ.

فصغنا ذلك كله في صورة السؤال والجواب، سائلين اللَّه عز وجل أن ينفعنا بها والمسلمين، وأن يتجاوز عن زلاتنا وتقصيرنا، وخطئنا، وعمدنا، وأن يغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا وما أسررنا وما أعلنا وما أسرفنا وما هو أعلم به منَّا، هو المقدم والمؤخر لا إله إلا هو، ولا رب سواه.

وصلِّ اللَّهُمَّ على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم

كتبه

أبو عبد الله

مصطفى بن العدوي

مصر - الدقهلية - منية سمنود

سورة الملك

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾

س : اذكر معنى ما يلي:

تبارك ـ ليبلوكم ـ أحسن عملاً ـ العزيز ـ الغفور ـ طباقًا ـ تفاوت ـ فارجع البصر ـ فطور ـ كرتين ـ خاسئًا ـ حسير.

ج:

الكلمة	معناها
تبارك	تفاعل من البركة، فالمعنىٰ: تكاثرت البركات، والخيرات من قبله. زاد عطاؤه وكثر. دام إنعامه وثبت. تقدس ـ تعالىٰ ـ تعاظم ـ باسمه يتبرك. والبركة أيضًا تطلق علىٰ النمو والازدياد، وعلىٰ الدوام والثبات.
ليبلوكم	ليختبركم.
أحسن عملاً	أخلصه وأصوبه، أي: أوفقه للكتاب والسنة وأخلصه لوجه الله.
العزيز	القوي الشديد المنتقم ممن عصاه وخالف أمره، منيع الجناب عظيم السلطان، لا يحول بينه وبين ما يريده حائل، وهو الغالب علىٰ أمره، والغالب لغيره.
الغفور	غفور لذنوب عباده، غفور لمن تاب ورجع.
طباقًا	أطباقًا ـ طبقًا فوق طبق ـ بعضها فوق بعض.
تفاوت	اختلاف[1] ـ عدم تناسب.

(١) فالسماوات مستوية لا تنافر بينها، ولا اختلاف، ولا نقص، ولا عيب، ولا خلل، ولا اعوجاج.

الكلمة	معناها
فارجع البصر	فَرُدَّ البصر - كَرِّرِ النظر .
فطور	شقوق - تصدعات ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ** ﴾ [مريم : ٩٠] .
كرتين	مرتين - مرة بعد مرة ، وقال بعض العلماء : إن المراد تكرير النظر .
خاسئًا	مُبعدًا - صاغرًا - ذليلاً - راجعًا لم ينل مطلبه .
حسير	كليل - متعبٌ - مرهق - بلغ الغاية في التعب - والإعياء ؛ لأنه بعد طول البحث والنظر لم يجد فطوراً ولا ثقوبًا ولا تشققات .

س ـ يعظم ربنا نفسه الكريمة ويمجدها وينزهها بقوله: ﴿تَبَارَكَ﴾، وبقوله: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ ونحو ذلك من الآيات، فهل للبشر أن يمجدوا أنفسهم أو يعظموها؟

ج: ليس لهم ذلك، قال تعالىٰ: ﴿فلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾. [النجم: ٣٢]

* * *

س ـ ما فائدة التقديم بقوله: ﴿تبارك﴾؟

ج: فائدة ذلك ـ والله تعالىٰ أعلم ـ: بيان عظمة الله عزَّ وجل الذي بيده ملكوت كل شيء، كما قال تعالىٰ: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذي بِيَده مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [يس: ٨٣]، فالتقديم بقوله: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذي بِيَدِه مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحمل معنىٰ التنزيه، تنزيه الله عز وجل الذي بيده ملكوت كل شيء عن كل عيبٍ ونقصٍ. والتقديم بقوله: تبارك يحمل معاني هذه الكلمة، فالمعنىٰ: ازداد خيره، وتقدس وتعالىٰ، وباسمه يتبرك الذي بيده الملك، وهو الله سبحانه وتعالىٰ. والله أعلم.

هذا وفي «أضواء البيان» للشنقيطي رحمه الله بعد ذكر أقوالٍ لأهل العلم في تفسير ﴿تَبَارَكَ﴾.

قال مقيده ـ عفا الله عنه وغفر له ـ: الأظهر في معنىٰ ﴿تَبَارَكَ﴾ بحسب اللغة التي نزل بها القرآن: أنه تفاعل، من البركة، كما جزم به ابن جرير الطبري، وعليه؛ فمعنىٰ ﴿تَبَارَكَ﴾: تكاثرت البركات والخيرات من قبله، وذلك يستلزم عظمته وتقدسه عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله، لأن من تأتي من قِبَلِه البركات والخيرات ويدرّ الأرزاق علىٰ الناس هو وحده المتفرد

بالعظمة، واستحقاق إخلاص العبادة له، والذي لا تأتي مِن قِبَلِه بركة ولا خير، ولا رزق كالأصنام، وسائر المعبودات من دون الله لا يصح أن يعبد وعبادته كفر مخلد في نار جهنم، وقد أشار تعالىٰ إلىٰ هذا في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧] وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئًا وَلا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [النحل: ٧٣] وقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤] وقوله تعالىٰ: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٧-٥٨] وقوله تعالىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَن يُنِيبُ (١٣) فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ١٣-١٤].

* * *

س ـ قوله تعالى: ﴿الْمُلْكُ﴾ ملك ماذا؟

ج: ملك السموات والأرض وما بينهما، كما قال تعالىٰ: ﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٨٥].

ملك الدنيا والآخرة وملك كل شيء.

يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء.

وقال بعض العلماء: إن المراد بالملك هنا: السلطان.

وقال آخرون: إن المراد بالملك نفوذ المقدور الذي قدره الله في كل شيءٍ، فيتصرف في كل شيء بما يشاء لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه.

وهذه أقوال متقاربة المعاني.

وكل ذلك المذكور داخلٌ في الملك. والله أعلم.

س ـ وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

ج: إيضاحه ـ والله أعلم ـ: والله على فعل ما يشاء ذو قدرةٍ لا يمنعه من فعله مانع، ولا يحول بينه وبينه حائل من عجزٍ ونحو ذلك، فهو سبحانه ينعم على من يشاء ويتفضل، وينتقم ممن يشاء ويخذل.

* * *

س ـ ما المراد بقوله: ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾.

ج: المراد ـ والله أعلم ـ: أوجد الموت والحياة، وجعل الدنيا دار حياةٍ، ودار فناء، فأحيا من شاء إلى أجل مسمى وأمات من شاء.

ومعنى آخر: خلقكم للموت والحياة، وأذل ابن آدم بالموت.

ومعنى ثالث: يعني بالموت: الموت في الدنيا، والحياة في الآخرة كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

ومعنى رابع: أوجد الخلائق من العدم، والآية كقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨] فسمى الحال الأول ـ وهو العدم ـ موتًا وسمى هذه النشأة حياة. والله أعلم.

* * *

س ـ لماذا قدم الموت على الحياة؟

ج: قال بعض أهل العلم: لأن الموت إلى القهر أقرب كما قدم البنات على البنين في قوله: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ [الشورى: ٤٩].

وقال آخرون: قدم الموت؛ لأنه أقدم؛ لأن الأشياء كانت في حكم الموت

كالنطفة، والتراب ونحوه.

وقال غيرهم: لأن التذكير بالموت يحفز على العمل.

وقال غيرهم: إن المراد بالموت النطفة، والعلقة، والمضغة. والله أعلم.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: ليختبركم فينظر أيكم له أطوع، ولرسله أتبع، وإلى طلب رضاه أسرع.

ليختبركم أيكم أشد له إخلاصًا، ولنبيه اتباعًا وسلوكًا.

ليختبركم أيكم أكثر ذكرًا للموت واستعدادًا له.

* * *

س ـ لماذا قال سبحانه: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ ولم يقل: (أكثر عملاً)؟

ج: ذلك ـ والله أعلم ـ: لأن كثرة الأعمال ليست هي ميزان الفضل في كل الأعمال، فليست العبرة بالكثرة، وإنما بحسن العمل وصحته وسلامته من الرياء.

فحسنه يتأتى بموافقته للكتاب والسنة، سواء كان قليلاً أو كثيراً، وسلامته تتأتى بالإخلاص لله عزَّ وجل.

* * *

س ـ ما وجه ختام الآية بقوله تعالى: ﴿الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾؟

ج: وجه ذلك: أنه يحمل ترهيبًا وترغيبًا.

أي: أنه يفعل ما يريد، ويقضي بما يشاء، لا مانع له من شيء أراده، ومع ذلك فهو غفورٌ لمن تاب إليه وأناب.

***

س ـ لماذا خلقت السموات والأرض؟

ج: خلقت لأمور منها: ليبلونا الله أينا أحسن عملاً، كما قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [هود: ٧] وكما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الكهف: ٧].

***

س ـ وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: فانظر يا بن آدم إلىٰ السماء تتبين قدرة الله فيها علىٰ الخلق والإيجاد، وتتبين عظمة الله فيها. انظر إليها، هل ترىٰ فيها من تشققات وتصدعات، ثم أعد النظر مرتين، بل ومرات، حتىٰ تتأكد من ذلك، فإنك مهما كررت النظر، ومهما أعدت البصر لا تجد فيها تفاوتًا ولا اختلافًا ولا فطورًا ولا شقوقًا ولا تصدعات.

بل سيرجع إليك بصرك بعد طول بحثٍ وعناء وهو متعبٌ وكليل، لم ير تشققاتٍ ولا تصدعاتٍ ولا اختلافات.

***

س ـ لماذا أُمر العبد أن يرجع البصر كرتين؟

ج: ليتأكد هل في السماء من شقوق وتصدعات وخلل؟

س ـ السماء الآن لا ثقوب فيها ولا شقوق ولا فروج ولكنها يوم القيامة تتشقق، وتنفطر دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١].

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنزِيلاً﴾ [الفرقان: ٢٥]

وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا (١٧) السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً﴾ [المزمل: ١٧، ١٨]

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (٨) وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾. [المرسلات: ٨ـ٩]

وقوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٥) وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٥ـ١٦]

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧].

❊ ❊ ❊

س ـ اذكر آية أُخرى تدل على أن السماء لا ثقوب فيها ولا شقوق.

ج: من ذلك: قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦].

وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ

ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ

س: اذكر معنى ما يلي:

السماء الدنيا ـ مصابيح ـ رجومًا للشياطين ـ أعتدنا ـ السعير ـ بئس المصير ـ شهيقًا ـ تفور ـ تميّز ـ فوجٌ ـ خزنتها ـ ضلال كبير ـ فسحقًا.

ج:

الكلمة	معناها
السماء الدنيا	السماء القريبة من الخلق، (السماء الأولى من السموات السبع).
مصابيح	المراد بها هنا: النجوم.
رجومًا للشياطين	قذائف ترجم بها الشياطين وتقذف.
أعتدنا	أعددنا.
السعير	النار الشديدة المستعرة ـ أشد الحريق.
بئس المصير	بئس المرجع والمآب الذي يرجعون إليه يوم القيامة.
شهيقًا	صوتًا شديدًا منكرًا.
تفور	تغلي.
تميّز	تتقطع ـ تتمزق ـ ينفصل بعضها عن بعض.
فوج	جماعة.
خزنتها	حراسها ـ القائمون عليها المكلفون بها.

الكلمة	معناها
ضلال كبير	ذهاب عن الحق بعيد.
فسحقًا	بُعدًا. والسحيق: البعيد ـ والمراد: أبعدهم الله عن رحمته.

س ـ لماذا أُطلق على النجوم مصابيح؟

ج: أُطلق عليها مصابيح لإضاءتها، وكذلك الصبح إنما أطلق عليه صبح لأنه يضيء للناس من النهار.

* * *

س ـ اذكر بعض الفوائد التي من أجلها خُلقت النجوم.

ج: ذكر الله تبارك وتعالىٰ ـ في كتابه الكريم ـ للنجوم فوائد ثلاث:

أولاً: لرجم الشاطين، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك: ٥].

ثانيًا: الاهتداء بها، قال تعالىٰ: ﴿وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

[النحل: ١٦]

ثالثًا: لإضاءة السماء الدنيا وزينتها، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ [الملك: ٥].

أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾:

إن الله جلّ ثناؤه إنما خلق هذه النجوم لثلاث خصال: خلقها زينة للسماء الدنيا، ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدىٰ بها؛ فمن يتأوّل منها غير ذلك، فقد قال برأيه، وأخطأ حظه، وأضاع نصيبه، وتكلَّف ما لا علم له به.

* * *

س ـ هل النجوم نفسها هي التي يُرمى بها أم شهبها؟

ج: الظاهر ـ والله أعلم ـ: أن الذي يرمىٰ به هو الشهب التي تخرج من

النجوم، كما قال تعالىٰ: ﴿إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾.

[الصافات: ١٠]

قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ:

أي: جعلنا شهبها، فحذف المضاف، دليلهُ: ﴿إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ١٠]. وعلىٰ هذا فالمصابيح لا تزول ولا يرجم بها. وقيل: إن الضمير راجع إلىٰ المصابيح علىٰ أن الرجم من أنفس الكواكب، ولا يسقط الكوكب نفسه إنما ينفصل منه شيء يرجم به من غير أن ينقص ضوءه ولا صورته. قاله أبو عليّ جوابًا لمن قال: كيف تكون زينة وهي رجوم لا تبقىٰ؟!

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك: ٥] عاد الضمير في قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾ علىٰ جنس المصابيح لا علىٰ عينها، لأنه لا يرمي بالكواكب التي في السماء بل بشهبٍ من دونها، وقد تكون مستمدةً منها؛ والله أعلم.

❊ ❊ ❊

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾.

ج: المعنىٰ ـ والله أعلم ـ وجعلناها لرجم الشياطين، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (٦) وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ (٧) لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾ [الصافات: ٦ـ٨].

وكما قالت الجن: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٩].

❊ ❊ ❊

س ـ هل هذه النجوم رجومٌ لكل الشياطين؟

ج: هي رجومٌ للشياطين التي تحاول استراق السمع، أي: التي تحاول الاستماع إلىٰ حديث الملائكة في السماء، كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٩].

❊ ❊ ❊

س ـ قال تعالى في شأن النار: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ فلماذا هي متغيظة، وعلى من هذا التغيظ؟

ج: هي متغيظة علىٰ أهلها تريد البطش بهم والانتقام منهم، وذلك لشركهم وكفرهم وافترائهم علىٰ الله عز وجل وتمردهم علىٰ أوامره وارتكابهم ما نهىٰ عنه.

وذلك كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم: ٨٨ـ٩٢].

❊ ❊ ❊

س ـ النار مخلوقة تغضب على أهل الشرك ويشتد نكيرها عليهم. دلِّل على ذلك

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالىٰ: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [الملك: ٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾.

[الفرقان: ١٢]

❊ ❊ ❊

س ـ ما وجه سؤال الخزنة للقوم: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾؟

ج: هذا سؤال توبيخ.

* * *

س ـ من القائلون: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ﴾؟ ولمن قالوه؟

ج: في ذلك وجهان:

أحدهما: أن القائلين بذلك هم الكفار، قالوا ذلك لرسلهم عليهم السلام، فكذبوا الرسل وقالوا لهم: ما نزل الله من شيء، ثم وصفوهم بالضلال في قولهم: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ﴾.

الثاني: أن القائلين هم الخزنة من الملائكة، قالوا ذلك للكفار، فلما سألوهم: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ [الملك: ٨-٩] فقالت لهم الملائكة: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ﴾.

وأكثر العلماء على الوجه الأول، والله أعلم.

* * *

س ـ هل الكفار لم يكونوا يسمعون حتى يقولوا: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾؟

ج: بل كانت لهم آذان، ولكنهم لم يسمعوا سماع المنتفع وسماع المتعقل المتدبر المتأمل، والله أعلم.

* * *

س ـ لماذا أُفرد الذنب، وقد أضيف إلى الجمع في قوله تعالى: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ﴾؟

ج: **قال الطبري رحمه الله:** ووحَّد الذنب وقد أُضيف إلىٰ الجمع؛ لأن فيه معنىٰ فعل، فأدىٰ الواحد عن الجميع كما يقال: خرج عطاءُ الناس، وأعطيةُ الناس. والله أعلم.

* * *

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ

س ـ اذكر معنى ما يلي:

يخشون ـ مغفرة ـ أسروا ـ ذات الصدور ـ اللطيف ـ ذلولاً ـ مناكبها ـ النشور ـ تمور ـ حاصبًا ـ كيف نذير ـ كيف كان نكير؟

ج:

الكلمة	معناها
يخشون	يخافون خوفًا شديدًا.
مغفرةٌ	عفو من الله عن ذنوبهم.
أسروا	أخفوا.
ذات الصدور	ما يضمرونه ويخفونه في صدورهم.
اللطيف	الذي يعلم دقائق الأمور وخفاياها ـ البر بعباده الرحيم بهم.
ذلولاً	سهلةً ميسرةً مذللةً ـ سهلة المسالك.
مناكبها	فجاجها وطرقها وجوانبها[1]، وقيل: جبالها. والأول أولىٰ.
النشور	الخروج من القبور بعد الموت.
تمور	تتحرك وتضطرب وتذهب.
حاصبًا	ريحٌ فيها حجارةٌ صغيرة، وتراب فيه الحصباء الصغيرة.

(١) لأن «المناكب» من الإنسان: جوانبه، أخرج الطبري بإسناد صحيح عن قتادة عن بشير بن =

الكلمـــــة	معنـــاهــــــا
كيف نذير	كيف كانت عاقبة إنذاري .
كيف كان نكير	كيف كان إنكاري عليهم لما كذبوا وكفروا .

س ـ وضح المراد بالغيب في قـوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾.

ج: في ذلك أقوال:

منها: أنهم يخشون ربهم وهم لم يروه، كما في الحديث: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

وآخر: أنهم يخشون ربهم في حالة غيابهم عن أعين الناس، كما قال ﷺ في الحـديث: «**ورجل ذكر الله خاليًا ففـاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله**».

* * *

س ـ كلما ازدادت خشـية العبد من الله وحـده كلما ازداد قربًا من الله، ومن منازل الصالحين دلِّل على ذلك.

ج: دليله: أن الله سبحانه وتعالىٰ قال عن أنبيائه عليهم الصلاة والسلام: **﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾** [الأحزاب: ٣٩].

= كعب أنه قرأ هذه الآية: ﴿فامشوا في مناكبها﴾ فقال لجارية له: إن دَرَيْتِ ما مناكبها فأنت حرة لوجه اللَّه، قالت: فإن مناكبها: جبالها، فكأنما سُفع في وجهه، ورغب في جاريته. فسأل فمنهم من أمره، ومنهم من نهاه، فسأل أبا الدرداء فقال: الخير في طمأنينة، والشر في ريبة، فذَر ما يَريبك إلىٰ ما لا يَريبك.

ووجه آخر عند الطبري، عن قتادة أيضًا بسند صحيح: أن بشير بن كعب العدوي قرأ هذه الآية: ﴿فامشوا في مناكبها﴾ فقال لجاريته: إن أخبرتني ما مناكبها، فأنت حرة، فقالت: نواحيها. فأراد أن يتزوجها، فسأل أبا الدرداء فقال: إن الخير في طمأنينة، وإن الشر في ريبة، فدع ما يريبكَ إلىٰ ما لا يريبك.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

* * *

س: اذكر بعض الأدلة في معنى قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي: قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ * لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١٠، ١١]

وقوله تعالى: ﴿لا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ [الأنبياء: ١١٠].

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾؟

ج: في ذلك وجوه:

أحدها: ألا يعلم السرَّ والجهر من خلق الخلق؟!

وذلك المعنىٰ يظهر ويتضح بالنظر إلىٰ الآية التي سبقتها : ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ .

الثاني : ألا يعلم الله سبحانه وتعالىٰ مخلوقاته التي خلقها؟ !

وهذا التفسير أعم من الأول ؛ فالأول داخل فيه .

الثالث : ألا يعلم المخلوق مَن خلقه ، ويتفكر ويتدبر في قدرته وسعة علمه؟ ! ! والله أعلم .

* * *

س ـ ما وجه ارتباط الآية الكريمة : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً﴾ بالآية التي قبلها؟

ج : ذكر ذلك الفخر الرازي[1] رحمه الله وعفا عنه ، فقال :

اعلم أن تعلق هذه الآية بما قبلها هو أنه تعالىٰ بين بالدلائل كونه عالمًا بما يسرون وما يعلنون ، ثم ذكر بعده هذه الآية علىٰ سبيل التهديد ، ونظيره : من قال لعبده الذي أساء إلىٰ مولاه في السر : يا فلان ، أنا أعرف سرك وعلانيتك فاجلسْ في هذه الدار التي وهبتها منك ، كل هذا الخير الذي هيأته لك ولا تأمن تأديبي ، فإني إن شئت جعلت هذه الدار التي هي منزل أمنك ومركز سلامتك منشأً للآفات التي تتحير فيها ، ومنبعًا للمِحَن التي تهلك بسببها ، فكذا ههنا ، كأنه تعالىٰ قال : أيها الكفار ، اعلموا أني عالم بسركم

---

(١) ذكرنا ذلك للرازي لرؤيتنا أنه أصاب في هذا المقام ، وإلا فله في مواطن كثيرة زلات كبيرة ؛ فليُقرأ كلامه علىٰ حذر ، والله أعلم .

وجهركم، فكونوا خائفين مني محترزين من عقابي، فهذه الأرض التي تمشون في مناكبها، وتعتقدون أنها أبعد الأشياء عن الإضرار بكم، أنا الذي ذللتها إليكم وجعلتها سببًا لنفعكم، فامشوا في مناكبها؛ فإنني إن شئت خسفت بكم هذه الأرض، وأنزلت عليها من السماء أنواع المحن، فهذا هو الوجه في اتصال هذه الآية بما قبلها.

* * *

س - هل الشخص ينبغي أن لا يأمن ويعيش خائفًا، وذلك لقوله تعالى: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾؟

ج: الأمن الذي ينكره الله على الناس هو الأمن الذي تصاحبه الغفلة عن طاعة الله وعن انتقامه، فيقدمون على فعل المعاصي ولا يبالون بغضب الله وأليم عقابه وشديد انتقامه، ويتركون أوامر الله ولا ينظرون إلى ما حولهم من سنن الله في خلقه. فيحملهم هذا الأمان على مزيدٍ من التمرد والعصيان، ونحو هذا الأمان هو المذكور في قوله تعالى: ﴿**أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٧) أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٩٨) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**﴾

[الأعراف: ٩٧: ٩٩].

ونحوه: قوله تعالى: ﴿**أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ**﴾ [النحل: ٤٥] وقوله تعالى: ﴿**أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا**﴾ [الإسراء: ٦٨].

أما المؤمن فمع أنه يخاف عقوبة معاصيه، إلا أنه أيضًا يطمئن إلى رحمة

الله وجميل كرمه وسعة عفوه وواسع رحمته، وهذا الاطمئنان لا يحمله علىٰ الغفلة والنسيان ولا يحمله علىٰ الجحود والنكران، بل يحمله علىٰ مزيد من الطاعة والإمتثال للرحيم الرحمن.

* * *

﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ
إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ
لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ
هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾
أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ
وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي:

صافات ـ يقبضن ـ ما يمسكهن ـ جندٌ لكم ـ غرور ـ لجوا ـ عتو ـ نفور ـ مكبًا على وجهه ـ سويًا ـ على صراط مستقيم ـ الأفئدة ـ قليلاً ما تشكرون ـ ذرأكم ـ تحشرون.

ج:

الكلمة	معناها
صافات	باسطات أجنحتها.
يقبضن	يقبضن الأجنحة.
ما يمسكهن	ما يمنعهن من السقوط.
جندٌ لكم	معينٌ لكم وناصر لكم.
غرور	غرور من الشيطان بأنهم لن يعذبوا.
لجوا	تمادوا ـ أصروا.
عتوٍ	طغيان ـ ضلال.
نفورٍ	انصراف عن الحق ـ كفور ـ تولٍّ وإعراض.
مكبًا على وجهه	منكسًا رأسه لا يلتفت عن يمينه ولا عن شماله، ولا يبصر ما بين يديه، ولا عن يمينه ولا عن شماله، ويمشي في الضلالة والغواية والشرك والكفر.
سويًا على صرط مستقيم	مستقيمًا على طريق الحق.

الكلمـــة	معنـاهـــا
الأفئدة	العقول .
قليلا ما تشكرون	شكركم على نعم الله قليل .
ذرأكم	خلقكم ـ نشركم بثكم .
تحشرون	تجمعون من قبوركم للحساب .

س ـ ماوجه ختام الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾؟

ج: وجهه: أن الله سبحانه وتعالىٰ بصير بالخلق كلهم فيعطيهم ما يليق بهم ويسويهم بحسب مشيئته، ويُودع فيهم ما يحتاجون إليه فيعطي الطير ما تحتاج إليه في طيرانها، ويعطي الدواب ما تحتاج إليه في سيرها وكلٌّ بحسبه، والله أعلم.

* * *

س ـ وضح المراد بقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: مَن هؤلاء الأعوان والجنود والأنصار الذين يعاونونكم ويؤازرونكم ويناصرونكم من دون الرحمن إن أراد الرحمن بكم ضراً أو أراد بكم سوءاً؟!

* * *

س ـ وضح المراد بقوله تعالى: ﴿إِنِ الْكَافِرُونَ إِلاَّ فِي غُرُورٍ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: ما الكافرون إلا في غرور من الشيطان، غرَّهم شيطانهم وخدعهم وسوَّل لهم أن آلهتهم ـ التي عبدوها مع الله ومن دون الله ـ ستنصرهم وتحفظهم وتقربهم من الله زلفىٰ.

* * *

س ـ اذكر بعض الأدلة على أن الرزاق هو الله سبحانه وتعالى.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]

وقوله تعالىٰ: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢].

وقـوله تـعـالىٰ : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئًا وَلا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ [النحل : ٧٣] .

وقوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت : ١٧] .

وقوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات : ٥٨]

وقوله تعالىٰ : ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ [الرعد : ٢٦]

وقوله تعالىٰ : ﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ .

[الشورىٰ : ١٩]

* * *

س ـ اذكر بعض أقوال أهل العلم في معنى قوله تعالى:

﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ .

ج: قال الإمام الطبري رحمه الله:

يقول تعالىٰ ذكره : ﴿ أَفَمَن يَمْشِي ﴾ أيها الناس ﴿ مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ ﴾ لا يبصر ما بين يديه ، وما عن يمينه وشماله ﴿ أَهْدَىٰ ﴾ : أشد استقامة علىٰ الطريق ، وأهدىٰ له ﴿ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا ﴾ مَشْي بني آدم علىٰ قدميه ﴿ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ يقول : علىٰ طريق لا اعوجاج فيه .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وهذا مثلٌ ضربه الله للمؤمن والكافر ، فالكافر مثله فيما هو فيه كمثل من يمشي مُكبًا علىٰ وجهه ، أي يمشي منحنيًا لا مستويًا علىٰ وجهه ، أي : لا

يدري أين يسلك ولا كيف يذهب، بل تائه حائر ضال، أهذا أهدىٰ ﴿ **أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا** ﴾، أي: منتصب القامة ﴿ **عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾، أي: علىٰ طريق واضح بين، وهو في نفسه مستقيم، وطريقه مستقيمة.

هذا مثلهم في الدنيا، وكذلك يكونون في الآخرة:

فالمؤمن يحشر يمشي سويًا علىٰ صراط مستقيم، مُفْضىٰ به إلىٰ الجنة الفيحاء.

وأما الكافر فإنه يحشر يمشي علىٰ وجهه إلىٰ نار جهنم ﴿ **احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣) وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ (٢٤) مَا لَكُمْ لا تَنَاصَرُونَ (٢٥) بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ** ﴾ [الصافات: ٢٢-٢٦].

ثم ذكر ما رواه الإمام أحمد في «المسند» من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله؛ كيف يحشر الناس علىٰ وجوههم؟ فقال: «**أليس الذي أمشاهم على أرجلهم قادرًا على أن يمشيهم على وجوههم؟!**»[(١)].

س: متى هذا الانكباب على الوجه؟

ج: من أهل العلم من قال: هذا الانكباب علىٰ الوجه في الدنيا، وهو مثلٌ مضروب للكافر الذي يتخبط في الضلالة والعمىٰ والشرك والكفر.

وقال بعض أهل العلم: إن هذا الانكباب إنما هو في الآخرة، لقوله

(١) أحمد (٣/ ١٦٧)، والبخاري (٤٧٦٠)، ومسلم حديث (٢٨٠٦).

تعالىٰ: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩٧] . والله أعلم .

* * *

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ
﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ
زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ
تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن
يُجِيرُ ٱلْكَـٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ
وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ
أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي:

الوعد ـ زلفةً ـ سيئت ـ تدَّعون ـ أهلكني ـ رحمنا ـ يجير ـ توكلنا ـ غورًا ـ معين؟

ج:

الكلمة	معناها
الوعد	المراد: الوعد بالبعث والثواب والعقاب والحساب.
زلفة	قريبًا ـ حاضرًا.
سيئت	تبين وظهر فيها السوء والخزي والسواد.
تدعون	تسألون ـ تطلبون ـ تستعجلون.
	تدعون الأباطيل والأكاذيب ـ تدعون أنكم إذا متم لن تعذبوا.
أهلكني	توفاني ـ أماتني بعذاب.
رحمنا	أخَّر في آجالنا ـ لم يعذبنا.
يجير	يمنع ـ يحفظ.
توكلنا	اعتمدنا.
غورًا	غائرًا لا تناله الأيدي ولا الدلاء.
معين	ظاهر على وجه الأرض تراه العيون ـ عذبٌ.

س ـ أهل الكفر كانوا يستعجلون نزول العذاب عليهم، وهذا الاستعجال منهم لاستبعادهم واستنكارهم وقوعه وتحديًا منهم للأنبياء أيضًا، دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأنبياء: ٣٨].

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ [العنكبوت: ٥٣].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [ص: ١٦].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢].

* * *

س ـ ما المراد بالعلم في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ﴾؟

ج: المراد بالعلم هنا: العلم بالساعة ووقت نزول العذاب.

* * *

س ـ الضمير في قوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾ عائد على ماذا؟

ج: هذا عائدٌ على العذاب الذي وعدوا به.

* * *

س ـ وضح المراد بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

ج: وضح ذلك الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ بقوله:

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أي: لما

قامت القيامة وشاهدها الكفار، ورأوا أن الأمر كان قريبًا؛ لأن كل ما هو آت آت وإن طال زمنه، فلما وقع ما كذبوا به ساءهم ذلك، لما يعلمون ما لهم هناك من الشر، أي: فأحاط بهم ذلك، وجاءهم من أمر الله ما لم يكن لهم في بالٍ ولا حساب، ﴿ **وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (٤٧) وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ** ﴾ [الزمر: ٤٧-٤٨]؛ ولهذا يقال لهم على وجه التقريع والتوبيخ: ﴿ **هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ** ﴾ [الملك: ٢٧]، أي: تستعجلون.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾.

ج: قال السعدي ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيره (تيسير الكريم الرحمن):

ولما كان المكذبون للرسول ﷺ الذين يردون دعوته ينتظرون هلاكه، ويتربصون به ريب المنون، أمره الله أن يقول لهم: إنكم إن حصلت لكم أمنيتكم، وأهلكني الله ومن معي، فليس ذلك بنافعٍ لكم شيئًا؛ لأنكم كفرتم بآيات الله، واستحققتم العذاب؛ فمن يجيركم من عذابٍ أليمٍ قد تحتم وقوعه بكم؟!

فإذًا تعبكم وحرصكم على هلاكي غير مفيد، ولا مُجْدٍ لكم شيئًا. ومن قولهم: إنهم على هدى، والرسول على ضلال، أعادوا في ذلك وأبدوا، وجادلوا عليه، وقاتلوا. فأمر الله نبيه أن يخبر عن حاله، وحال أتباعه، ما به يتبين لكل أحد هداهم وتقواهم.

س ـ اذكر آية تدل على التذكير بنعمة الله في رزق الله لعباده بالماء كهذه الآية: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾.

ج: نحوها قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾.

[الواقعة: ٦٨ ـ ٧٠]

* * *

س ـ اذكر أدلة من سورة تبارك على ما يلي:

أ ـ العذر بالجهل.

ب ـ الأخذ بالأسباب والسعي على المعاش.

ج: أما الدليل على العذر بالجهل: فمأخوذ من قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ [الملك: ٨ـ٩].

أما الدليل على مشروعية الأخذ بالأسباب والسعي على المعاش فمن قوله تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾ [الملك: ١٥].

* * *

س ـ دلِّل على أن الله عز وجل في السماء.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (١٦) أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾.

[الملك: ١٦ ـ ١٧]

وقوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤].

وقوله ﷺ: «**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء؟!**»[١].

وشهادة النبي ﷺ بالإيمان للجارية التي سألها: «**أين الله؟**» فقالت: في السماء[٢].

والأدلة في هذا الباب كثيرة جدًا، وقد أوردت قدرًا كبيرًا منها في تفسير سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩] فليرجع إليه هنالك من شاء[٣].

* * *

س ـ اذكر بعض الوارد في فضل سورة تبارك من أحاديث أو آثار مع بيان درجة هذه الأحاديث من الصحة.

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه أحمد[٤] والترمذي وابن ماجه والحاكم وغيرهم من طريق عباس الجشمي، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غُفِرَ له، وهي سورة: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾**».

وفي سند هذا الحديث عباس الجشمي ما روى عنه إلا راويان، ولم يوثقه

---

(١) البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (ص٧٤٢)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه مرفوعًا مصحوبًا بقصة.

(٢) مسلم (٥٣٧).

(٣) «التسهيل» (البقرة ج١ ص٣١٣).

(٤) أحمد في المسند (٢/ ٢٩٩، ٣٢١)، والترمذي (٢٨٩١)، وقال: هذا حديث حسن، =

إلا ابن حبان، وابن حبان معروف بتوثيق المجاهيل. فجريًا على القواعد العامة فالحديث لا يثبت عن النبي ﷺ، وانظر التعليق.

وأخرج الترمذي [(١)] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: ضرب بعض أصحاب النبي ﷺ خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ**﴾ حتى ختمها، فأتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ**﴾ حتى ختمها. فقال رسول الله ﷺ: «**هي المانعة، هي المنجية، تنجيه من عذاب القبر**».

= وابن ماجه (حديث ٣٧٨٦)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٩٧) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي: صحيح.

وهؤلاء العلماء الذين صححوا الحديث يبدو لي - والله أعلم - أنهم تساهلوا في تصحيحه لكونه في فضائل الأعمال، ولكون عباس الجشمي من طبقة التابعين، والجهالة في التابعين ضررها أقل من الجهالة في غيرهم؛ لقول النبي ﷺ: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم».

وأيضًا؛ فثم شاهد موقوف عند الحاكم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: يؤتى الرجل في قبره، فتؤتى رِجْلاه فتقول رِجْلاه: ليس لكم على ما قِبَلي سبيل، كان يقوم يقرأ بي سورة الملك. ثم يؤتى من قِبَل صدره - أو قال بطنه - فيقول: ليس لكم على ما قِبَلي سبيل، كان يقرأ بي سورة الملك. ثم يؤتى رأسه فيقول: ليس لكم على مَا قِبَلي سبيل، كان يقرأ بي سورة الملك. قال: فهي المانعة؛ تمنع من عذاب القبر، وهي في التوراة: سورة الملك. من قرأها في ليلة فقد أكثر وأطنب.

وثَمَّ آثار كثيرة في هذا الباب، أوردها الدارمي في «سننه» (٢/ ٤٥٥)، فلعل الحديث يصح بمجموع ما ذُكر، والله أعلم.

(١) الترمذي (٢٨٩٠) وسنده ضعيف؛ ففيه يحيى بن عمرو بن مالك النكري، وهو ضعيف.

أما الترمذي فقد حسنه ووصفه بالغرابة.

ومنها: ما أخرجه الترمذي وأحمد والدارمي[1] وغيرهم من طريق ليث (وهو ابن أبي سليم) عن أبي الزبير عن جابر: أن النبي ﷺ كان لا ينام حتىٰ يقرأ: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾، و: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾. وعلة هذا الإسناد ليث بن أبي سليم، فهو ضعيف لاختلاطه، وأيضًا ففي السند أبو الزبير محمد بن مسلم المكي وهو مدلس وقد عنعن، فالسند أراه ضعيفًا، والله تعالىٰ أعلم.

* * *

(١) الترمذي (حديث ٢٨٩٢)، وأحمد (٣/ ٣٤٠)، والدارمي (٢/ ٤٥٥) وغيرهم.
وقد أشار الترمذي إلىٰ أن أبا الزبير لم يسمع هذا الحديث من جابر، ونقل عن بعض العلماء إثبات واسطة وهو صفوان أو ابن صفوان بين أبي الزبير وجابر.

سورة القلم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾
وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾
فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ
بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ
ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي:

ن ـ يسطرون ـ بنعمة ربك ـ أجرًا ـ غير ممنون ـ خلق عظيم ـ فستبصر ويبصرون ـ بأيكم المفتون ـ تدهن؟

ج:

الكلمة	معناها
ن	حوت[1]، وقيل: إن المعنىٰ: الدواة[2]، وقيل: لوح من نور، وقيل: حرفٌ أقسم الله به، كقوله تعالىٰ: ﴿ص﴾، و: ﴿ق﴾، وقيل: اسم من أسماء السورة.
يسطرون	يكتبون ـ يخطون.
بنعمة ربك	بحمد ربك ـ من فضل الله عليك.
أجرًا	ثوابًا.
غير ممنون	غير مقطوع[3] ـ غير منقوص ـ غير محسوب ـ غير مُكدر بالمن.
خلق عظيم	أدب عظيم، وهو الأدب الذي أدبه ربُّه سبحانه وتعالىٰ (أدب القرآن) وقيل: المراد: دين عظيم.

(١) وقد ذكر بعض أهل العلم أن هذا حوت تُحمل عليه الأرض. ولكن لم يصح في هذا خبرٌ عن النبي ﷺ.

(٢) وهي وعاء المداد (الحبر).

(٣) أي: أنه دائمٌ ومستمر، فالنبي ﷺ دعا إلىٰ هدىٰ فله أجر من تبعه إلىٰ يوم القيامة. وأيضًا: فأجره عليه الصلاة والسلام لما قدمه من الأعمال الصالحة، ولما تحلىٰ به من الأخلاق الكريمة، وقبل كل شيء فهذا من فضل اللّٰه عليه.

الكلمـــــة	معنـــاهــــــا
فستبصرويبصرون	فستعلم ويعلمون ـ فسترىٰ ويرون .
بأيكم	في أي الفــريقين منكم الجنون ـ من منكـم المجنون؟ من منكم المعذب؟ من منكم الذي به الشيطان؟
تدهن فيدهنون	تكفر فيكفرون ـ تميل إلىٰ آلهتهم فيميلون إلىٰ إلهك ـ تلين فيلينون ـ تترك الحق فيميلون إليك . والإدهان : التليين لمن لا ينبغي له التليين .

س ـ ذهب بعض العلماء إلى أن القلم هو أول شيءٍ خلقه الله، اذكر مستندهم لذلك.

ج: مستندهم: حديث رسول الله ﷺ: «**أول شيء خلقه الله القلم**»، وهو حديث له عن رسول الله ﷺ عدة طرق يصح بمجموعها. من هذه الطرق: ما أخرجه الطبري[1] من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول ما خلق الله خلق القلم، فقال له: اكتب، قال: يا رب، وما أكتب؟ قال: اكتب القدَر، قال: فجرى القلم في تلك الساعة بما كان، وما هو كائنٌ إلى الأبد**».

وما أخرجه الطبري[2] أيضًا بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «**أول شيء خلقه الله القلم، وأمره فكتب كل شيءٍ**».

* * *

---

(١) الطبري (حديث ٣٤٥٤٣)، ونحوه بإسناد آخر عن عبادة مرفوعًا، كذلك عند الطبري (٣٤٥٤٨)، والطيالسي (حديث ٥٧٧)، والترمذي (حديث ٣٣١٩)، وقال: حسن غريب، وأبو داود (حديث ٤٧٠٠).

(٢) الطبري (٣٤٥٤٤)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٠٣)، وقد ورد نحو هذا الخبر عند الطبري (٣٤٥٤٦) من طريق آخر عن ابن عباس رضي اللّه عنهما موقوفًا، وهو مما لا يُقال من قبيل الرأي، ولهذا الحديث عدة طرق أورد كمًا كبيرًا منها ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (١٠٢) فما بعده.

س ـ أي قلم هذا الذي أقسم الله به؟

ج: من أهل العلم من قـال: أن المراد بالقلم عـموم الأقـلام الـتي يُكتب بها، وفي هذا حثٌ وثناءٌ على العلم كما قال تعالىٰ: ﴿الذي علم بالقلم﴾.

[العلق: ٤]

ومن العلماء من قال: إن المراد بالقلم هنا القلم الذي كتبت به المقادير، وهو القلم الذي أمره الله بكتابة جميع ما هو كائن إلىٰ يوم القيامة.

* * *

س ـ من هم الذين يسطرون؟

ج: من العلماء من قال: إنهم الملائكة الذين يكتبون المقادير التي أمرهم بها الله سبحانه وتعالىٰ.

ومن العلماء من قال: هم عموم الذين يكتبون من الملائكة وبني آدم وكل من يكتب، والله أعلم.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾؟

ج: الواو هي واو القـسم، فـأقـسم الله سـبـحـانه وتـعـالىٰ بالقـلـم وبالذي يكتبونه بالقلم ويخطُّونه به.

قال الطبري رحمه الله تعالى:

وقـولـه: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ يقـول: والذي يخطُّون ويكتـبون: وإذا وُجِّـه التأويل إلىٰ هذا الوجه كان القسم بالخلق وأفعالهم.

وقـد يحـتـمل الكلام مـعنىٰ آخـر، وهو أن يكون مـعناه: وسطرهم مـا

يسطرون، فتكون «ما» بمعنىٰ المصدر.

وإذا وجه التأويل إلىٰ هذا الوجه، كان القسم بالكتاب، كأنه قيل: «ن والقلم والكتاب».

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ قال: وما يخطون.

❊ ❊ ❊

س ـ هل كان المشركون يصفون رسول الله بالجنون حتى أقسم الله تعالى على براءة نبيه ﷺ من الجنون، وبيَّن سبحانه تمام عقل نبيه ﷺ وخلقه العظيم؟

ج: نعم، كان أهل الشرك يصفون النبي بذلك صراحةً، قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦] فمن ثمَّ نفىٰ الله عن نبيه هذا الوصف المشين الذي وصفوه به، فأقسم علىٰ أن نبيه ﷺ ليس بمجنون.

❊ ❊ ❊

س ـ اذكر بمزيد من الإيضاح معنى: ﴿مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: ما أنت من فضل الله عليك بمجنون، كما قال تعالىٰ: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ [الطور: ٢٩] أي: فما أنت ـ من فضل الله عليك ومن نعمه عليك ـ بكاهن ولا مجنون.

❊ ❊ ❊

س ـ كيف كان خلق رسول الله ﷺ؟

ج: كان خلقه القرآن صلوات ربي وسلامه عليه.

أخرج مسلم[١] في «صحيحه» من طريق هشام بن عامر قال: يا أم المؤمنين، أنبئيني عن خُلُق رسول الله ﷺ؟ قالت: ألست تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قالت: فإن خُلُق نبي الله ﷺ كان القرآن.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

ومعنى هذا: أنه - عليه السلام - صار امتثال القرآن - أمرًا ونهيًا - سجيةً وخلقًا تطبَّعه، وترك طبعه الجِبِلِّي، فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه، هذا مع ما جَبَله الله عليه من الخلق العظيم، من الحياء والكرم، والشجاعة والصفح، والحلم، وكل خلق جميل، كما ثبت في «الصحيحين»[٢] عن أنس قال: خدمتُ رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي أفًا قط، ولا قال لشيء فعلته: لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلته؟ وكان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا، ولا مسست خزًا ولا حريرًا ولا شيئًا كان ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكًا ولا عطرًا كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ.

وقال البخاري[٣]: حدثنا أحمد بن سعيد أبو عبد الله، حدثنا إسحاق بن منصور، حدثنا إبراهيم بن يوسف، عن أبيه، عن أبي إسحاق؛ قال: سمعت البراء يقول: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهًا وأحسن الناس خَلْقًا، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير.

والأحاديث في هذا كثيرة، ولأبي عيسى الترمذي في هذا كتاب «الشمائل».

---

(١) مسلم (حديث ٧٤٦).

(٢) انظر البخاري (٦٠٣٨، ٦٩١١)، ومسلم (حديث ٢٣٠٩).

(٣) البخاري (حديث ٣٥٤٩).

وقال الإمام أحمد[١] : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن عُرْوة ، عن عائشة ؛ قالت : ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادمًا له قط ، ولا امرأة ، ولا ضرب بيده شيئًا قط ، إلا أن يجاهد في سبيل الله ، ولا خُير بين شيئين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما حتى يكون إثمًا ، فإذا كان إثمًا كان أبعد الناس من الإثم ، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه إلا أن تنتهك حرمات الله ، فيكون هو ينتقم لله عز وجل .

قلت (مصطفى) : وكتاب فقه الأخلاق بيَّنت فيه كثيراً من مكارم أخلاقه صلوات ربي وسلامه عليه فلينظره من يشاء .

* * *

س ـ اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿ بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ ﴾.

ج: ابتداءً فمن أهل العلم من قال : إن (الباء) في قوله تعالى : ﴿ بِأَييِّكُمُ ﴾ زائدة ، فالمعنى : أيكم المفتون؟! وأتى لذلك بشواهد :

منها : قوله تعالى : ﴿ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ ﴾ [المؤمنون : ٢٠] أي : تنبت الدهن .

وقوله تعالى : ﴿ يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ﴾ [الإنسان : ٦] أي : يشربونها أو : يشربون منها .

ومن ذلك قول الشاعر:

نضرب بالسيف ونرجو بالفرج

ومن العلماء من قال: إن «الباء» بمعنى «في» فالمعنى : في أيكم؟

---

(١) صحيح: وهو عند أحمد (٦/ ٢٣٢).

أما المفتون: فلأهل العلم أقوال في تفسيره:

أحدها: المجنون.

الثاني: المعذب.

الثالث: الشيطان.

الرابع: المصروف عن الحق إلىٰ الباطل.

وعليه؛ فالمعنى: أيكم المجنون؟ أيكم المعذب؟ أيكم به الشيطان؟ أيكم المصروف عن الحق إلىٰ الباطل؟

أو المعنى: في أي الفريقين منكم المجنون؟

بأي الفريقين منكم يحل العذاب؟. والله تعالىٰ أعلم.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾؟

ج: المعنى المراد ـ والله أعلم بمراده ـ: إن ربك يا محمد هو أعلم بالمهتدين عمومًا، وبأهل الزيغ والضلال كذلك، ويعلم يا محمد أنك علىٰ الهدىٰ، ويعلم أن قومك من كفار قريش علىٰ ضلال، فامضِ يا محمد علىٰ ما أنت فيه من الحق والهدىٰ والنور، ولا تلتفت إلىٰ ضلال هؤلاء المشركين.

وهذا كقوله تعالىٰ: **﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ (٧٩) إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾** [النمل: ٧٩ـ٨٠].

* * *

س ـ عن أي شيء من أمور الطاعة نهى الله نبيه إذ قال له: ﴿فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾؟

ج: نهىٰ الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ نبيه عن طاعة المشركين فيما يدعون إليه من الشرك ومن أمور دينهم الخبيثة، وعقائدهم المنحرفة، وأخلاقهم الرذيلة. والله أعلم.

* * *

وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ

مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾

عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ

عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي:

حلاّف ـ مهين ـ همّاز ـ مشاء بنميم ـ منّاع للخير ـ معتد ـ أثيم ـ عتل ـ بعد ذلك ـ زنيم ـ ذا مال ـ أساطير ـ سنسمه على الخرطوم.

ج:

الكلمة	معناها
حلاّف	كثير الحلف بالباطل .
مهين	حقير ـ ذليل ـ ضعيف ـ كذاب[1] .
همّاز	عيّاب ـ طعّان ـ مُغتاب .
مشاء بنميم	ماشٍ بين الناس بالنميمة .
مناعٍ للخير	بخيل بالمال ضنين به لا يؤدي حقوقه وأيضًا يمنع الناس من الإيمان .
معتد	ظالم للناس معتدٍ عليهم .
أثيم	مرتكب للآثام ـ متناول للمحرمات .
عتل	جافٍ شديدٌ في كفره[2] ـ معافى في بدنه فاحشٌ في خُلُقه ، شديد الخَلق ، رحيب الجوف ، أكول شروب ، ظلوم للناس ، فظ غليظ .

(١) قال الطبري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ: غير أن بعضهم وجَّه معنى المهين إلى الكذاب ، وأحسبه قال ذلك ؛ لأنه رأى أنه إذا وُصف بالمهانة ، فإنما وصف بها لمهانة نفسه كانت عليه ، وكذلك صفة الكذوب إنما يكذب لمهانة نفسه عليه .

(٢) قال القرطبي : وكلُّ شديدٍ قويٍّ فالعرب تسميه عُتُلاً .

الكلمة	معناها
بعد ذلك	مع ذلك .
زنيم	لئيم ـ دَعِيٌّ (مُلحق بغير أبيه) مريب[١] .
ذا مال	صاحب مال .
أساطير	قصص وخرافات .
سنسمه على الخرطوم	سنعلمه بعلامةٍ علىٰ أنفه يُعرف بها[٢] .

(١) قال ابن كثير : والأقوال في هذا كثيرة ، وترجع إلىٰ ما قلناه وهو : أن الزنيم هو المشهور بالشر ، الذي يعرف به من بين الناس .

وأورد الطبري بيت شعر فيه :

زنيمٌ ليس يُعرف من أبوه بغي الأم ذو حسب لئيم

(٢) ومنه قولهم : وسم الشخص ميسم سوء ، أي : ألصق به عارٌ لا يُفارقه .

س ـ لماذا نهينا عن طاعة الحلاف المهين؟

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وذلك أن الكاذب لضعفه ومهانته إنما يتقي بأيمانه الكاذبة التي يجترئ بها علىٰ أسماء الله تعالىٰ، واستعمالها في كل وقت في غير محلها.

قلت: وقد قال تعالىٰ في شأن أهل النفاق: ﴿**اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ [المجادلة: ١٦]. أي: وقاية يتقون بها.

❊ ❊ ❊

س ـ اذكر بعض الوارد في عقوبة النمام.

ج: من ذلك: ما أخرجه البخاري ومسلم(١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر النبي ﷺ بقبرين فقال: «**إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير؛ أما أحدهما: فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر: فكان يمشي بالنميمة**» ثم أخذ جريدة رطبةً فشقها نصفين، فغرز في كل قبرٍ واحدةً.

قالوا: يا رسول الله، لم فعلت هذا؟! قال: «**لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا**».

وما أخرجه البخاري ومسلم(٢) أيضًا من حديث حذيفة رضي الله عنه

---

(١) البخاري (حديث ٢١٨)، وفي غير موضع من «صحيحه»، ومسلم (١١١/ ٢٩٢).

(٢) البخاري (حديث ٦٠٥٦)، ومسلم (١٦٨ـ١٦٩ـ١٧٠/ ١٠٥) كتاب الإيمان.

قال الحافظ ابن حجر رحمه اللّه تعالىٰ:

قوله: (قتات): بقاف ومثناة ثقيلة وبعد الألف مثناة أخرىٰ، هو: النمام، ووقع بلفظ: «نمام» في رواية أبي وائل عن حذيفة عند مسلم، وقيل: الفرق بين القتات والنمام أن النمام الذي يحضر القصة فينقلها، والقتات الذي يتسمع من حيث لا يعلم به، ثم ينقل ما سمعه.

قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لا يدخل الجنة قتّات**» والقتات هو: النمام، وقد ورد ذلك صريحًا في رواية لمسلم وقد ورد في الباب حديث آخر في إسناده ضعف قريب[1]، وهو ما أخرجه أحمد وغيره من طريق شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد: أن النبي ﷺ قال: «**ألا أخبركم بشراركم؟ المشاءون بالنميمة، المفسدون بين الأحبة، الباغون للبرآء العنت**».

❋ ❋ ❋

= قال الغزالي ما ملخصه: ينبغي لمن حملت إليه نميمة أن لا يصدق من نمَّ له، ولا يظن بمن نم عنه ما نقل عنه، ولا يبحث عن تحقيق ما ذكر له، وأن ينهاه ويقبح له فعله، وأن يبغضه إن لم ينزجر، وأن لا يرضى لنفسه ما نهى النمام عنه فينم هو على النمام فيصير نمامًا.

قال النووي: وهذا كله إذا لم يكن في النقل مصلحة شرعية، وإلا فهي مستحبة أو واجبة، كمن اطلع من شخص أنه يريد أن يؤذي شخصًا ظلمًا فحذره منه. وكذا من أخبر الإمام أو من له ولاية بسيرة نائبه مثلاً، فلا منع من ذلك.

وقال الغزالي ما ملخصه: النميمة في الأصل: نقل القول إلى المقول فيه، ولا اختصاص لها بذلك، بل ضابطها كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه أو غيرهما، وسواء كان المنقول قولاً أم فعلاً، وسواء كان عيبًا أم لا، حتى لو رأى شخصًا يخفي ماله فأفشى كان نميمة.

واختلف في الغيبة والنميمة هل هما متغايرتان أو متحدتان؟ والراجح التغاير، وأن بينهما عمومًا وخصوصًا وجهيًا، وذلك لأن النميمة نقل حال الشخص لغيره على جهة الإفساد بغير رضاه سواء كان بعلمه أم بغير علمه، والغيبة ذكره في غيبته بما لا يرضيه، فامتازت النميمة بقصد الإفساد، ولا يشترط ذلك في الغيبة، وامتازت الغيبة بكونها في غيبة المقول فيه، واشتركتا فيما عدا ذلك، ومن العلماء من يشترط في الغيبة أن يكون المقول فيه غائبًا، والله أعلم.

(١) أحمد في «المسند» (٦/ ٤٥٩)، وفي إسناده شهر بن حوشب متكلمٌ فيه.

س ـ ما معنى ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ في قوله: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾؟

ج: كلمة ﴿بَعْدَ﴾ معناها هنا: مع، أي: مع المذكور من أوصافه الخبيثة السيئة من كونه حلافٍ مهينٍ همازٍ مشاءٍ بنميمٍ مناع للخير معتد أثيم، فهو مع ذلك كله عتل زنيم كما يُقال: «فلان ـ على سبيل المثال ـ رجل مغتاب وظالم وباغٍ، ويفسد بين الناس ويعتدي عليهم بالضرب والسباب» فتقول أنت: وهو بعد ذلك يقتل ويسرق ويزني. أي: مع المذكور كله فهو يقتل ويسرق ويزني.

* * *

س ـ اذكر بعض ما ورد في ذم العُتل.

ج: من ذلك: ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث حارثة بن وهب الخزاعي قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعِّفٍ لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عُتُلٍّ جوَّاظ مستكبر**»

* * *

س ـ هل ورد عن رسول الله ﷺ شيءٌ في تفسير «العُتل الزنيم»؟

ج: قد وردت في ذلك أحاديث لكنها لا تخلو من مقال منها:

ما أخرجه الإمام أحمد[1] في «مسنده» من طريق عبد الرحمن بن غنم قال: سئل رسول الله ﷺ عن العُتُل الزنيم؟ فقال: «هو الشديد الخَلْق

---

(١) البخاري (حديث ٤٩١٨)، ومسلم (حديث ٢٨٥٣).

(٢) أحمد في «المسند» (٤/ ٢٢٧)، وفي سنده ضعف وإرسال.

المصحح، الأكول الشروب، الواجِدُ للطعام والشراب، الظَّلُومُ للناس، رحب الجوف».

وأخرج الطبري [(١)] بإسنادٍ مرسل من طريق القاسم ـ مولىٰ معاوية ـ قال: سئل رسول الله ﷺ عن العُتلِّ الزنيم؟ قال: «**الفاحش اللئيم**».

وأخرج أيضًا من مرسل زيد بن أسلم قال: قال رسول الله ﷺ: «**تبكي السماء من عبدٍ أصحَّ الله جسمه، وأرحب جوفه، وأعطاه من الدنيا مِقضمًا، فكان للناس ظلومًا، فذلك العتل الزنيم**».

* * *

س ـ متى هذا الوسم المذكور في قوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾؟

ج: من أهل العلم من قال: إن هذا الوسم في الدنيا، قالوا: فقد وُسم بالسيف علىٰ أنفه يوم بدر.

ومن العلماء من قال: إنه في الآخرة، كما قال تعالىٰ: ﴿**يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ**﴾ [الرحمن: ٤١].

س ـ المال والبنون ـ يحملان في كثيرٍ من الأحيان على الطغيان، دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالىٰ: ﴿ **كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ** ﴾ [العلق: ٦، ٧] أي:

---

(١) الطبري (٣٤٥٩٨، ٣٤٦٠٢).

إن رأىٰ نفسه مستغنيًا عن الناس بدأ في الطغيان.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ﴾

[الإسراء: ٨٣، وفصلت: ٥١]

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ [هود: ١٠].

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: ألِكَونه من أصحاب الأموال والأولاد يُكذِّب بآياتنا ويقول عنها: إنها أساطير الأولين؟!!

الثاني: أتطيع هذا الهماز المشاء بالنميم لكونه ذا مال وبنين؟!!

الثالث: لا تطع هذا الهماز المشاء بالنميم وإن كان ذا مال وبنين.

الرابع: أهكذا يقابل نعم الله بالكفر بآيات الله والإعراض عنها؟!

الخامس: أيمشي بين الناس بالنميمة لكونه ذا مال وبنين؟!

* * *

قصة أصحاب الجنة

إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا
يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ
كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ
صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم
مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ
﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾
قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ
يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا
مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ
كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي:

بلوناهم ـ أصحـاب الجنة ـ ليصرمنهـا ـ مصبحين ـ ولا يستثنون ـ طائف ـ الصـريم ـ فتنـادوا مصـبحين ـ اغـدوا ـ إن كنتم صـارمين ـ يتخافتون ـ غدوا ـ حردٍ ـ ضالون ـ أوسطهم ـ تسبحون ـ يتلاومون ـ طاغين ـ راغبون.

ج:

الكلمـــــة	معنـــاهــــــــا
بلوناهم	اختبرناهم ـ امتحناهم.
أصحاب الجنَّة	أصحاب الحديقة (البستان).
ليصرمنها	ليجدُّنها ـ ليقطعن ثمرها، والجداد قطع الثمر.
مصبحين	في الصباح.
لا يستثنون	لا يقولون: إن شاءالله، فالاستثناء هنا هو قول: إن شاء الله. ومن العلماء من قال: لا يخرجون حق الفقراء المساكين.
طائف	شيءٌ من عند الله، نار أحرقتها. بلاء حلَّ بها فذهب بثمارها. طارقٌ طرقها. فدمرها.
الصريم	الليل الأسود شديد الظلمة ـ الرماد الأسود: البستان الذي صُرم ثمره وقُطع.
فتنادوا مصبحين	نادىٰ بعضهم بعضًا في الصباح.
اغدوا	اخرجوا إلىٰ حديقتكم صباحًا مبكرين.
إن كنتم صارمين	إن كنتم تريدون اجتناء الثمر.
يتخافتون	يُحدث بعضهم بعضًا سرًا حتىٰ لا يسمعهم الناس.

الكلمــــة	معنـاهـــــا
غدوا	خرجوا صباحًا مبكرين.
حردٍ	جدٍ - غيظ وحنق (على الفقراء والمساكين)[1] - قصدٍ وتعمدٍ وحرصٍ (لحرمان الفقراء).
ضالون	تائهون - مخطئون للطريق.
أوسطهم	أعقلهم - أعدلهم - أرجحهم عقلاً[2].
تسبحون	تقولون: إن شاء الله - تسبحون الله وتنزهونه عن الظلم.
يتلاومون	يلوم بعضهم بعضًا.
طاغين	متجاوزين الحد في الظلم.
راغبون	لاجئون - راجعون - طامعون في فضل الله.

(١) ومنه قول الشاعر:

أُسُودُ شرًى لاقَتْ أُسودًا خفيةً تَسَاقوا على حردٍ دماء الأساود

وأسود الشرى هي أشد الأسود ضراوةً.

(٢) ومنه قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

س ـ من هم أصحاب الجنة المعنيون بقوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾؟

ج: هم أصحاب حديقة ـ بستان ـ عزموا على حرمان الفقراء والمساكين حقهم، فانتقم الله منهم وابتلاهم بما ذكره في كتابه.

ومن العلماء من قال: إنهم كانوا قومًا من أهل اليمن وكان أبوهم صالحًا، وكان يعمل في حديقته بأمر الله ويتقي الله في ثمرته، فلما مات اجتمع أبناؤه وعزموا على حرمان الفقراء والمساكين.

قلت: أما كونهم من أهل اليمن وكون أبيهم كان يعمل فيها بالصلاح؛ فلم أقف له على شيء مُسندٍ صحيح من سنة رسول الله ﷺ.

وعلى كلٍّ فالعبرة مأخوذةٌ من القصة بلا شك.

* * *

س ـ ما فائدة التذكير بأصحاب الجنة؟

ج: ذلك ـ والله أعلم ـ ليتخذ أهلُ الإيمان منها طريقًا إلى الشكر والصبر شكرًا لله على ما أنعم عليهم ببعثة نبيهم ﷺ، وصبرًا على ما يلحقهم من المشركين من أذى، فالله ينتقم من الظالم.

وذلك أيضًا: ليتخذ أهل الإيمان من ذلك طريقًا لإحسان النوايا والإخلاص لله عز وجل.

ولتذكير أهل الكفر أيضًا بما حل بكل كفور، وبكل من لم يقدم شكرًا لله على ما أنعم به عليه. والله أعلم.

س ـ قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ من هؤلاء الذين ابتلاهم الله عزَّ وجل؟ وما وجه الشبه بين ابتلائهم وابتلاء أصحاب الجنة؟

ج: هؤلاء الذين ابتلاهم الله هم المشركون من أهل مكة.

ووجه الشبه بين ابتلائهم وابتلاء أصحاب الجنة من ناحية كونه ابتلاء بالنعم فأصحاب الجنة ابتلاهم الله ببستان أثمر من كل زوج بهيج فلم يقدموا لذلك شكراً، فذهب الله بثمرته ودمره تدميراً.

وأهل مكة ابتلاهم الله ببعثة النبي محمد ﷺ فيهم هادياً ومبشراً ونذيراً، وابتلاهم بالقرآن، وابتلاهم أيضًا بما أنعم به عليهم من المال والجاه والولد والسيادة، فلم يقدموا لذلك شكراً فانتقم الله منهم أيضًا، وحل بهم من البلاء ما حلَّ يوم بدر.

وحل بهم ما حل من الجوع ونقص الثمرات ما حل، كما قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢]، وهذه سنة لله مطردة في العباد في كثير من الأحيان يبتليهم بالسراء لعلهم يشكرون، فإذا لم يقدموا شكراً ابتلاهم بالضراء والعكس أيضًا كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥] وكما قال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

وكما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ

وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ (٩٤) ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا﴾ .

[الأعراف: ٩٤ ـ ٩٥]

وكما قال تعالىٰ: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ**﴾ [الأنعام: ٤٢]. والله أعلم.

* * *

س ـ لماذا أقسموا ليصرمنها مصبحين؟

ج: ذلك لئلا يعلم بهم فقير ولا سائل ولا مسكين، ليتوفر ثمرها لهم ولا يتصدقوا منه بشيء.

* * *

س ـ الله سبحانه وتعالى يثيب على النوايا الحسنة ويعاقب على النوايا السيئة دلّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالىٰ في شأن أهل الإيمان: ﴿**فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا**﴾ [الفتح: ١٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ**﴾ [الأنفال: ٧٠].

وقال النبي ﷺ: «**إن بالمدينة لرجالاً ما سرتم سيراً، ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم ـ وفي رواية: إلا شركوكم في الأجر ـ حبسهم العذر**»، وفي رواية: «**حبسهم المرض**»[١].

(١) البخاري (حديث ٤٤٢٣)، ومسلم (حديث ١٩١١) من حديث أنس رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

وقال النبي ﷺ أيضًا: «**المرء مع من أحب**»[1]، والحُب مَحَلّه القلب.

وفي المقابل يقول تعالى: ﴿**وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [الحج: ٢٥]. والإرادة محلها القلب.

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾ [النور: ١٩]، والحب محله القلب كما تقدم.

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**﴾ [الحجرات: ١٢]، وبالاتفاق فالحاسد مذمومٌ وآثم.

وأيضًا: فقد قال تعالى: ﴿**وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ**﴾ [البقرة: ٢٢٥]

وهاهم أصحاب الجنة (الحديقة) لما أضمروا الشر وعزموا على حرمان الفقراء والمساكين، طاف على جنتهم طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم.

وأخرج البخاري ومسلم[2] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**يقول الله: إذا أراد عبدي أن يعمل سيئةً فلا تكتبوها عليه حتى يعملها، فإن عملها فاكتبوها بمثلها، وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنةً، وإذا أراد أن يعمل حسنةً فلم يعملها فاكتبوها له حسنة، فإن عَمِلها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبعمائة**».

أما بالنسبة لحديث النفس العابر غير المستقر بالقلب فإن هذا لا مؤاخذة عليه؛ لما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال:

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦١٦٨)، ومسلم (٢٦٤٠).

(٢) البخاري (حديث ٧٥٠١)، ومسلم (حديث ١٢٨).

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تجاوز لي عن أمتي ما وسوست به صدورها ما لم تعمل أو تكلم**»[1] .

قال النووي رحمه الله (١ / ٣٣٦) بعد أن ذكر الأحاديث:

«قال الإمام المازري رحمه الله : مذهب القاضي أبي بكر بن الطيب رحمه الله أن من عزم على المعصية بقلبه ووطن نفسه عليها أثم في اعتقاده وعزمه، ويحمل ما وقع في هذه الأحاديث وأمثالها على أن ذلك فيمن لا يوطن نفسه على المعصية، وإنما مر ذلك بفكره من غير استقرار ويسمى هذا همًا، ويفرق بين الهمّ والعزم. هذا مذهب القاضي أبي بكر، وخالفه كثير من الفقهاء والمحدثين وأخذوا بظاهر الحديث.

قال القاضي عياض رحمه الله:

عامة السلف وأهل العلم من الفقهاء والمحدثين على ما ذهب إليه القاضي أبو بكر للأحاديث الدالة على المؤاخذة بأعمال القلوب، لكنهم قالوا: إن العزم يكتب سيئة، وليست السيئة التي همَّ بها لكونه لم يعملها وقطعه عنها قاطع غير خوف الله تعالى والإنابة، لكن نفس الإصرار والعزم معصية فتكتب معصية، فإذا عملها كتبت معصية ثانية، فإن تركها خشيةً لله تعالى كتبت حسنة، كما في الحديث: «**إنما تركها من جرَّاي**»، فصار تركه لها لخوف الله تعالى ومجاهدته نفسه الأمَّارة بالسوء في ذلك وعصيانه هواه حسنة، فأما الهم الذي لا يكتب فهي الخواطر التي لا توطن النفس عليها ولا يصحبها عقد ولا نية وعزم، وذكر بعض المتكلمين خلافًا فيما إذا تركها لغير خوف الله تعالى، بل لخوف الناس هل تكتب حسنة؟ قال: لا؛ لأنه إنما حمله على تركها الحياء، وهذا ضعيف لا وجه له.

(١) أخرجه البخاري (حديث٢٥٢٨)، ومسلم (حديث ١٢٧).

هذا آخر كلام القاضي وهو ظاهر الحسن لا مزيد عليه.

وقد تظاهرت نصوص الشرع بالمؤاخذة بعزم القلب المستقر، ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢] والآيات في هذا كثيرة، وقد تظاهرت نصوص الشرع وإجماع العلماء علىٰ تحريم الحسد واحتقار المسلمين وإرادة المكروه بهم، وغير ذلك من أعمال القلوب وعزمها، والله أعلم.

* * *

س ـ قوله تعالى: ﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾، قادرون على ماذا؟

ج: قادرون بزعمهم علىٰ اجتناء ثمرة بستانهم، ظانين أنهم قادرون علىٰ ذلك لا يحول بينهم وبين ذلك حائل.

* * *

س ـ وضح المراد بقولهم: ﴿إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾.

ج: ذلك ـ والله أعلم ـ أنهم لما سلكوا طريق جنتهم ووجدوها قد حلَّ بها ما حل، ونزل بها ما نزل ظنوا أنها ليست بجنتهم، وأنهم قد أخطأوا الطريق ثم استفاقوا فقالوا: بل هذا هو الطريق، وهذه هي جنتنا ولكنها احترقت، وقد حُرمنا لعزمنا علىٰ حرمان المساكين.

* * *

س ـ وضح معنى قول أوسطهم لهم: ﴿لَوْلا تُسَبِّحُونَ﴾.

ج: **هذا ـ والله أعلم ـ معناه:** لولا تنزهون الله عما لا يليق به، ومن ذلك ظنكم أنكم تقدرون على جني ثمرة حديقتكم، وتستطيعون ذلك بمعزلٍ عن إرادة ربكم.

ومن ذلك أيضًا: ظنكم أن الله ظلمكم إذ أمركم بإخراج حق الفقراء والمساكين. والله أعلم.

* * *

س ـ لماذا أُطلق الاستثناء وهو قوله: ﴿إن شاء الله﴾ على التسبيح؟

ج: ذلك لأن المعنى متقارب: فالتسبيح تنزيه الله عن النقص والعجز والسوء والمكروه، والاستثناء تعظيم الله عز وجل والإقرار بأن أحدًا لا يستطيع فعل شيءٍ إلا بإذنه، فمن ثَم قولنا: «إن شاء الله» متضمِّنٌ لإثبات قدرة الله عز وجل ونفي العجز عنه، وأن أحدًا لا يستطيع فعل شيء إلا إذا أراده الله وأعانه الله عليه. والله أعلم.

* * *

س ـ ما وجه قولهم بعد أن ذهبت جنتهم ودمِّرت: ﴿سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾؟

ج: **وجه ذلك:** أنهم نزَّهوا ربهم عزَّ وجل عن الظلم، فكأنهم قالوا: تنزيهًا لربنا عن أن يكون ظالمًا فيما فعل بنا بل نحن الظالمون.

* * *

س ـ عند الجِد وظهـور الحق يتنصل كل صاحب من صاحـبه. دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلـة علـى ذلك: قـوله تعـالىٰ: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ﴾ [القلم: ٣٠]وذلك لما دُمرت جنتهم وذهب ثمرها.

ومن ذلك أيضًـا: قـوله تعـالىٰ: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧].

والأدلة علىٰ ذلك كثيرة متعددة.

* * *

س ـ وضح معنى قولهم: ﴿يَا وَيْلَنَا﴾.

ج: كـأن المعنىٰ: أنهم نادوا الويـل؛ فـقـالوا: يا ويلنـا تعـال فـهـذا وقت حضورك.

* * *

س ـ وضح مـعنى قــوله تعـالى: ﴿وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

ج: المعنى ـ والـله أعلم ـ: لو كـان هؤلاء المشركـون يعلمـون أن عقـوبة الله عزَّ وجل لأهل الشرك به أكبر من عقوبته لهم في الدنيا؛ لارتدعوا وتابوا وأنابوا، ولكنهم بذلك جهالٌ لا يعلمون.

* * *

س ـ هل أصحاب الجنة هؤلاء من أهل النار أم من أهل الجنة؟

ج: الله أعلم بهم وبمآلهم، والظاهر: أنهم تابوا إذ قالوا: ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ [القلم: ٣٢] والتوبة تجبُّ ما قبلها وتُقبل من العبد ما لم يغرغر.

* * *

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي:

تدرسون ـ تخيَّرون ـ بالغةٌ ـ زعيم ـ شركاء

ج:

الكلمة	معناها
تدرسون	تقرأون .
تخيَّرون	تختارون ـ تشتهون .
بالغةٌ	مؤكدة ـ واصلة .
زعيم	كفيل ـ ضامن ـ قائم بالحجة والدَّعوىٰ .
شركاء	شركاء لله أرباب تفعل معهم هذا، وقيل: شهداء يشهدون لهم بصدق ما يدعونه .

س ـ لا يستوي المحسن والمسيء، ولا يستوي المسلم مع المجرم، دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالىٰ: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨]

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلا الْمُسِيءُ﴾ [غافر: ٥٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾. [القلم: ٣٥]

وقوله تعالىٰ: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لاَّ يَسْتَوُونَ﴾ [السجدة: ١٨].

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله تعالى:

وقوله: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ يقول تعالىٰ ذكره: أفنجعل أيها الناس في كرامتي ونعمتي في الآخرة الذين خضعوا لي بالطاعة، وذلوا لي بالعبودية، وخشعوا لأمري ونهيي، كالمجرمين الذين اكتسبوا المآثم، وركبوا المعاصي، وخالفوا أمري ونهيي؟ كلاَّ، ما الله بفاعل ذلك.

وقوله: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ أتجعلون المطيع لله من عبيده والعاصي له منهم في كرامته سواء؟! يقول جلّ ثناؤه: لا تسوّوا بينهما فإنهما لا يستويان عند الله، بل المطيع له الكرامة الدائمة، والعاصي له الهوان الباقي.

قال القرطبي رحمه الله تعالى:

وكان صناديد قريش يرون وفور حظّهم من الدنيا وقلّة حظوظ المسلمين منها؛ فإذا سمعوا بحديث الآخرة وما وعد الله المؤمنين قالوا: إن صحَّ أنا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يكن حالنا وحالهم إلا مثل ما هي في الدنيا، وإلا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا، وأقصى أمرهم أن يساوونا. فقال: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ أي: كالكفار.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾، وقوله: ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾.

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ: ألكم يا أهل الشرك ـ يا من سوَّيتم بين المسلمين والمجرمين في الأجر والمثوبة ـ ألكم يا هؤلاء كتاب درستم فيه أن المسلم يستوي مع المجرم؟

ألكم يا أهل الشرك كتابٌ نزل من عند الله درستم فيه، ووجدتم فيه (إن لكم لما تخيرون) إن لكم الشيء تختارونه وتهواه نفوسكم. والآية كقوله تعالىٰ: ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

[الصافات: ١٥٦-١٥٧]

وكقوله تعالىٰ: ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ [الزخرف: ٢١].

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: ألكم عهودٌ على الله تعالىٰ حلف لكم بها

علىٰ ما تدعونه؟!

وهذه العهود (الأيمان) بالغة إلىٰ يوم القيامة مؤكدةٌ أن لكم الحكم الذي حكمتم به لأنفسكم.

ووجه آخر: هل حلف لكم ربكم؟ أو: هل وعدكم ربكم وأقسم لكم أيمانًا مؤكدة بأن لكم يوم القيامة ما تحكمون به لأنفسكم من السعادة؟!

وقوله: ﴿بَالِغَةٌ﴾ قد قدمنا معناه.

ووجه آخر: مؤكدةٌ لما عاهدناكم بها عهودًا لا تنقطع، وأخذتم بذلك منا مواثيق لا تنقطع أن لكم يوم القيامة ما تختارونه.

❊ ❊ ❊

س - وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم: هل لكم يا أهل الشرك أيمانٌ أقسمنا لكم بها، وعهود عهدنا بها إليكم تنتهي بكم إلىٰ يوم القيامة بأن لكم حكمكم، وبأنكم لن تعذبوا، وبأنكم أفضل من المؤمنين؟!

وهذا ظن أهل الشرك، ظنهم مع كفرهم بأنه إن كان هناك بعثٌ، فهم أيضًا خيرٌ من أهل الإيمان، كما قال قائلهم: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٦]، وقال الآخر: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠].

❊ ❊ ❊

س ـ على أي وجه يحمل الاستفهام في قوله تعالى: ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾؟

ج: هذا الاستفهام ـ والله أعلم ـ للتقريع والتوبيخ.

* * *

س ـ اسم الإشارة «ذلك» في قوله: ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾ إشارةً إلى ماذا؟

ج: ذلك إشارةً إلى الأيمان، فالمعنى: سل هؤلاء المشركين أيهم كفيل بأن لهم علينا أيمانا بأن لهم الجنة وبأنهم يستوون مع المؤمنين؟

والمعنى أيضًا: سلهم: من الذي يضمن لهم الحكم الذي حكموا به لأنفسهم، من أنهم سيعطون في الآخرة أفضل مما يُعطاه المؤمنون؟

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: أم لهم شركاء يتكفلون لهم بأن يعطوهم مرادهم ومطلبهم؟ فليأتوا بهؤلاء الشركاء إن كانوا صادقين في دعواهم.

وقيل: المعنى: أم لهم شهداء يشهدون لهم بصدق ما ادَّعوه ويوافقونهم على أقوالهم؟

وقيل: المعنى: أم لهم شركاء يظنونهم شركاء لله يكشفون عنهم الضر يوم القيامة ويحفظونهم في دنياهم من أمرنا. (والشركاء قيل: هي الأصنام).

يَوۡمَ يُكۡشَفُ

عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ
تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرۡنِي وَمَن
يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمۡلِي
لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ
﴿٤٦﴾ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن
كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾ لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن
رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ﴿٤٩﴾ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ
إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي:

خاشعة أبصارهم ـ ترهقهم ذلة ـ سالمون ـ سنستدرجهم ـ أملي لهم ـ كيدي متين ـ مغرم ـ صاحب الحوت ـ نادى ـ مكظوم ـ تداركه نعمة ـ نبذ بالعراء ـ مذموم ـ فاجتباه ـ ليزلقونك ـ الذِّكْر؟

ج:

الكلمة	معناها
خاشعة أبصارهم	ذليلة أبصارهم.
ترهقهم ذلة	تعلوهم وتغشاهم الذلة ـ يغشاهم ذلُّ الندامة والحسرة، وكما في الآية الكريمة: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ [عبس: ٤٠ـ٤١]
سالمون	آمنون ـ معافون ـ أصحاء.
سنستدرجهم	سنجرهم إلى العذاب ـ سنقربهم ـ سنأخذهم على غفلةٍ وهم لا يعرفون. والاستدراج: الإدناء على التدريج.
أُملي لهم	أؤخرهم ـ أمهلهم ـ أُنظرهم.
كيدي متين	تدبيري عظيم قويّ لمن خالف أمري وكذَّب رسلي واجترأ على معصيتي.
صاحب الحوت	هو يونس ـ عليه السلام.
نادى	دعا.
مكظوم	مكروب ـ ممتلئ كربًا وهمًا وغمًا ـ مغموم.
تداركه	تداركته نعمة ربه ولحقه فضله وثوابه.
نُبذ	طُرح بأرض الفضاء.
مذموم	ملوم ـ مذنب.

الكلمة	معناها
اجتباه	اختاره واصطفاه .
ليزلقونك	لينفذونك (كما ينفذ السهم من الرمية) - ليصرعونك - يركزون البصر إليك فيهلكونك - يغتالونك .
الذِّكر	القرآن .

س - وضح معنى قوله تعالى ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾؟

ج: أولاً: قد ورد في «الصحيحين»[1] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: قلنا: يا رسول الله هل نرىٰ ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل تُضارُّون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوًا؟» قلنا: لا، قال: «فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما» ثم قال: «ينادي مناد: ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون، فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم، وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم، حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر وغبراتٌ من أهل الكتاب، ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها سرابٌ، فيقال لليهود: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزيرًا ابن الله، فيقال: كذبتم لم يكن لله صاحبةٌ ولا ولدٌ، فما تريدون؟ قالوا: نريد أن تسقينا فيقال: اشربوا؛ فيتساقطون في جهنم، ثم يقال للنصارى: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال: كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولدٌ، فما تريدون؟ فيقولون: نريد أن تسقينا. فيقال: اشربوا. فيتساقطون حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر، فيقال لهم: ما يحبسكم وقد ذهب الناس؟ فيقولون: فارقناهم ونحن أحوجُ منا إليه اليوم، وإنا سمعنا مناديًا ينادي: ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون وإنما ننتظر ربنا. قال: فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا. فلا يكلمه إلا الأنبياء فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟ فيقولون: الساق. فيكشف عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن، ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعةً، فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقًا واحدًا».

(١) البخاري (حديث ٧٤٣٩)، ومسلم (حديث ١٨٣).

وقد رواه البخاري[١] مختصراً من حديث أبي سعيد أيضاً ولفظه: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رئاءً وسمعةً، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقًا واحدًا**».

ثانيًا: قد وردت عن ابن عباس رضي الله عنهما روايات متعددة عنه تصح بمجموعها مفادها: أن المراد بقوله تعالى: ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ**﴾ أنه الأمر الشديد، وإن اختلفت الألفاظ عنه بذلك، وأورد جملة من الآثار عنه بذلك الطبري ـ رحمه الله ـ في «تفسيره» ففي بعضها: ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ**﴾ قال: هو يوم حربٍ وشدة[٢]، وفي بعضها: ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ**﴾ قال: عن أمر عظيم[٣]، كقول الشاعر:

وقامت الحرب بنا على ساق

وفي أخرى[٤] هو: الأمر الشديد المفظع من الهول يوم القيامة.

وفي بعضها هو: شدة الأمر[٥] وجده، وفي بعضها: هي أول ساعة تكون في يوم القيامة[٦]، وفي بعضها: هي أشد ساعة تكون في يوم القيامة[٧].

وعند البيهقي في «**الأسماء والصفات**»: عن ابن عباس أيضًا أنه قرأ:

---

(١) البخاري (حديث ٤٩١٩).

(٢) الطبري (٣٤٦٦٩)، وهو صحيح لشواهده، وانظر الشواهد المشار إليها.

(٣) الطبري (٣٤٦٧٠).

(٤) (٣٤٦٧٣) الطبري.

(٥) الطبري (٣٤٦٧٤)..

(٦)، (٧) الطبري (٣٤٦٧٥).

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ يريد: القيامة والساعة لشدتها[١] .

وصح عن قتادة[٢] أنه قال: عن أمرٍ فظيع جليل .

* * *

س ـ وضح العامل في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾؟

ج: في ذلك قولان:

أحدهما: أن العامل فيه هو فعل: (اذكر) .

فيكون المعنى: واذكر يوم يكشف عن ساق .

الثاني: أن العامل في ﴿يَوْمَ﴾ هو: ﴿فَلْيَأْتُوا﴾ أي: أن المعنى: فليأتوا بشركائهم يوم يكشف عن ساق ليشفع الشركاء لهم .

* * *

س ـ هل هناك سجود يوم القيامة؟

ج: نعم هناك سجود يوم القيامة .

فأهل الإيمان ـ كما ورد في الحديث المتقدم ـ يسجدون لله سبحانه وتعالى عندما يكشف ربنا عزَّ وجل عن ساقه، وكذلك فرسولنا محمد ﷺ يسجد لله ـ كما في حديث الشفاعة الطويل، ففيه: «**فيأتوني فاستأذنُ على ربي في داره فيؤذن لي عليه، فإذا رأيته وقعتُ ساجدًا، فيدعني ما شاء الله أن يدعني فيقول: ارفعْ محمدُ، وقلْ يُسمعْ، واشفعْ تُشفَّعْ، وسلْ تُعط...**» الحديث[٣] .

---

(١) البيهقي في «الأسماء والصفات» (٧٤٨)، وانظر ما حولها من أسانيد هنالك .

(٢) الطبري (٣٤٦٧٧)، وإسناده حسن .

(٣) هو في نفس حديث أبي سعيد المتقدم (البخاري (٧٤٣٩) .

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾.

ج: هذه حال وجوه الكفار وأبصارهم يوم القيامة، إذْ يدعون إلى السجود فلا يستطيعون، فحينئذٍ تخشع أبصارهم، أي تُذل وتهان، وكذلك فأثر الذل يرهق الوجوه ويعلوها، كما قال تعالى: ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾ [عبس: ٤٠-٤١]، وكما قال سبحانه: ﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ [طه: ١١١].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

وقوله: ﴿ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾ أي: في الدار الآخرة بإجرامهم وتكبرهم في الدنيا، فعوقبوا بنقيض ما كانوا عليه، و لما دعوا إلى السجود في الدنيا فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم، كذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليه في الآخرة، إذا تجلى الرب ـ عز وجل ـ فسجد له المؤمنون، لا يستطيع أحد من الكافرين ولا المنافقين أن يسجد، بل يعود ظهر أحدهم طبقًا واحداً، كلما أراد أحدهم أن يسجد خرَّ لقفاه، عكس السجود، كما كانوا في الدنيا، بخلاف ما عليه المؤمنون.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: وقد كان هؤلاء الكفار يدعون في الدنيا إلى الصلاة ويسمعون المؤذن ينادي: حيّ على الصلاة، حيّ على الفلاح، ولا يمنعهم من إجابته مانعٌ من مرضٍ ولا خوفٍ ولا سفرٍ ولا غير ذلك، ومع

ذلك لا يجيبونه، بل ولا يُصلُّون بالكُلِّية ولا يجيبون داعي الله إذا دعاهم إلى طريق الله.

* * *

س ـ ما المراد بالحديث في قوله تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾، وضح معنى الآية الكريمة؟

ج: المراد به: القرآن الكريم.

أما إيضاح الآية الكريمة: فالآية بهذا السياق تحمل معنى التهديد الشديد والوعيد الأكيد للمكذِّب بالقرآن، الذي يزعم أنه سحر وشعرٍ وكهانة وكذب.

فالمعنى: دعني وهذا المكذب، فأنا أكفيكه وأنتقم منه، وأعاقبه أشد العقاب، وأستدرجه من حيث لا يعلم حتى أوقعه في أشد العذاب.

وهذه الآية الكريمة كقوله تعالى: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً (١١) إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيماً﴾ [المزمل: ١١-١٢].

وكقوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً﴾ [المدثر: ١١].

قال القاسمي رحمه الله تعالى في (محاسن التأويل):

﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ أي: كِلْهُ إليّ فإني أكفيكه، وهذا من بليغ الكناية. كأنه يقول: حسبك انتقاماً منه أن تكل أمره إليّ، وتخلّي بيني وبينه، فإني عالم بما يجب أن يفعل به، قادر على ذلك. ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ﴾ أي: سنكيدهم بالإمهال وإدامة الصحة، وزيادة النعم،

من حيث لا يعلمون أنه استدراج، وسبب لهلاكهم. يقال: «استدرجه إلىٰ كذا» أي: استنزله إليه درجة فدرجة حتىٰ يورّطه فيه.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: سنستدرجهم إلىٰ العذاب وهم لا يعلمون أنه عذاب بل يظنون أنهم إلىٰ خير، فيسرعون إلىٰ ما فيه هلاكهم وحتفهم وعذابهم، وهم يظنون أنهم سائرون إلىٰ ما فيه صلاحهم. وذلك كما في ملاحقة فرعون لموسىٰ، ففرعون يسرع وجندُه للحاق بموسىٰ ﷺ، حتىٰ تراءىٰ الجمعان، فقال أصحاب موسىٰ: إنا لمدركون، وكما قال تعالىٰ: ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ﴾ [الشعراء: ٦٤] أي: وقربنا هنالك ـ من البحر ـ فرعون وجنده فأغرقناهم.

ففرعون كان يُسرع للحاق بموسىٰ وهو لا يشعر أنه يسرع لهلاكه وغرقه.

وكما اجتهد صاحب الجنتين ـ الذي ذكر أمره في سورة «الكهف» ـ في الإنفاق علىٰ جنتيه وتحسينهما وهو لا يشعر أنه ينفق للزوال والهلاك. وكما خرج قارون في زينته فخسف به وبداره الأرض.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

قال تعالىٰ: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ يعني: القرآن، وهذا تهديد شديد، أي: دعني وإياه مني ومنه. أنا أعلم به كيف أستدرجه وأمده في غيه وأنظره، ثم آخذه أخذ عزيز مقتدر؛ ولهذا قال: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ﴾ أي: وهم لا يشعرون، بل يعتقدون أن ذلك من الله كرامة، وهو في نفس الأمر إهانة، كما قال: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن

مَّالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥] وقال: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤]. ولهذا قال هاهنا: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [القلم: ٤٥] أي: وأؤخرهم وأنظرهم وأمدهم، وذلك من كيدي ومكري بهم، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ أي: عظيم لمن خالف أمري، وكذب رسلي، واجترأ علىٰ معصيتي.

وفي «الصحيحين»[1] عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن الله ليملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته**. ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

* * *

س - وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: وأؤخر الكفار وأمهلهم ولا أعاجلهم بالعقوبة، وذلك حتىٰ يغتروا بما هم عليه من الكفر والجرائم والذنوب والآثام، فمن ثمَّ يقترفوا ما هم مقترفون ويرتكبوا ما هم مرتكبون ويزدادوا إثمًا، فيستحقوا عذابًا أشد وأعظم فحينئذٍ أُنزل بهم بأسي الذي لا يُرد عن القوم المجرمين، فأخذي ومكري وعذابي وانتقامي شديد، والآية كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

* * *

(١) البخاري (حديث ٤٦٨٦)، ومسلم (حديث ٢٥٨٣).

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: أَفَهُمْ مدينون دينًا كبيرًا قد تحملوه فأثقلهم ولم يستطيعوا أداءه، وأنت تطلب منهم أجرًا آخر على هدايتهم؟!

وكإيضاحٍ آخر: أتطلب منهم أجرًا على هدايتهم فيخشون إن هم اتبعوك أن تثقلهم الديون فيغرموا ولا يستطيعوا الأداء؟

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾.

ج: من العلماء من فسَّر الغيب هنا بـ: اللوح المحفوظ، فعليه؛ فالمعنى: ما المانع لهؤلاء الكفار من اتباعك؟ أعندهم اللوح المحفوظ الذي تكتب فيه المقادير من سعادة وفلاح وبؤس وشقاء، وغير ذلك، فهم يكتبون لأنفسهم ما شاءوا من حظوظ وأرزاق، ومن ثَمَّ لا فائدة لهم في اتباعك؟!

وقد يُفسر الغيب أيضًا بكل ما غاب، فعليه؛ فالمعنى: أفعند هؤلاء الكفار الذين كذبوك وعاندوك علمُ الغيب؟ فهم يختارون ما شاءوا ويتقون ما شاءوا، ويستكثرون من الخير ويتقون السوء والمكروه؟ والآية كقوله تعالى: ﴿أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ﴾ [النجم: ٣٥].

وفي الآية الأخرى: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

هذا وقد قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾ يقول: أعندهم اللوح المحفوظ الذي فيه نبأ ما هو كائن، فهم يكتبون منه ما فيه، ويجادلونك به، ويزعمون أنهم علىٰ كفرهم بربهم أفضل منزلة عند الله من أهل الإيمان به؟!

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾.

ج: في ذلك وجهان:

أحدهما: فاصبر لما حكم به ربك عليك وقضىٰ به عليك وقدَّره مِن تبليغ الرسالة والأذىٰ الذي ينالك من جرَّاء ذلك.

الثاني: اصبر انتظاراً لقضاء ربك الذي يقضي به بينك وبين قومك الذين عاندوك وحاربوك.

* * *

س ـ من صاحب الحوت؟

ج: هو نبي الله يونس ﷺ، وهو: يونس بن متَّىٰ، وهو: «ذو النون».

* * *

شيءٌ من قصة نبي الله يونس عليه السلام

س ـ وضح بشيءٍ من الإسهاب أمرَ صاحب الحوت؟

ج: أما صاحب الحوت فهو نبي الله يونس بن متىٰ ﷺ، وقد أرسله الله سبحانه وتعالىٰ إلىٰ أهل بلدة يُقال لها: «نينوىٰ»[1] من أرض «الموصل» بالعراق، فدعاهم إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، وحذَّرهم من عاقبة كفرهم الذي هم عليه وحذَّرهم من مغبة عصيانهم فأبوا عليه وتمردوا علىٰ أمره وخالفوه وعصوه، فغضب منهم وتعجل وخرج من بلادهم من غير إذن من الله له بالخروج، وترك لهم بلادهم واتجه إلىٰ ساحل البحر، ظنًا منه أن لن يُعاتب علىٰ هذا الضجر والغضب والعجلة في الخروج.

أما قومه فآمنوا بعد خروجه، كما قال تعالىٰ: ﴿**فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ**﴾ [يونس: ٩٨]

فاتجه يونس إلىٰ سفينة واستوقفها وركبها؛ كي يسافر بعيداً عن قومه الذين عاندوه وخالفوه، وكانت السفينة مليئة ومشحونة بالبضائع والركاب والأمتعة كما قال تعالىٰ: ﴿**إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ**﴾ [الصافات: ١٤٠] فلعبت الأمواج بالسفينة وخشي أهلها الغرق، فبدأوا يتخففون من الأحمال التي معهم بإلقائها في اليمِّ متاعًا تلو متاع، وبضاعة تلو بضاعة.

ولكن كل هذا لم يُجْدِ ولم ينفع، فبدأوا في أمرٍ آخر، وهو التفكير في

---

(١) وهذا رأي جمهور المفسرين.

التخفف من الأشخاص حتى تسلم لهم سفينتهم ويسلم جلُّ الركاب وإن غرق بعضهم، فبدأوا بالفعل في التفكير الجاد في إلقاء بعضهم في اليم لتخفيف الأحمال والأثقال، ولكن من يُلقى أولاً، فاتفقوا على أن يستهموا فيما بينهم لمعرفة من يُلقى، فوقع السهم على يونس ﷺ، كما قال تعالى: ﴿ **فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ** ﴾ [الصافات: ١٤١] فأُلقي يونس ﷺ في اليم، ولله الأمر من قبل ومن بعد، ولكن الله سبحانه وتعالى ـ وهو على كل شيء قدير ـ سخَّر ليونس عليه السلام حوتًا عظيمًا جاء يشق البحر، فابتلع يونس ﷺ، ولم تتناوله أسنانُه بأذىً لأمرٍ يريده الله ولأمرٍ قد قدَّره الله.

اتجه الحوت ويونس ﷺ في بطنه إلى قاع البحار، فهناك تراكمت على يونس ظلمات: ظلمة بطن الحوت، وظلمة قاع البحر، وظلمات الليل البهيم، فضلاً عما هو فيه من كربٍ وهمٍّ ونكدٍ وغمٍّ لكونه ذهب مغاضبًا وخرج بغير إذن من الله له بالخروج ولكنه حاول الحركة فبدأ يتحرك، فكان أول من كان من أمره أن قال مناديًا في الظلمات: ﴿ **أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [الأنبياء: ٨٧] تلك الدعوة التي ما دعى بها مكروب إلا وفرَّج الله همَّه، وكشف الله كربه بدأ عليه الصلاة والسلام في التسبيح: ﴿ **فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴾ [الصافات: ١٤٣ـ ١٤٤]، فسبحَّ وسبح وتاب واستغفر.

وهكذا المؤمنون لا يقنطون من رحمة الله، ولا ييأسون من روحه، فقد علموا عن الله عز وجل أنه غافر الذنب وقابل التوب، وعلموا عن رحمة الله عزَّ وجل أنها وسعت كل شيء، وعلموا أنه سبحانه كان للأوَّابين غفورًا، فاستغفرَ يونس واستغفرَ، وهلَّل ووحَّد وأخلص في الدعاء والله يجيب دعوة المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، سبح يونس واعترف

بالذنب، ونادىٰ ربَّه موحداً: ﴿أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] فعل ذلك في مكان لم يصل إليه بَشَرٌ حيٌّ بحالٍ من الأحوال، فحينئذ تداركته نعمة من ربه ولاقته رحمة ربه، فلكثرة تسبيحه وتهليله واستغفاره أنجاه الله تبارك وتعالىٰ، كما قال سبحانه: ﴿فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣-١٤٤].

أنجاه الله سبحانه بأن اتجه الحوت إلىٰ جانب البر فقذف يونس عليه السلام ونبذه - أي طرحه - بالعراء ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ١٤٥]، أي: وهو مريض، ومن فضل الله علىٰ هذا النبي الكريم أنه لم ينبذ بالعراء وهو مذموم، ولكنه نُبذ وهو سقيم، كما قال تعالىٰ: ﴿لَوْلا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ [القلم: ٤٩]، ولكن ربنا سبحانه وتعالىٰ اجتباه واختاره واصطفاه فجعله من الصالحين.

ثم إن ربنا سبحانه وتعالىٰ حفظه وأنبت عليه شجرة من يقطين (شجرة من القرع) فأظلته وسترته واستدفأ بها، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ [الصافات: ١٤٦] ثم أنعم الله عليه بإرساله ثانيةً، ومنَّ عليه بالدعوة إلىٰ الله عزَّ وجل، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧) فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الصافات: ١٤٧-١٤٨] فصلوات الله وسلامه علىٰ هذا النبي الكريم وعلىٰ نبينا محمد ﷺ أفضل صلاة وأزكىٰ تسليم.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالىٰ[1]:

﴿وَلا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾، يعني: ذا النون، وهو يونس بن متىٰ - عليه السلام - حين ذهب مغاضبًا علىٰ قومه، فكان من أمره ما كان من ركوبه في

(١) «التفسير»: «سورة القلم».

البحر والتقام الحوت له، وشرود الحوت به في البحار وظلمات غمرات اليم، وسماعه تسبيح البحر بما فيه للعليِّ القدير، الذي لا يُرد ما أنفذه من التقدير، فحينئذٍ نادىٰ في الظلمات: ﴿أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، قال الله تعالىٰ: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾. وقال هاهنا: ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ قال ابن عباس، ومجاهد، والسدي: مغموم.

وقال عطاء الخراساني، وأبو مالك: مكروب. وقد قدمنا في الحديث أنه لما قال: ﴿أَلاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾: خرجت الكلمة تحف حول العرش، فقالت الملائكة: يا رب، هذا صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة! فقال الله تعالىٰ: أما تعرفون هذا؟! قالوا: لا! قال: هذا يونس. قالوا: يا رب، عبدك الذي لا يزال يرفع له عمل صالح، ودعوة مجابة؟ قال: نعم. قالوا: أفلا ترحم ما كان يعمله في الرخاء فتنجيه من البلاء؟ فأمر الله الحوت فألقاه بالعراء، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

وقال أيضًا[1]:

قال أهل التفسير: بعث الله يونس ـ عليه السلام ـ إلىٰ أهل نينوىٰ، من أرض الموصل فدعاهم إلىٰ الله عز وجل، فكذبوه وتمردوا علىٰ كفرهم وعنادهم، فلما طال ذلك عليه من أمرهم خرج من بين أظهرهم ووعدهم حلول العذاب بهم بعد ثلاث.

---

(١) «قصص الأنبياء» (ص٢٦٥).

قال ابن مسعود ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وغير واحد من السلف والخلف: فلما خرج من بين ظهرانيهم، وتحققوا نزول العذاب بهم قذف الله في قلوبهم التوبة والإنابة، وندموا على ما كان منهم إلى نبيهم فلبسوا المسوح، وفرقوا بين كل بهيمة وولدها، ثم عجوا إلى الله عز وجل وصرخوا وتضرعوا إليه وتمسكنوا لديه، وبكى الرجال والنساء والبنون والبنات والأمهات، وجأرت الأنعام والدواب والمواشي، فرغت الإبل وفصلانها، وخارت البقر وأولادها، وثغت الغنم وحملانها، وكانت ساعة عظيمة هائلة، فكشف الله العظيم بحوله وقوته ورأفته ورحمته عنهم العذاب الذي كان قد اتصل بهم بسببه ودار على رءوسهم كقطع الليل المظلم، ولهذا قال تعالى: ﴿ **فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا** ﴾ [يونس: ٩٨] أي: هلاَّ وجدت فيما سلف من القرون قرية آمنت بكاملها، فدلَّ على أنه لم يقع ذلك، بل كما قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ** ﴾ [سبأ: ٣٤].

وقوله: ﴿ **إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ** ﴾ [يونس: ٩٨] أي: آمنوا بكمالهم.

وقال أيضًا:

واختلفوا: هل كان إرساله إليهم قبل الحوت أو بعده؟ أو هما أُمتان؟ على ثلاثة أقوال هي مبسوطة في «التفسير».

والمقصود: أنه ـ عليه السلام ـ لما ذهب مغاضبًا بسبب قومه ركب سفينة في البحر فلجت بهم، واضطربت وماجت بهم وثقلت بما فيها، وكادوا يغرقون على ما ذكره المفسرون، قالوا: فاشتوروا فيما بينهم على أن يقترعوا

فمن وقعت عليه القرعة ألقوه من السفينة ليتخففوا منه، فلما اقترعوا وقعت القرعة علىٰ نبي الله يونس، فلم يسمحوا به، فأعادوها ثانية، فوقعت عليه أيضًا، فشمر ليخلع ثيابه، ويلقي بنفسه، فأبوا عليه ذلك، ثمَّ أعادوا القرعة ثالثة، فوقعت عليه أيضًا لما يريده الله به من الأمر العظيم.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١٤٠) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (١٤١) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الصافات: ١٣٩-١٤٢]. وذلك أنه لما وقعت عليه القرعة ألقي في البحر وبعث الله - عز وجل - حوتًا عظيمًا من البحر الأخضر، فالتقمه، وأمره الله - تعالىٰ - أن لا يأكل له لحمًا ولا يهشم له عظمًا؛ فليس لك برزق، فأخذه فطاف به البحار كلها، وقيل: إنه ابتلع ذلك الحوت حوت آخر أكبر منه. قالوا: ولما استقر في جوف الحوت حسب أنه قد مات فحرك جوارحه، فتحركت فإذا هو حيٌّ فخرَّ لله ساجدًا وقال: يا رب، اتخذتُ لك مسجدًا في موضع لم يعبدك أحد في مثله.

وقد اختلفوا في مقدار لبثه في بطنه، فقال مجالد عن الشعبي: التقمه ضحىً ولفظه عشيةً. وقال قتادة: فمكث فيه ثلاثًا. وقال جعفر الصادق: سبعة أيام.

ويشهد له شعر أمية بن أبي الصلت:

وأنت بفضلٍ منك نجيت يونسًا وقد بات في أضعاف حوت لياليا

وقال سعيد بن أبي الحسن وأبو مالك: مكث في جوفه أربعين يومًا، واللهُ أعلم كم مقدار ما لبث فيه.

والمقصود: أنه لما جعل الحوت يطوف به في قرار البحار اللجية ويقتحم به

لجج الموج الأجاجي، فسمع تسبيح الحيتان للرحمن، وحتىٰ سمع تسبيح الحصىٰ لفالق الحب والنوىٰ ورب السموات السبع والأرضين السبع وما بينهما وما تحت الثرىٰ. فعند ذلك وهنالك قال ما قال بلسان الحال والمقال كما أخبر عنه ذو العزة والجلال الذي يعلم السر والنجوىٰ، ويكشف الضر والبلوىٰ سامع الأصوات وإن ضعفت، وعالم الخفيات وإن دقت، ومجيب الدعوات وإن عظمت، حيث قال في كتابه المبين المنزل علىٰ رسوله الأمين - وهو أصدق القائلين ورب العالمين وإله المرسلين -: ﴿**وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ**﴾ أي: إلىٰ أهله ﴿**مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨] ﴿**فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ**﴾ أن نضيق عليه. وقيل معناه: نقدر من التقدير، وهي لغة مشهورة، قَدَر وقدِر وقدَّر كما قال الشاعر:

فلا عائدٌ ذاكَ الزمانُ الذي مضى تباركْتَ ما تَقْدِرْ يَكُنْ فَلَكَ الأمرُ

﴿**فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ**﴾ قال ابن مسعود وابن عباس وعمرو بن ميمون وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب والحسن وقتادة والضحاك: ظلمة الحوت، وظلمة البحر، وظلمة الليل.

وقال سالم بن أبي الجعد: ابتلع الحوتَ حوتٌ آخر فصارت ظلمة الحوتين مع ظلمة البحر. وقوله تعالىٰ: ﴿**فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾ قيل: معناه: فلولا أنَّه سبَّح الله هنالك وقال ما قال من التهليل والتسبيح، والاعتراف لله بالخضوع، والتوبة إليه والرجوع إليه؛ للبث هنالك إلىٰ يوم القيامة، ولبعث من جوف ذلك الحوت. هذا معنىٰ ما رُوي عن سعيد بن جبير في إحدىٰ الروايتين عنه. وقيل: معناه: ﴿**فَلَوْلَا أَنَّهُ**

كَانَ﴾ من قبل أخذ الحوت له ﴿مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ أي: المطيعين المصلين الذاكرين الله كثيراً.

* * *

س ـ النهي في قوله تعالى: ﴿ وَلا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ ﴾ نهيٌ عن مشابهته في ماذا؟

ج: النهي هنا ـ والله أعلم ـ: نهيٌ عن مشابهته في الضجر والعجلة والغضب على قومه، ذلكم الأمر الذي آله به إلى أن تركهم وركب السفينة فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم، ذلكم الأمر الذي ملأه همًا وغمًّا وكربًا وحزنًا.

وليس المراد ولا تكن كصاحب الحوت في دعائه ونداءه.

وذلك لأن الدعاء والنداء فضل وبرٌّ وعملُ خيرٍ، وهما اللذان تسببا في نجاته، قال تعالى: ﴿فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

قال القرطبي رحمه الله:

أي: لا تكن مثله في الغضب والضجر والعجلة. وقال قتادة: إن الله تعالى يعزي نبيه ﷺ، ويأمره بالصبر ولا يعجل كما عجل صاحب الحوت.

وقال صديق حسن خان (فتح البيان):

﴿ وَلا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ يعني: يونس عليه السلام، أي: لا تكن مثله في الغضب والضجر والعجلة حتى لا تُبتلى ببلائه، ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ أي: لا يكن حالك كحاله، أو قصتك كقصته في وقت ندائه.

* * *

س ـ ما المراد بالنعمة في قوله تعالى: ﴿لَوْلا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾؟

ج: من أهل العلم من قال: إن المراد بالنعمة هنا: النبوة، فالمعنى: لولا أن الله قد جعله نبيًا.

ومنهم من قال: هو فضل الله عليه ونعمته عليه بعبادته السابقة، أي: فلولا عبادته السابقة التي تفضل الله بها عليه.

ومنهم من قال: هو نداؤه في بطن الحوت: ﴿**أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأنبياء: ٨٧].

ووجه آخر: وهو أن المعنى: لولا أن رحمه ربه.

* * *

س ـ وضح معنى قول النبي ﷺ: «لا ينبغي لأحد أن يقول: أنا خيرٌ من يونس بن متَّى» وبيِّن بعض ألفاظه.

ج: أما ألفاظ الحديث: فمنها ما يلي:

ما أخرجه البخاري(١) ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**ما ينبغي لعبدٍ أن يقول: إني خيرٌ من يونس بن متى**» ونسبه إلى أبيه.

ومنها: ما أخرجه البخاري(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا ينبغي لعبدٍ أن يقول أنا خيرٌ من يونس بن متَّى**».

---

(١) البخاري (حديث ٣٤١٣)، ومسلم (حديث ٢٣٧٧).

(٢) البخاري (حديث ٣٤١٦).

وفي رواية لمسلم[١] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال - يعني: الله تبارك وتعالى - «**لا ينبغي لعبدٍ لي أن يقول: أنا خير من يونس بن متى عليه السلام**».

وفي رواية عند البخاري[٢] «**ولا أقول: إن أحدًا أفضل من يونس بن متى**» وعند البخاري[٣] من حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يقولن أحدكم: إني خيرٌ من يونس بن متى**».

وعند البخاري[٤] أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من قال: أنا خيرٌ من يونس بن متى فقد كذب**».

وثمَّ ألفاظ أُخر لهذا الحديث.

أما معنى الحديث - والله تعالى أعلم -: فإن حملنا قوله: «**أنا**» على رسول الله ﷺ؛ فيكون المعنى: لا ينبغي لعبدٍ أن يفاضل بين النبي محمد ﷺ وبين نبي الله يونس عليه السلام وينتقص نبي الله يونس عليه السلام لكونه خرج مغاضبًا، ولكونه ساهم فكان من المدحضين.

ويحتمل أيضًا: أن هذا قد قاله النبي ﷺ تواضعًا ومن باب: «**لا تخيروني من بين الأنبياء**»، وفي لفظ: «**لا تفضلوا بين أولياء الله**»[٥]، وذلك محمولٌ على التفضيل المفضي إلى الشقاق، وإلى انتقاص بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

(١) مسلم (حديث ٢٣٧٦).

(٢) البخاري (حديث ٣٤١٥).

(٣) البخاري (حديث ٣٤١٢).

(٤) البخاري (حديث ٤٨٠٥).

(٥) أخرجه البخاري (حديث ٣٤١٤).

أو: يكون النبي قال ذلك قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم ﷺ.

فهذه بعض الوجوه، أما إذا حملنا قوله: «أنا» على العبد نفسه.

فالمعنى: لا ينبغي لعبدٍ أن يقول عن نفسه: أنا خيرٌ من يونس بن متى؛ لكون يونس عليه السلام ضجر وخرج من قومه مغاضبًا، وذلك لأن يونس عليه السلام نبي كريم، وقد اجتباه ربه فجعله من الصالحين، ومنَّ عليه بإرساله إلى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا، فله أجر هؤلاء ﷺ.

وها هي بعض أقوال أهل العلم في ذلك ـ وبالله التوفيق ـ:

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى[1]: قال العلماء: إنما قال ﷺ ذلك تواضعًا، إن كان قاله بعد أن أُعلم أنه أفضل الخلق، وإن كان قاله قبل علمه بذلك فلا إشكال. وقيل: خص يونس بالذكر لما يخشى على من سمع قصته أن يقع في نفسه تنقيصٌ له، فبالغ في ذكر فضله لسد هذه الذريعة.

قوله ﷺ: «**ولا أقول: إن أحدًا أفضل من يونس بن متى**» وفي رواية: «**إن الله تعالى قال: لا ينبغي لعبد لي يقول: أنا خير من يونس بن متى**»، وفي رواية عن النبي ﷺ قال: «**ما ينبغي لعبد يقول: أنا خير من يونس بن متى**»، قال العلماء: هذه الأحاديث تحتمل وجهين:

أحدهما: أنه صلى الله عليه وسلم قال هذا قبل أن يعلم أنه أفضل من يونس، فلما علم ذلك قال: أنا سيد ولد آدم ولم يقل هنا: إن يونس أفضل منه أو من غيره من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.

والثاني: أنه صلى الله عليه وسلم قال هذا زجرًا عن أن يتخيل أحد من

(١) «فتح الباري» (٦/ ٥٢١).

الجاهلين شيئًا من حط مرتبة يونس ﷺ، من أجل ما في القرآن العزيز من قصته، قال العلماء: وما جرىٰ ليونس ﷺ، لم يحطه من النبوة مثقال ذرة، وخص يونس بالذكر لما ذكرنا من ذكره في القرآن بما ذكر، وأما قوله ﷺ: «**ما ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس**» فالضمير في «**أنا**» قيل: يعود إلىٰ النبي ﷺ، وقيل: يعود إلىٰ القائل، أي: لا يقول ذلك بعض الجاهلين من المجتهدين في عبادةٍ أو علمٍ أو غيرِ ذلك من الفضائل فإنه لو بلغ من الفضل ما بلغ لم يبلغ درجة النبوة، ويؤيد هذا التأويل الرواية التي قبله وهي قوله تعالىٰ: «**لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متَّى**». والله أعلم.

* * *

س ـ ما هذا النداء الذي نادى به يونس عليه السلام: ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨]؟

ج: هذا مفسرٌ بقوله تعالىٰ: ﴿**فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأنبياء: ٨٧].

* * *

س ـ كيف تدفع ما قد يَرِدُ من إشكال على البعض من قوله تعالى: ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿لَوْلا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾؟

ج: الإشكال الذي قد يرد علىٰ البعض هو: أن الآية الأولىٰ تفيد أن يونس عليه السلام نُبذ بالعراء، والثانية قد تُفيد أنه لم يُنبذ بالعراء وهو مذموم.

فرفع الإشكال باختصار يتمثل في: أن يونس عليه السلام نُبِذ بالعراء،

لكنه لم يُنبذ وهو مذموم، بل نُبذ وهو سقيم (أي مريض) فعليه لا إشكال بين الآيتين.

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى في (أضواء البيان):

قوله تعالى: ﴿**لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ**﴾.

بيَّن تعالى أنه لم ينبذ بالعراء على صفة مذمومة، بل إنه تعالى أنبت عليه شجرة تظله وتستره، كما في قوله تعالى: ﴿**وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ**﴾. [الصافات: ١٤٦]

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

ج: بعد أن منَّ الله سبحانه وتعالى على نبيه يونس ﷺ وأنجاه من بطن الحوت منَّ عليه بمزيدٍ من الاجتباء والاصطفاء والاختيار، فقبل الله توبته وعُذْره، واستخلصه واصطفاه وجعله من الكاملين في الصلاح، وأرسله إلى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا، كما قال تعالى: ﴿**فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (١٤٥) وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ (١٤٦) وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧) فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ**﴾ [الصافات: ١٤٥-١٤٨].

* * *

بعض الفوائد المستنبطة
من قصة نبي الله يونس عليه السلام

س ـ اذكر بعض الفوائد المستنبطة من قصة نبي الله يونس ﷺ.

ج: من ذلك ما يلي:

أولاً: منزلة هذا النبي الكريم، وبيان أن الله اجتباه وجعله من الصالحين، وأرسله إلىٰ مائة ألف أو يزيدون فهداهم الله علىٰ يديه.

ثانيًا: التأنِّي، والصبر في الدعوة إلىٰ الله وعدم العجلة والضجر، إذ الله قال: ﴿**فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ**﴾ [القلم: ٤٨] يعني: لما ضجر وذهب مغاضبًا.

ثالثًا: الفضيلة العظمىٰ لقول: ﴿**لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾، وكيف كانت هذه الكلمة الطيبة سببًا في نجاة نبي الله يونس ﷺ كما قال تعالىٰ: ﴿**فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾ وفي الحديث عن رسول الله ﷺ[(١)] أنه قال: «**دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، إنه لم يدع بها مسلم في شيءٍ قط إلا استجاب الله له بها**».

رابعًا: يُستفاد من هذه القصة: دفع ظن خاطئ قد يظنه المسلم والمؤمن، فقد يتسرب إلىٰ المؤمن ظنٌ أنه لن يعاقب علىٰ ذنب لكونه قد آمن، وقد يظن

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٠٥) من حديث سعد بن أبي وقاص ـ رضي اللَّه عنه ـ مرفوعًا، وهو صحيح لشواهده، وقد سُقتُ شواهده في كتابي: «الصحيح المسند من أذكار اليوم والليلة».

أنه لن يضيق عليه لكونه قد أسلم، ولكن المتأمل للأحوال والمتدبر للكتاب والسنة يرىٰ أن المؤمن قد يُعاقب وقد يُعفىٰ عنه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورىٰ: ٣٠].

ونبي الله يونس ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧] أي: ظن أن الله لن يضيق عليه، فخرج فكان من أمره ما كان، كان أن التقمه الحوت وهو مليم.

وآدم ﷺ وزوجه لما أكلا من الشجرة حل بهما ما حل، فبعد أن كانا في نعمة وعافية وستر، فكان في الجنة لا يجوع فيها ولا يعرىٰ، ولا يظمأ فيها ولا يضحىٰ! فماذا كان بعد أن أكل من الشجرة؟! كان أن نزع عنه وعن زوجته لباسهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة، كان أن أُخرجا من الجنة وأهبطا إلىٰ الأرض حيث التعب والمشقة والنكد والأحزان، لولا أن تداركتهما نعمة الله ورحمته.

وأصحاب النبي ﷺ لما خالفوا أمر نبيهم ﷺ يوم أحدٍ حلَّ بهم ما حلَّ ونزل بهم ما نزل.

فجديرٌ بالمؤمن أن يتفطن لشؤم المعصية ويحذرها أشد الحذر ويحذر مغبتها وسوء عاقبتها.

خامسًا: نأخذ من سيرة هذا النبي الكريم وقصته أن الذي يُسير الأمور ويدبرها هو الله سبحانه وتعالىٰ، فمن الذي ساق الحوت في هذا التوقيت الذي أُلقي فيه يونس عليه السلام في اليم؟!

ومن الذي حفظ يونس عليه السلام من أسنان الحوت فلم تخدشه ولم يصب معها بمكروه وسوءٍ؟!!

وكيف وأن أمعاء الحوت وبطن الحوت لم تضر يونس عليه السلام بأدنىٰ ضرر؟!!

ثم كيف غاص به الحوت إلىٰ قاع البحار حيث الظلمات، فنادىٰ هنالك نداءه المذكور؟

ثم من الذي دفع الحوت إلىٰ جانب البر كي يقذف وينبذ يونس ﷺ؟

وتتعجب كيف ينبت الله عزَّ وجل عليه شجرة من يقطين في نفس الوقت والحين؟! فليطمئن المؤمنون إلىٰ تدبير ربهم عز وجل.

ليطمئن أولياء الله بوعد الله، وليثقوا بنصر الله فإن الله قال: ﴿**فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ**﴾[الأنبياء: ٨٨]، ثم قال: ﴿**وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ**﴾.

سادسًا: نأخذ من قصة يونس ﷺ جواز الاستهام ومشروعيته، وذلك من قوله تعالىٰ: ﴿**فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ**﴾ [الصافات: ١٤١] وقد قدمنا لذلك أدلة في سورة آل عمران عند تفسيرنا لقوله تعالىٰ: ﴿**وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ**﴾ [آل عمران: ٤٤].

سابعًا: نأخذ من قصة نبي الله يونس ﷺ: أن أهل الفضل والصلاح قد تصدر منهم زلات وهنات، ولكن ربنا كان للأوابين غفوراً.

ثامنًا: نأخذ من قصة نبي الله يونس ﷺ: أن الشخص لا ينبغي أن ييأس من رحمة الله، ولا يقنط من روح الله، فمهما ارتكب من آثام عليه أن يعلم أن رحمة الله قريب من المحسنين. فها هو يونس عليه السلام يقع فيما وقع فيه ولا يقنط بل يسبح ويقر بالذنب ويهلل ويوحد قائلاً: ﴿**لاَّ إِلَٰهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأنبياء: ٨٧].

تاسعًا: نأخذ من قصة هذا النبي الكريم أن الهادي هو الله سبحانه وتعالىٰ، وهو الذي ينعم بالإيمان، ويمنُّ بالرسالة علىٰ من يشاء.

* * *

س ـ لماذا كادوا أن يُزلقوا الرسول ﷺ بأبصارهم ويغتالوه بأعينهم لما سمعوا الذكر؟

ج: كادوا أن يفعلوا ذلك لكراهيتهم الشديدة للقرآن الكريم، والآية كقوله تعالىٰ: ﴿ **وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا** ﴾ [الحج: ٧٢].

❊ ❊ ❊

س ـ اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ ﴾.

ج: قال الرازي رحمه الله:

فيه وجوه:

أحدها: أنهم من شدة تحديقهم ونظرهم إليك شزراً بعيون العداوة والبغضاء يكادون يزلون قدمك، من قولهم: «نظر إليَّ نظراً يكاد يصرعني، ويكاد يأكلني» أي: لو أمكنه بنظره الصرع أو الأكل لفعله، قال الشاعر:

يتقارضون إذا التقوا في موطن ... نظراً يزل مواطئ الأقدام

وأنشد ابن عباس لما مرَّ بأقوام حدوا النظر إليه:

نظروا إليَّ بأعين محمرةٍ ... نظر التُّيوس إلى شِفار الجازر

وبيَّن الله تعالىٰ أن هذا النظر كان يشتدّ منهم في حال قراءة النبي ﷺ للقرآن وهو قوله: ﴿ **لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ** ﴾ [القلم: ٥١].

الثاني: منهم من حمله على الإصابة بالعين.

❊ ❊ ❊

بعض الأدلة على أن العين حقٌ

س ـ اذكر بعض الأدلة على أن العين حق؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾
[القلم: ٥١]

وقول يعقوب ـ عليه السلام ـ: ﴿يَا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ [يوسف: ٦٧].

ومن ذلك أيضًا: ما أخرجه مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**العين حقٌّ، ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين، وإذا استغسلتم فاغتسلوا**»(١).

وأخرج مالك في «الموطأ»، وأخرج غيره أيضًا بسندٍ صحيحٍ عن أبي أمامة ابن سهل بن حنيف(٢) أنه قال: رأىٰ عامر بن ربيعة سهل بن حنيف يغتسل، فقال: ما رأيت كاليوم؛ ولا جلد مخبأةٍ! ؛ فَلُبِطَ سهل، فَأُتِيَ رسول الله ﷺ فقيل: يا رسول الله، هل لك في سهل بن حنيفٍ؛ والله ما يرفع رأسه؟

---

(١) مسلم (ص١٧١٩).

(٢) وأبو أمامة بن سهل بن حنيف: من أكابر الأنصار وعلمائهم وثقاتهم، وجزم عددٌ من أهل العلم أنه ولد على عهد النبي ﷺ، إلا أنَّ روايته عن النبي ﷺ مرسلَة، وعلىٰ كلٍّ فمرسله من أحسن المراسيل، وخاصةً أنه يحكي هنا قصة حدثت لأبيه.

وقد جاء في بعض الطرق عند أحمد (٣/ ٤٨٦) عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف: أن أباه حدثه. . . ؛ فثبت بذلك الاتصال وكذلك عند الطبراني «المعجم الكبير» (٥٥٧٨): عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه.

فدلَّ ذلك على أن أبا أمامة أخذ الحديث عن أبيه، وعند الطبراني أيضًا (٥٥٧٩) من طريق =

فقال: «هَل تَتَّهِمُونَ لـه أحدًا»، قالوا: نتهم عامر بن ربيعة. قال: فدعا رسول الله ﷺ عامراً، فتغيظ عليه. وقال: «**عَلامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُم أَخَاهُ؟! ألا بَرَّكْتَ؟! اغتسل له**»، فغسل عامرٌ وجهه ويديه، ومرفقيه وركبتيه، وأطراف رجليه، وداخلة إزاره، في قدح، ثم صب عليه، فراح سهلٌ مع الناس، ليس به بأسٌ.

وفي الباب عدة أحاديث عن النبي ﷺ ذكرناها في تفسير سورة الفلق من تفسيرنا: «التسهيل لتأويل التنزيل».

* * *

س ـ اذكر كلمة عامة عن هذه السورة وما ورد فيها بإيجاز واختصار.

افتتحت هذه السورة الكريمة بحرف من الحروف المقطعة، شأنها في ذلك شأن كثير من السور وقد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في عدة سور من كتاب الله عز وجل التي تناولناها بالتفسير، ولكن هذا الحرف هنا قد يكون له مدلول ألصق بالسورة الكريمة، وبعض ما ذكر فيها، فقد ذكر فيها ذو

= أبي أمامة أن عامر بن ربيعة أخبره.

هذا، وإن كنا نرىٰ أن الأصوب رواية من رووه مرسلاً، إلا أن القرائن المذكورة تقوي أمر الحديث، ثم إن لمعناه شواهد صحيحه، أشرنا إليها في الأصل.

هذا، وبالنسبة لمن أخرجوا الحديث فمنهم: مالك في «الموطأ» (ص ٩٣٩)، وأحمد في «المسند» (٣/ ٤٨٦)، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (٤/ ٣٨١)، وابن ماجه «السنن» (٣٥٠٩)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤١٠ ـ ٤١١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٥٥٧٨) فما بعدها.

وقد أورده الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ «فتح الباري» (١٠/ ٢٠٤ ط. المعرفة)، وذكر عدداً من ألفاظه التي روي بها، فليراجعه هناك من شاء.

النون وهو نبي الله يونس عليه السلام، فلعل في هذا شيئا من الربط. والله أعلم.

ثم قسمٌ من الله عز وجل أقسمه ربنا سبحانه على سلامة نبيه ﷺ مما رماه به المكذِّبون الضالون من كونه ﷺ مجنونا، ثم أثبت الله الأجر الدائم العظيم الذي لاينقطع وأثنى على خلقه غاية الثناء، ثم يطمئن ربنا - سبحانه وتعالى - نبيه ﷺ، وينفي ما قد يتسرب إلى نفسه مما يرميه به المفترون الأفَّاكون، وفي الوقت الذي يطمئن الله فيه نبيه ﷺ، يتوَعَّد ربنا أهل الكفر والتكذيب بالوعيد الشديد وينهى نبيه ﷺ عن طاعتهم واتباعهم، ويحذره من خطواتهم ومكرهم ومداهنتهم، كل ذلك مع بيان مساوئ أخلاقهم وما هم عليه من الأيمان الكاذبة الفاجرة التي يتترسون بها ويستترون من ورائها، وما هم عليه كذلك من الهمز واللمز والسعي بالنميمة بين الناس، في الوقت الذي هم فيه أيضاً منَّاعون للخير معتدون على العباد ظلمةٌ لهم، وأثمةٌ في أنفسهم، كل ذلك مع جلافتهم، وغلظتهم وجفائهم وسوء منابتهم، مع اغترارهم بأموالهم وأولادهم وتكذيبهم للآيات، ووصفها بأنها أساطير الأولين.

ثم تهديد شديد ووعيد أكيد لهؤلاء بقوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ [القلم: ١٦] ثم يذكر ربنا - سبحانه وتعالى - نبيه والمؤمنين بأصحاب الجنة الذين تآمروا على حرمان الفقراء والمساكين حقوقهم، وعقَدوا العزم على ذلك وأقسموا وأكدوا الحرمان بالأيمان الغليظة التي لا يصاحبها حتى قول إن شاء الله، وكيف كان عاقبة صنيعهم وعاقبة تفكيرهم ونواياهم الخبيثة؟! وكيف حلَّ بهم ما حل ونزل بحديقتهم وبستانهم وثمرهم ما نزل، وما تبع ذلك من ندمهم، وتلاومهم ورجوعهم إلى الله عزَّ وجل، ثم بيان

بعض ما أعده الله للمتقين، ونفي المساواة بينهم وبين أهل الإجرام، ثم طائفة من الآيات لتبكيت المشركين وبيان بطلان مدعاهم وما هم عليه من الباطل.

ثم بيان بعض مشاهد القيامة، وما فيها من كراماتٍ وإهانة.

ثم تذكيرٌ بقصة نبي كريم وهو نبي الله يونس ـ عليه السلام ـ وما فيها من العِبَرِ والعِظَات.

ثم تحذير من أعين الظلمة، وبيان ضيق صدورهم وضجرهم عند سماع الذكر، ووصفهم لقائله بالجنون.

ثم ختام أيضًا بالدفاع عن النبي ﷺ كما بدأت السورة، وبيان أن هذا القرآن ذكرٌ للعالمين وبهذا يلتئم المطلع والختام.

ففي الجملة؛ فكلُّ مبتلىً ومهمومٍ يجد في كتاب ربه تسليةً وتذكيراً وعبرةً وعظة، ويوقن أن النصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا، وأن العاقبة للتقوىٰ. والحمد لله رب العالمين.



سورة الحاقة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ
وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ
فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ
وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ۖ فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ
نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن
قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً
رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ
تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي:

الحاقة ـ ما الحاقة ـ ثمود ـ عادٌ ـ القارعة ـ الطاغية ـ ريح صرصر ـ عاتية ـ سخرها عليهم ـ حسومًا ـ صرعى ـ أعجاز نخل ـ خاوية ـ ومن قبله ـ المؤتفكات ـ الخاطئة ـ رابية ـ طغا الماء ـ الجارية ـ تذكرة ـ تعيها ـ أذن واعية.

ج:

الكلمة	معناها
الحاقة	اسم من أسماء يوم القيامة[1]، عظّمه الله وحذَّر عباده منه.
ما الحاقة	أي شيءٍ هي الحاقة؟ وهو استفهام لتعظيم شأنها والتعجب مِن أمرها، ومن إحقاقها للحق.
ثمود	هم قوم نبي الله صالح عليه السلام.
عاد	هم قوم نبي الله هود عليه السلام.
القارعة	القيامة ـ الساعة التي تقرع قلوب العباد لأهوالها وشدتها.
الطاغية	الصيحة الشديدة التي أهمدتهم وأخمدتهم وأسكنتهم وقيل: الطاغية: طغيانهم وبغيهم إذ أنهم قد طغوا وبغوا.
ريح صرصرٍ	ريح شديدة البرد، شديدة العصوف.
عاتية	شديدَة الهبوب عتت على الخُزَّان «والخزان» جمع «خازن»[2].
سخرها عليهم	أرسلها عليهم ـ سلَّطها عليهم.

(١) قال ابن زيد ـ كما عند الطبري ـ (٣٤٧١٦) بإسناد صحيح عنه: ﴿الحاقة ما الحاقة﴾ و﴿القارعة ما القارعة﴾ والواقعة، والطامة، والصاخة، هذا كله يوم القيامة.

(٢) قال بعض أهل العلم: وهو منسوب إلى ابن عباس، لكن بسندٍ ضعيف عند الطبري =

الكلمـــــة	معنـاهــــــا
حسومًا	تباعًا ـ متتابعة متواصلة بلا انقطاع ولا فتور ـ قاطعة لهم فلم تُبق منهم أحدًا، كقول القائل: حسمت الأمر.
صرعى	هلكىٰ ـ موتىٰ.
أعجاز نخل	أصول نخل.
خاوية	فارغة، قال بعض العلماء: كانت الريح تدخل من أفواههم فتُخرج ما في أجوافهم.
ومن قَبلَهُ	والذين مِنْ قبله: كقوم عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم. وهناك قراءة أخرىٰ «ومَنْ قِبَله»، أي: من معه من أهل مصر من الأقباط، ومن عنده في زمانه.
المؤتفكات	مدائن قوم لوط، سميت بـ «المؤتفكات» لأنها ائتفكت بهم. أي: انقلبت بهم، كما قال تعالىٰ: ﴿والمؤتفكة أهوىٰ﴾ [النجم: ٥٣].
الخاطئة	الفعْلة الخاطئة.
رابية	شَديدة ـ زائدة مهلكة ـ عظيمة وأليمة.
طغا الماء	ازداد وكثر وتجاوز حده المعهود تجاوزًا شديدًا، فأصبح كما قال تعالىٰ: ﴿وهي تجري بهم في موج كالجبال﴾. وطغيان الماء هذا كان زمن نبي الله نوح عليه السلام وقد قال تعالىٰ: ﴿ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيونًا فالتقىٰ الماء علىٰ أمرٍ قد قُدر﴾.

= (٣٤٧٢٧) ما أرسل اللَّه من ريح قط إلا بمكيال، ولا أنزل قطرةً قط إلا بمثقال إلا يوم نوح ويوم عاد، فإن الماء طغىٰ علىٰ خُزَّانه فلم يكن لهم عليه سبيل، ثم قرأ: ﴿إنا لما طغىٰ الماء حملناكم في الجارية﴾ [الحاقة: ١١] وإن الريح عتت علىٰ خُزَّانها فلم يكن لهم عليها سبيل، ثم قرأ: ﴿بريح صرصر عاتية﴾ [الحاقة: ٦].

الكلمـــة	معنـاهـــا
الجارية	السفينة التي صنعها نبي الله نوح عليه السلام التي تجري على الماء وهي الفلك الذي قال الله فيه: ﴿واصنع الفلك بأعيننا ووحينا﴾ [هود: ٣٧].
تذكرة	عبرةً وموعظةً.
تعيها	تفهمها، وتفهم الحكمة منها ومما حدث للناس.
واعية	حافظة ـ سامعة مستفيدة بسماعها.

س ـ لماذا أطلق على يوم القيامة «حاقة»؟

ج: ذلك ـ والله أعلم ـ: لأن الأمور تتحقق فيها، فيتحقق ما وعد به الناس من خير أو شرٍ، ومن ثواب للمطيعين ومن عقاب للمسيئين، فيتحقق فيها الوعد والوعيد، ويُحَقُّ فيها الحقُّ، ويُبطل فيها الباطل.

وقيل أيضًا: أطلق عليها الحاقة؛ لكونها تتحقق من غير شك.

❊ ❊ ❊

س ـ اذكر بعض صور إحقاق الحاقة للحق.

ج: من ذلك: أن كل عاملٍ يومها يُوافىٰ بعمله قلَّ أو كثر، كبر أو صغُر، كما قال تعالىٰ: ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ⑦ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** ﴾ [الزلزلة: ٧ـ٨].

وكما قال تعالىٰ: ﴿ **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ** ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لتؤدُّن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يُقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء**»[(١)].

❊ ❊ ❊

(١) صحيح: أخرجه مسلم (حديث ٢٥٨٢) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴾

ج: المعنىـ والله أعلمـ: وأي شيء أعلمك بالحاقة وعرفك بها؟! وهذا أيضًا تعظيمٌ لشأنها[1] .

قال القرطبي رحمه الله:

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴾ استفهام أيضًا أي: أيّ شيء أعلمك ما ذلك اليوم؟! والنبي ﷺ كان عالمًا بالقيامة ولكن بالصفة. فقيل تفخيمًا لشأنها: وما أدراك ما هي؟!؛ كأنك لست تعلمها إذ لم تعاينها.

وقال يحيى بن سلام: بلغني أن كل شيء في القرآن ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ ﴾ فقد أدراه إياه وعلمه، وكل شيء قال: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ ﴾ فهو مما لم يعلمه.

وقال سفيان بن عُيينة: كل شيء قال فيه: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ ﴾ فإنه أخبر به، وكل شيء قال فيه: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ ﴾ فإنه لم يخبر به.

* * *

س ـ كيف كذبت ثمودُ وعادٌ بالقارعة؟

ج: كان أنبياؤهم عليهم السلام، يخوفونهم بالقيامة ويحذرونهم منها، وهم يكذبون وقوع ذلك ولا يصدقونه، بل ويتحدون الأنبياء ويطلبون التعجيل بما وُعدوا به من العذاب، كما قالواـ وهذا في غير موطنٍ من كتاب الله: ﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [هود: ٣٢]، والله أعلم.

* * *

(١) أخرجه الطبري (٣٤٧١٨) بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: (وما أدراك ما الحاقة) تعظيمًا ليوم القيامة كما تسمعون.

س ـ اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿ بِالْقَارِعَةِ ﴾.

ج: ذكرنا قبل أن القارعة هي القيامة، وسميت القيامة «قارعة»؛ لأنها تقرع قلوب العباد بأهوالها وشدائدها.

ومن العلماء من قال: إن القارعة في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ [الحاقة: ٤] المراد بها: العذاب الذي وُعدوا به في الدنيا.

وذلك لأن عاداً وثمود قد وُعدوا نزول العذاب عليهم فكذبوا بذلك كله.

قال قوم عاد لنبيهم هود عليه السلام: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأعراف: ٧٠].

وقالوا لنبيهم أيضًا لما قال لهم: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩]، ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ (١٣٦) إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الأَوَّلِينَ (١٣٧) وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٦-١٣٨].

وكذا قالت ثمود لنبيها صالح عليه السلام بعد أن عقروا الناقة: ﴿يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٧].

وقالوا له أيضًا: ﴿ مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [الشعراء: ١٥٤]، فمن ثم قال بعض العلماء: إن قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴾ [الحاقة: ٤] أي: بالعذاب الذي وعدهم به أنبياؤهم.

لكن هذا وإن كان صحيحًا، إلا أن إطلاق القارعة على القيامة أولى. قال تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ١-٤] ففي هذا دليل على أن القارعة هي القيامة؛ والله أعلم.

س ـ اذكر بمزيد من الإيضاح معنى: (الطاغية) في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾.

ج:الظاهر من السياق ـ والله تعالىٰ أعلم ـ: أن المراد بالطاغية هنا: صورة العذاب التي أُهلكوا بها، وهي أنهم أهلكوا بالصيحة الطاغية التي جاوزت مقادير الصياح وطغت عليها فقط صيحة واحدة أهمدتهم وأسكنتهم وأخمدتهم.

ومن العلماء من قال:إن المراد بالطاغية هنا: الفعلة الطاغية التي فعلوها، وهي الشرك والتكذيب وذنوبهم الكبيرة التي ارتكبوها.

فعلىٰ ذلك فالباء في قوله بالطاغية سببيةٌ؛ فالمعنىٰ: أهلكوا بسبب طغيانهم الذي صدر منهم من الشرك والتكذيب وارتكاب الكبائر.

ومن العلماء من قال:إن قوله: ﴿فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ أي: أهلكوا بسبب إقرارهم للطاغية الذي عقر الناقة.

وأقرب الوجوه من ذلك إلى الصواب ـ والله أعلم ـالوجه الأول؛ وذلك لأن الله قال بعد ذلك: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦]، فبيَّن الصفة التي أهلك بها قوم عاد، وكذلك فليكن الأمر في ثمود. والله أعلم.

وهذا الذي اختاره الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ فقال:

وأولىٰ القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معنىٰ ذلك: فأهلكوا بالصيحة الطاغية، وإنما قلنا: ذلك أولىٰ بالصواب؛ لأن الله إنما أخبر عن ثمود بالمعنىٰ الذي أهلكها به، كما أخبر عن عاد بالذي أهلكها به، فقال: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ ولو كان الخبر عن ثمود بالسبب الذي

أهلكها من أجله، كان الخبر أيضًا عن عاد كذلك، إذ كان ذلك في سياق واحد، وفي إتباعه ذلك بخبره عن عاد بأن هلاكها كان بالريح الدليل الواضح على أن إخباره عن ثمود إنما هو ما بينت.

وقوله: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وأما عاد قوم هود فأهلكهم الله بريح صرصر، وهي الشديدة العصوف مع شدة بردها ﴿عَاتِيَةٍ﴾ يقول: عتت على خزانها في الهبوب. فتجاوزت في الشدّة والعصوف مقدارها المعروف في الهبوب والبرد.

* * *

س ـ ما اسم الريح التي أهلكت بها قبيلة عاد؟

ج: هذه الريح هي الدَّبور، كما قال النبي ﷺ: «**نُصرت بالصَّبا وأُهلكت عادٌ بالدَّبور**»(١)

* * *

س ـ وضح المراد بقوله تعالى: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ فهل ترى لهم من فئة باقية؟ أي: فهل ترى أحداً قد بقي منهم؟!، والآية كقوله تعالى: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مريم: ٩٨].

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٠٣٥)، ومسلم (حديث ٩٠٠). قال الحافظ في «الفتح»: (بالصَّبا) بفتح المهملة بعدها موحدة مقصورة يُقال لها: «القبول» بفتح القاف؛ لأنها تقابل باب الكعبة، إذ مهبها من مشرق الشمس، وضدها الدَّبور، وهي التي أهلكت بها قوم عاد، ومن لطيف المناسبة: كون القبول نصرت أهل القبول، وكون الدبور أهلكت أهل الإدبار.

س ـ وضح معنى قوله تعالى ﴿ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴾.

ج: المعنىٰ ـ والله تعالىٰ أعلم ـ: وجاء فرعون وهو يحكم مصر بالكفر والتكذيب والشقاق والعناد فالخاطئة التي أتىٰ بها فرعون هي قوله: ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات: ٢٤] وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ [القصص: ٣٨]، هذا فضلاً عن جرائمه من ذبح الأطفال واستحياء النساء وتسخير الرجال.

أما الخاطئة التي أتىٰ بها قوم عاد، فكما قال تعالىٰ: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾ [فصلت: ١٥]، وأما الخاطئة التي أتىٰ بها قوم ثمود فكما قال تعالىٰ ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾ [فصلت: ١٧] إضافة إلىٰ سائر ما ذكره الله عنهم وعن من قبلهم في كتابه الكريم، أما الخاطئة التي أتت بها المؤتفكات (قرىٰ قوم لوط) فهي إتيان الذكران من العالمين. والله تعالىٰ أعلم.

* * *

س ـ هل الرسول الذي أرسل إلى فرعون ومن قبله والمؤتفكات رسول واحد حتى يُقال: ﴿ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ ﴾؟

ج: كلا، بل هم رسلٌ، فالرسول الذي أرسل إلىٰ فرعون هو: موسىٰ عليه السلام وأخوه هارون، والرسول الذي أرسل إلىٰ المؤتفكات هو: لوط عليه السلام، والرسول المرسل إلىٰ عاد هو: هود عليه السلام، والمرسل إلىٰ ثمود هو. صالح عليه السلام.

* * *

س ـ إذا كان الأمر كذلك والرسل الذين أرسلوا متعددون، فكيف قيل: ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾؟

ج: لذلك وجوه من الأجوبة:

أحدها: أن (رسول) هنا اسم جنس، والمراد به الرسل عمومًا، كما قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ [الحديد: ٢٥].أي: الكتب.

الثاني: أن دعوة الرسل لما كانت واحدة، وهي الدعوة إلىٰ التوحيد وعبادة الله عز وجل، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وكما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، إلىٰ غير ذلك من الآيات بل ومن الأحاديث كما قال النبي ﷺ: «والأنبياء إخوة لعلاَّت[1]، دينهم واحد وأمهاتنا شتى»[2]، فمن ثمَّ مَنْ كذب رسولاً فقد كذَّبهم جميعًا، كما قال تعالىٰ: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٣] وكما قال: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٤١] وثمود كذبت صالحًا، وعادٌ كذبت هودًا.

وأورد القرطبي وجهًا آخر، وهو: أن الرسول بمعنىٰ الرسالة، وأورد قول الشاعر:

لقد كذب الواشون ما بُحت عندهم   بسرٍّ ولا أرسلتهم برسول

* * *

(١) الإخوة لعلاَّت هم الإخوة لأب، أي: أن أصل ديننا واحد وهو عبادة اللَّه وحده لا شريك له.

(٢) البخاري (٣٤٤٣)، ومسلم (ص١٨٣٧).

س ـ اذكر مما تقدم من الآيات ما يدل على أن المعاصي والكفر والتكذيب كل ذلك يجلب العذاب والانتقام.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ **كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ** ﴾ [الحاقة: ٤]، فكانت عقوبة التكذيب كما قال تعالى: ﴿ **فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ** ﴾ [الحاقة: ٥ ـ ٦].

وقال تعالى أيضًا: ﴿ **وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ (٩) فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ** ﴾ [الحاقة: ٩]، فماذا كان لما جاءوا بالخاطئة؟ وماذا كان لما عصوا رسول ربهم)؟!!

قال تعالى: ﴿ **فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً** ﴾ [الحاقة: ١٠].

* * *

س ـ قال تعالى ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾، كيف ذلك ولقائل أن يقول أنا لم أحمل في الجارية ولم أرها؟

ج: جوابه: أن حمل الآباء وإنجاء الآباء يُعد إنجاءً للأبناء وحملاً لهم، كما قال تعالى لبني إسرائيل، والخطاب موجه للذين كانوا زمن النبي ﷺ يسكنون مدينته وما حولها: ﴿ **وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ** ﴾ [البقرة: ٤٩]، والذين أنجاهم إنما هم المعاصرون لفرعون، وهم أجداد من كانوا زمن النبي ﷺ.

أخرج الطبري[١] بإسناد صحيح عن ابن زيد قال: في قوله: ﴿ **حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ** ﴾ والجارية: سفينة نوح التي حملتم فيها؛ وقيل:

---

(١) الطبري (٣٤٧٦٣).

﴿حَمَلْنَاكُمْ﴾ فخاطب الذين نزل فيهم القرآن، وإنما حمل أجدادهم نوحًا وولده؛ لأن الذين خوطبوا بذلك ولد الذين حملوا في الجارية، فكان حمل الذين حملوا فيها من الأجداد حملاً لذرّيتهم على ما قد بينا من نظائر ذلك في أماكن كثيرة من كتابنا هذا.

* * *

س ـ الضمير في قوله: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ عائدٌ على ماذا؟

ج. من العلماء من قال: عائدٌ على السفينة ـ سفينة نوح ﷺ ـ، قالوا: فقد أبقاها الله عزَّ وجل حتى رآها أوائل هذه الأمة.

أخرج الطبري[1] بإسناد حسن عن قتادة قال: قوله ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ فأبقاها الله تذكرةً وعِبرةً وآيةً حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة، وكم من سفينةٍ كانت بعد سفينة نوح قد صارت رماداً!

ولهذا المعنى ـ معنى إبقاء بعض آثار الظالمين للاتعاظ والاعتبار ـ شواهد كثيرة من كتاب الله عز وجل، منها ما يلي:

قول الله تبارك وتعالى في شأن فرعون لما أغرقه الله: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ [يونس: ٩٢] وقول الله تعالى في شأن قوم لوط: ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِينَ (١٣٦) وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ (١٣٧) وَبِاللَّيْلِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [الصافات: ١٣٦ـ١٣٨] وكذا قوله تعالى فيهم أيضًا وفي بلدتهم: ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ [الحجر: ٧٦] أي: بطريق ثابت يراها المارة.

وقوله تعالى في شأن أصحاب الأيكة: ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ (٧٨) فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر: ٧٨ـ٧٩]، وقوله تعالى في شأن

---

(١) الطبري (٣٤٧٦٤).

ثمود: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾ [النمل: ٥٢]. والأدلة في هذا المعنىٰ والباب كثيرةٌ جداً.

فعلى هذا:

فالقول الأول: في عود الضمير في قوله تعالىٰ: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ﴾ عائدٌ علىٰ السفينة ـ سفينة نوح التي هي الجارية المذكورة في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾.

والقول الثاني: إن الضمير في قوله: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ﴾ عائدٌ علىٰ جنس السفينة لدلالة المعنىٰ عليه، كما قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالىٰ، فقد قال: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾، وهي السفينة الجارية علىٰ وجه الماء ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ عاد الضمير علىٰ الجنس لدلالة المعنىٰ عليه، أي: وأبقينا لكم من جنسها ما تركبون علىٰ تيار الماء في البحار، كما قال: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (١٢) لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ [الزخرف: ١٢-١٣] وقال تعالىٰ: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (٤١) وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ [يس: ٤١-٤٢] وقال قتادة: أبقىٰ الله السفينة حتىٰ أدركها أوائل هذه الأمة، والأول أظهر؛ ولهذا قال: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٢] أي: وتفهم هذه النعمة وتذكرها أذن واعية.

قلت (مصطفى): وكلا المعنيين له وجهٌ، وثمَّ وجه ثالث: لنجعل عقوبتنا لأهل الظلم بإغراقهم والانتقام منهم، ولنجعل إنجاءنا لأهل الإيمان وحفظنا لهم لنجعل ذلك كله تذكرة وموعظة وعبرة والله أعلم.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى ﴿ وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾ .

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: وتفهم هذه النعمة ـ نعمة إنجائنا لأهل الإيمان وإغراقنا وإهلاكنا لأهل الكفر والعصيان ـ وتعقلها أذن سامعة عاقلة منتفعة بسماع الأخبار ومنتفعة بالوعظ والتذكير .

أخرج الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله تعالى: ﴿ وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾ قال: ﴿ وَاعِيَةٌ ﴾ يحذرون معاصي الله أن يعذبهم الله عليها، كما عذب من كان قبلهم، تسمعها فتعيها، إنما تعي القلوبُ ما تسمع الآذان من الخير والشر من باب الوعي .

وقال السعدي في «تفسيره» :

وقوله: ﴿ وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾ أي: يعقلها أولو الألباب، ويعرفون المقصود منها، ووجه الآية بها، وهذا بخلاف أهل الإعراض والغفلة وأهل البلادة وعدم الفطنة، فإنهم ليس لهم انتفاع بآيات الله، لعدم وعيهم عن الله وتفكرِهم بآياته .

* * *

س ـ هل ورد لهذه الآية الكريمة: ﴿ وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾ سبب نزول صحيح؟ وهل وَرد فيها من أخبار عن رسول الله ﷺ؟

ج: ورد لها سبب نزول، وورد فيها خبر لكن في أسانيد ذلك ضعف .

من ذلك: ما أخرجه الطبري[1] من طريق مكحول قال: قرأ رسول الله

---

(١) الطبري (٣٤٧٧١)، وعزاه ابن كثير إلى ابن أبي حاتم أيضًا .

ﷺ ﴿ وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾ ثم التفت إلىٰ عليٍّ فقال: «**سألت الله أن يجعلها أُذنك**»، قال عليٌّ رضي الله عنه: فما سمعت من رسول الله ﷺ شيئًا فنسيتهُ»

وهذا الخبر مرسلٌ، فمكحولٌ لم يدرك النبي ﷺ.

وورد في ذلك أيضًا: ما أخرجه الطبري[(١)] من حديث بريدة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعليٍّ: «**يا عليُّ، إن الله أمرني أن أُدنيك ولا أُقصيك وأن أعلِّمك، وأن تعي، وحق على الله أن تعي**»، قال: فنزلت: ﴿ **وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ** ﴾ وهذا ضعيف أيضًا، ففي سنده عبد الله بن ا لزبير والد أبي أحمد الزبيري وهو ضعيفًا[(٢)].

وأورد الطبري له سندًا آخر ضعيف أيضًا من طريق أبي داود الأعمىٰ وهو ضعيف.

* * *

---

(١) الطبري (٣٤٧٧٢)، وعزاه ابن كثير إلىٰ ابن أبي حاتم أيضًا.

(٢) ترجمته في «اللسان»، وفي «الميزان».

فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾
وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴿١٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ
ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ﴿١٦﴾ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ
أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴿١٧﴾ يَوۡمَئِذٖ
تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ
فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ
فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ ﴿٢٣﴾
كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنۡ
أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ﴿٢٥﴾ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا
حِسَابِيَهۡ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ﴿٢٨﴾
هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي
سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ
ٱلۡعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا
حَمِيمٞ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾
فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ
كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ
قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي:

الصور ـ دكتا دكةً واحدة ـ وقعت الواقعة ـ انشقت السماء ـ واهية ـ الملك ـ أرجائها ـ أُوتي ـ بيمينه ـ هآؤم ـ كتابيه ـ ظننت ـ ملاق حسابيه ـ راضية ـ جنة عالية ـ قطوفها ـ دانية ـ هنيئًا ـ أسلفتم ـ الخالية ـ لم أدر ما حسابيه ـ القاضية ـ هلك عني سلطانيه ـ غُلُّوه ـ صلُّوه ـ ذرعها ـ فاسلكوه ـ لا يحض ـ حميم ـ غسلين ـ الخاطئون ـ قليلاً ما تؤمنون ـ قليلاً ما تذكرون.

ج:

الكلمة	معناها
الصور	قرنٌ يُنفخ فيه .
دُكتا دكةً واحدةً	زلزلتا زلزلةً واحدة .
وقعت الواقعة	قامت القيامة .
انشقت	انصدعت ـ تفطرت ـ تشققت .
واهية	ضعيفة متمزقة .
الملك	الملائكة .
أرجائها	أطرافها ـ حافاتها حين تشقق ـ نواحيها بقاياها ـ الأجزاء التي لم تتساقط منها[١] .
أوتي	أُعطي .
بيمينه	بيده اليمنى .

(١) قيل: إذا صارت السماء قطعًا فالملائكة تقف على تلك القطع التي لم تتشقق.

الكلمـــــة	معنــاهـــــا
هآؤم	تعالوا ـ هلموا .
كتابيه	كتاب أعمالي (الكتاب الذي كتبت فيه أعمالي) .
ظننت	أيقنت[١] ـ علمت .
ملاق حسابيه	ملاق جزاء أعمالي ـ محاسب علىٰ عملي ومثابٌ عليه .
راضية	مرضية ـ قد رضيها .
جنة عالية	بُستانٌ عالٍ رفيع .
قطوفها	ثمارها .
دانية	قريبة ـ سهلة التداول ، ينالها أهلها قيامًا وقعودًا ومتكئين[٢] .
هنيئًا	لا يُتأذىٰ بأكله ولا بشربه .
أسلفتم	عملتم ـ قدمتم .
الخالية	الماضية ـ أيام الدنيا الفانية[٣] .
لم أدر ما حسابيه	لم أعلم شيئًا حسابي وجزاء عملي .
القاضية	التي ليست بعدها حياة .

(١) أخرج الطبري (٣٤٨٠٣) بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله : ﴿إني ظننت أني ملاقٍ حسابيه﴾ قال : إن الظن من المؤمن يقين ، وإن عسىٰ من اللّٰه واجب ﴿فعسىٰ أن يكون من المهتدين﴾ [التوبة : ١٨] .

(٢) صحَّ عن البراء عند الطبري (٣٤٨٠٦) أنه قال : يتناول الرجل من فواكهها وهو نائم .

(٣) أخرج الطبري (٣٤٨٠٨) بإسناد حسن عن قتادة قال : إن أيامكم هذه أيام خالية ، هي أيام فانية ، تؤدي إلىٰ أيامٍ باقية ، فاعملوا في هذه الأيام ، وقدموا فيها خيرًا إن استطعتم ، ولا قوة إلا باللّٰه .

وأخرج (٣٤٨٠٩) بإسناد صحيح عن ابن زيد : ﴿الأيام الخالية﴾ أيام الدنيا بما عملوا فيها .

الكلمة	معناها
هلك عني سلطانيه	ذهبت عني حُجَجي، فلم تعد هناك حُجة أحتج بها، فالسلطان هنا الحجة، وقال آخرون: السلطان: ما كان في الدنيا من منصب وجاه[1].
غلُّوه	شُدُّوه بالأغلال، ضَعوا الأغلال في عنقه، وذلك كما قال تعالىٰ: ﴿إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون﴾ [غافر: ٧١]. ضعوا يده إلىٰ عنقه واربطوهما معًا.
صلُّوه	أدخلوه ـ أوردوه ـ قلِّبوه علىٰ جمرها ولهيبها.
ذرعها	طولها بالذراع (لكن هل هو ذراع الملائكة أم غيرهم؟ فالله أعلم).
فاسلكوه	أدخلوه ـ تدخل من فمه وتخرج من دبره وتدخل في دبره وتخرج من منخريه.
لا يحض	لا يرغِّب ـ لا يحثُّ ـ لا يشجع.
حميم	قريب (يدفع عنه أو يرقُّ لحاله).
غسلين	الغسلين هو ما يسيل من صديد أهل النار، وكل جرح غسلته فخرج منه شيءٌ فهو غسلين. والغسلين: شر الطعام وأخبثه.
الخاطئون	المذنبون، الذين كانت ذنوبهم كفرٌ بالله وتكذيبٌ بآياته.
قليلاً ما تؤمنون	إيمانكم قليل.
قليلاً ما تذكرون	تذكركم قليل ـ اتعاظكم قليل.

(١) ووجه ترجيح الأولى ـ أن السلطان هو الحجة ـ: أنه ليس كل الناس في الدنيا لهم منصبٌ وجاه.

س ـ اذكر بعض الوارد في النفخ في الصور.

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه أبو يعلى[١] من طريق الأعمش عن أبي صالح، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم وحنا جبهته ينتظر متى يؤمر أن ينفخ؟!**» قيل: قلنا: يا رسول الله، ما نقول يومئذٍ؟ قال: «**قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا**».

هذا، وقد ورد ذكر إسرافيل في طرقٍ، منها:

ما أخرجه مسلم[٢] في «صحيحه» من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان (تعني: رسول الله ﷺ) إذا قام من الليل افتتح صلاته: «**اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة...**» الحديث.

وفي الباب أيضًا: قول النبي ﷺ لعليٍّ ولأبي بكر يوم بدر: «**مع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل، وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال**» أو قال: «**يشهد الصف**»[٣].

---

(١) أبو يعلى «المسند» (١٠٨٤)، وسنده صحيح باستثناء عنعنة الأعمش وهو مدلس، لكنه مكثر عن أبي صالح.
إلا أن الذي يساورني هو أن الحديث مروي من طرق (ومنها طريق الأعمش) عن عطية العوفي عن أبي سعيد مرفوعًا، وعطية العوفي ضعيف.
فالذي أخشاه أن يرجع أحد السندين للآخر، والله أعلم.
وانظر: «سنن الترمذي» (٢٤٣٣)، ومسند أحمد (٣/ ٧٣).

(٢) مسلم (حديث ٧٧٠).

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ١٤٧) بسندٍ صحيح.

هذا، وقد ورد عند الترمذي[١] أيضًا بإسنادٍ صحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: جاء أعرابيٌّ إلىٰ النبي ﷺ فقال: ما الصور؟ قال: «**قرن يُنفخ فيه**».

***

س ـ أي نفخة هذه المشار إليها بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾؟

ج: من العلماء من قال: هي النفخة الأولىٰ لقيام الساعة.

أما الحافظ ابن كثير ففصَّل فقال:

يقول تعالىٰ مخبراً عن أهوال يوم القيامة، وأول ذلك نفخة الفزع، ثم يعقبها نفخة الصعق حين يصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم بعدها نفخة القيام لرب العالمين والبعث والنشور، وهي هذه النفخة، وقد أكدها هاهنا بأنها واحدة؛ لأن أمر الله لا يخالف ولا يمانع، ولا يحتاج إلىٰ تكرار وتأكيد.

وقال الربيع: هي النفخة الأخيرة. والظاهر ما قلناه؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿**وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً**﴾ [الحاقة: ١٤]، أي: فمدت مدّ الأديم العكاظي، وتبدلت الأرض غير الأرض.

قلت (مصطفى): ومما يؤيد القول بأنها النفخة لقيام الساعة: قوله تعالىٰ: ﴿**فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ**﴾ [الحاقة: ١٥].

***

---

(١) الترمذي (حديث ٢٤٣٠).

س ـ لماذا أُكِّد على النفخة بأنها واحدة؟

ج: ذلك لبيان أن أمر الله لا يُخالف ولا يُمانع، ولا يحتاج إلىٰ تكرير وتأكيد، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠].

* * *

س ـ من الذي حمل الأرض والجبال؟

ج: قال بعض العلماء: حملها ملك من الملائكة بأمر ربه سبحانه وتعالىٰ.

* * *

س ـ الأرض مفردةٌ، والجبال جمعٌ، فإذا ضمت الجبال إلى الأرض فذلك جمعٌ أيضًا، فلماذا قيل: ﴿فدكتا﴾ بالتثنية؟

ج: ذلك ـ والله أعلم ـ: لأن الجبال عُوملت كالشيء الواحد فلما أضيفت إلىٰ الأرض أصبحت مع الأرض مثنىٰ، ولذا قيل: ﴿فَدُكَّتَا﴾.

ونحو ذلك في قوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ [الأنبياء: ٣٠] فالسموات عوملت كالشيء الواحد، فلما ضمت إلىٰ الأرض أصبحت مثنىٰ، ومن ثمَّ قال تعالىٰ: ﴿كَانَتَا رَتْقًا﴾، والله أعلم.

* * *

س ـ السماء يوم القيامة تتشقق وتكون واهيةً فهل هي الآن قوية؟

ج: نعم، هي الآن قوية، قال تعالىٰ: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾.

[الذاريات: ٧]

وقال تعالىٰ: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبأ: ١٢].

س ـ الملائكة على أرجائها يصنعون ماذا؟

ج: قال بعض أهل العلم: إنهم ينتظرون أمر الله لهم.

قال القرطبي رحمه الله:

وقال سعيد بن جبير: المعنىٰ: والملك علىٰ حافات الدنيا؛ أي: ينزلون إلىٰ الأرض ويحرسون أطرافها.

وقيل: إذا صارت السماء قطعًا تقف الملائكة علىٰ تلك القطع التي ليست متشققة في أنفسها.

وقيل: إن الناس إذا رأوا جهنم هالتهم؛ فيندُّوا كما تندّ الإبل، فلا يأتون قطراً من أقطار الأرض إلا رأوا ملائكة فيرجعون من حيث جاءوا.

وقيل: ﴿عَلَىٰ أَرْجَائِهَا﴾ ينتظرون ما يؤمرون به في أهل النار من السوق إليها، وفي أهل الجنة من التحية والكرامة. وهذا كله راجع إلىٰ معنىٰ قول ابن جبير.

* * *

س ـ ما المراد بالثمانية في قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾؟

ج: قال بعض أهل العلم: إنهم ثمانية من الملائكة، وهم حملة العرش.

وقال آخرون: هم ثمانية صفوف من الملائكة.

ومن حجتهم: قوله تعالىٰ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢].

قالوا: ولا يعلم عدد كلِّ صف إلا الله تبارك وتعالىٰ.

هذا وقد ذهب بعض العلماء إلىٰ أن حملة العرش الآن أربعة ويوم القيامة يتضاعف عددهم إلىٰ ثمانية.

س: هل من حديث ورد في صفة حملة العرش؟

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه أبو داود[١] بسند صحيح من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**أُذن لي أن أُحدِّث عن مَلَك من ملائكة اللَّه من حملة العرش، إن ما بين شحمة أُذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام**».

* * *

س ـ قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ ﴾ يعرضون على من؟

ج: يُعرضون على ربهم كما قال تعالى: ﴿ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا ﴾.

[الكهف: ٤٨]

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ لا يخفى على الله منكم شيء، لأنه عالمٌ بكم ومحيطٌ بكم.

* * *

س ـ لماذا يُنادي المنادي: ﴿ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴾؟

ج: ينادي فرحًا بالإسلام وسرورًا بالنجاة، ثُم إن اليمين عند العرب من دلائل الفرح وعلاماته، والشمال من دلائل الغم، قاله القرطبي، وأورد قول الشاعر:

أبيني أفي يُمنى يديك جعلتني ... فأفرح أم صَيَّرتِني في شمالكِ

(١) أبو داود (حديث ٤٧٢٧).

س ـ هل كونهم في جنة عالية يعني أن هناك جنة أسفل منها؟

ج: الجنان كلها عالية، لكن هناك درجات أعلىٰ من درجات، وجنات أعلىٰ من جنات كما في الحديث: «**إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس؛ فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة**» أراه قال[1]: «**وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة**»[2].

والجنان كلها فوق السماء السابعة، دل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿**عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ**﴾ [النجم: ١٤-١٥].

وسدرة المنتهىٰ قد رآها النبي ﷺ في رحلة المعراج بعد أن جاوز السماء السابعة.

هذا؛ وإن أريد بالعلو في قوله تعالىٰ: ﴿**فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ**﴾ [الغاشية: ١٠] علو القدر والشرف والرتبة والدرجة والمنزلة فلا إشكال.

* * *

س ـ ما مدى صحة الوارد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يُعطى المؤمن جوازًا على الصراط: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ هذا كتابٌ من الله العزيز الحكيم لفلان، أدخلوه جنةً عاليةً قطوفها دانية».

ج: هذا لا يصح[3] عن رسول الله ﷺ، ففي سنده عبد الرحمن بن زياد ابن أنعم، وهو ضعيف.

---

(١) هذا قول بعض الرواة.

(٢) البخاري (حديث ٢٧٩٠).

(٣) وهو عند الطبراني في «المعجم الكبير» (٦/ ٢٧٢).

س ـ كيف التوفيق بين قوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾، وبين قول الرسول ﷺ «واعلموا أن أحدًا منكم لن يدخله عملهُ الجنة...» الحديث؟

ج: ابتداءً فالحديث له طرق عن رسول الله ﷺ منها حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**سددوا وقاربوا واعلموا أن لن يُدخل أحدَكم عملُه الجنة**»[1].

وفي رواية أنهم قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة**»[2].

أما وجه الجمع فمن وجوه:

أحدها: أن قوله تعالى: ﴿**كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ**﴾ يُقال لهم على سبيل الامتنان والتفضل عليهم والإنعام والإحسان.

الثاني: أن دخول الجنة ابتداء برحمة الله عز وجل، والترقي في الدرجات من أسبابه الأعمال الصالحة.

* * *

س ـ اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قول الكافر: ﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: يا ليت الموتة التي مِتُّها من قبل كانت هي نهاية كل شيءٍ، ولم يكن بعدها حساب ولا ثواب ولا عقاب.

---

(١) البخاري (حديث ٦٤٦٤)، ومسلم (٢٨١٨).

(٢) البخاري (٦٤٦٧)، ومسلم (٢٨١٨).

وقال بعض العلماء: إنه بقوله: ﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ تمنى الموت .

وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك :

قال الطبري رحمه الله تعالى:

وقوله: ﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ يقول: ليت الموتة التي متها في الدنيا كانت هي الفراغ من كل ما بعدها، ولم يكن بعدها حياةٌ ولا بعثٌ، والقضاء هو الفراغ .

وقيل: إنه تمنى الموت الذي يقضي عليه فتخرج منه نفسه .

ثم أورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ قال: تمني الموت ولم يكن في الدنيا شيءٌ أكره عنده من الموت .

وبإسناد صحيح عن ابن زيد: ﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ قال: الموت .

* * *

س ـ الخطاب في قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ موجهٌ لمن؟

ج: هذا موجه للملائكة الذين هم خزنة جهنم، والله أعلم .

* * *

س ـ ذكر الله عزَّ وجل سببين أوصلا الكافر إلى ما هو فيه من العذاب وهما ﴿إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ وضح ذلك مع بيان الغرض من ذكرهما.

ج: أول السببين هو: ﴿إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ .

والثاني هو: ﴿وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ .

قال السعدي رحمه الله:

فإن السبب الذي أوصله إلى هذا المحل: ﴿ **إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ** ﴾ بأن كان كافراً بربه، معانداً لرسله، راداً ما جاءوا به من الحق.

﴿ **وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ** ﴾ أي: ليس في قلبه رحمة يرحم بها الفقراء والمساكين، فلا يطعمهم من ماله، ولا يحض غيره على إطعامهم، لعدم الوازع في قلبه.

وذلك لأن مدار السعادة ومادتها أمران: الإخلاص لله الذي أصله الإيمان بالله، والإحسان إلى الخلق بجميع وجوه الإحسان، التي من أعظمها دفع ضرورة المحتاجين، بإطعامهم ما يتقوتون به.

وهؤلاء لا إخلاص ولا إحسان، فلذلك استحقوا ما استحقوا.

* * *

س ـ من قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴾ ما يفيد أن الجزاء من جنس العمل، وضح ذلك.

ج: إيضاحه: أنه لما كان لا يؤمن بالله العظيم، ولا يقوم بحق الله عليه من الطاعة والعبادة، فمن ثمَّ لم يكن له هناك حميم يشفع له عند الله، ولما كان لا يحض على طعام المسكين، فكذلك ليس له يوم القيامة طعام إلا من غسلين، وهو صديد أهل النار.

* * *

س ـ دلالة الاقتران لا تفيد ـ في بعض الأحيان ـ التساوي في الأحكام دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك: قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾.

فعدم الإيمان بالله العظيم لا يستوي في عقوبته مع عدم الحض على طعام المسكين.

فالأول: كفرٌ ـ والعياذ بالله ـ والثاني: معصية أو كبيرة[١].

وفي الحديث أيضًا: «**الإسلام: أن تشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً**».

ولا شك أن حكم تارك الشهادتين يختلف عن حكم تارك الصيام[٢].

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلا أُقْسِمُ﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن (لا) متعلقة بما سبق، فالمعنى: ليس الأمر كما تقولون وتظنون يا أهل الكفر والتكذيب من أنه لا بعث ولا جزاء ولا حساب، بل سيكون هناك حساب وثواب وعقاب، أُقسم على ذلك بما ترون وما لا ترون.

---

(١) وسيأتي لذلك مزيدٌ إن شاء الله.

(٢) ما لم يكن تارك الصيام جاحداً لفرضيته.

الثـــاني: أن (لا) هنا نفي للقسم على الظاهر المتبادر منها، فالمعنى: لا يحتاج المقام إلى قسم، وذلك لوضوح الحق وجلائه.

الثالث: أن (لا) صلة (لتقوية الكلام).

* * *

س ـ اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لا تُبْصِرُونَ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[1].

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى مقسمًا لخلقه بما يشاهدونه من آياته في مخلوقاته الدالة على كماله في أسمائه وصفاته، وما غاب عنهم مما لا يشاهدونه من المغيبات عنهم: إن القرآن كلامُه ووحيه وتنزيله على عبده ورسوله الذي اصطفاه لتبليغ الرسالة وأداء الأمانة، فقال: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لا تُبْصِرُونَ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾، يعني محمداً ﷺ أضافه إليه على معنى التبليغ؛ لأن الرسول من شأنه أن يبلغ عن المرسل؛ ولهذا أضافه في سورة التكوير إلى الرسول الملكي: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ١٩-٢١]، وهذا جبريل عليه السلام.

* * *

(١) وأخرج الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون﴾ قال: أُقْسِمُ بالأشياء حتى أُقْسِم بما تبصرون وما لا تبصرون.

وقال الطبري رحمه الله: يقول تعالى ذكره: ﴿فلا﴾ ما الأمر كما تقولون معشر أهل التكذيب بكتاب الله ورسوله، أُقسِم بالأشياء كلها التي تبصرون منها والتي لا تبصرون.

س ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ ما مرجع الضمير في قوله: (إنه) ومن الرسول الكريم؟

ج: أما قوله: ﴿إِنَّهُ﴾ فالمراد به: القرآن.

أما الرسول الكريم: فلأهل العلم فيه قولان:

أحدهما: أن الرسول الكريم هو: جبريل ﷺ، والاستدلال لهذا القول بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ⁽١٩⁾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ⁽٢٠⁾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾. فهذا جبريل عليه السلام.

أما القول الثاني: أن الرسول الكريم هو: النبي محمد ﷺ، وذلك بدليل قوله: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ [الحاقة: ٤١] ولا تعارض ولا تضاد بين القولين، فإن الله قال: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ⁽١٩٣⁾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ⁽١٩٤⁾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥]. والله أعلم.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: أن هذا القرآن ليس بقول شاعر ولا باختلاقه ولا تقوُّله، ولكن إيمانكم قليل.

أما المراد بقلة الإيمان: ففي ذلك وجوه. والله أعلم بالصواب:

أحدها: أن المراد بالإيمان القليل أنهم إذا سئلوا من خلق السموات والأرض ليقولن الله، ثم هم مع ذلك يشركون بالله، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

الثـــاني: أنهم وإن قالوا عن القرآن: إنه قول شاعر لكنهم لا يكادون يصدقون أنفسهم بما وصفوا به القرآن، أي: أن إيمانكم بأنه قول شاعر إيمان قليل ولكن تجادلون وتكابرون.

الثالث: أن المنتفع منهم بالقرآن إذا تُلي عليه نفرٌ قليل. والله أعلم.

* * *

وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا

بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

س: اذكر معنى ما يلي: تقوَّل علينا ـ لأخذنا منه باليمين ـ الوتين ـ حاجزين ـ لتذكرة للمتقين ـ لحسرة ـ لحق اليقين ـ سبح باسم ربك العظيم

ج:

الكلمة	معناها
تقوَّل علينا	افترىٰ علينا ـ كذب علينا ـ أتىٰ بقولٍ من عند نفسه ونسبه إلينا.
لأخذنا منه باليمن	لانتقمنا منه باليمين (لأنها أشد في البطش)[1] لأخذناه بيمينه لنقتله ـ لأهناه وأذللناه بقوة.
الوتين	نياط القلب[2] ـ عرقٌ في القلب.

(١) قال الطبري رحمه اللَّه: ﴿لأخذنا منه باليمين﴾ يقول: لأخذنا منه بالقوة والقدرة، ثم لقطعنا منه نياط القلب. وإنما يعني بذلك أنه كان يعاجله بالعقوبة، ولا يؤخره بها.
وقد قيل: إن معنىٰ قوله: ﴿لأخذنا منه باليمين﴾: لأخذنا منه باليد اليمنىٰ من يديه، قالوا: وإنما ذلك مثل، ومعناه: إنا كنا نذله ونهينه، ثم نقطع منه بعد ذلك الوتين، قالوا: وإنما ذلك كقول ذي السلطان إذا أراد الاستخفاف ببعض من بين يديه لبعض أعوانه: خذ بيده فأقمه، وافعل به كذا وكذا. قالوا: وكذلك معنىٰ قوله: ﴿لأخذنا منه باليمين﴾: أي: لأهناه كالذي يفعل بالذي وصفنا حاله.

(٢) وقد صح ذلك عن ابن عباس عند الطبري (٣٤٨٣٢، ٣٤٨٣٣) وغيرهما.
وقال القرطبي رحمه الله:
قوله تعالىٰ: ﴿ولو تقوَّل علينا بعض الأقاويل﴾: ﴿تقوَّل﴾ أي: تكلفَ وأتىٰ بقولٍ من قِبَل نفسه.
وقرئ: ﴿ولو تُقول علينا﴾ علىٰ البناء للمفعول. ﴿لأخذنا منه باليمين﴾ أي: بالقوة والقدرة، أي: لأخذناه بالقوة، و «من» صلة زائدة، وعبر عن القوّة والقدرة باليمين؛ لأن قوّة كل شيء في ميامنه. قاله القُتبيّ. وهو معنىٰ قول ابن عباس ومجاهد. ومنه قول الشّماخ:

الكلمة	معناها
حاجزين	مانعين (ليس منكم من أحدٍ يستطيع أن يمنعه مما أردناه به) .
تذكرةٌ للمتقين	عظةٌ واعتبارٌ للمتقين الذي يتقون عقاب الله، بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه .
حسرة	ندامة .
حق اليقين	الحق اليقيني الذي لا شك فيه ولا مرية ولا ريب . فلا شك أن القرآن من عند الله، لم يتقوله محمدٌ ﷺ .
سبح باسم ربك العظيم	سبح ربك العظيم - سبح بذكر ربك . نزه ربك عن السوء والنقائص - صل لربك .

= إذا ما رايةٌ رفعت لمجدٍ تلّقاها عرابة باليمين

أي: بالقوّة . «عرابة»: اسم رجل من الأنصار من الأوس .

وقال آخر:

ولما رأيتُ الشمس أشرق نورها تناولت منها حاجتي بيميني

وقال السدي: والحكم: ﴿باليمين﴾ بالحق . قال:

تلقاها عرابة باليمين

أي: بالاستحقاق . وقال الحسن: لقطعنا يده اليمين . وقيل: المعنىٰ: لقبضنا بيمينه عن التصرف . قاله نفطويه .

وقال أبو جعفر الطبري: إن هذا الكلام خرج مخرج الإذلال علىٰ عادة الناس في الأخذ بيد من يعاقب، كما يقول السلطان لمن يريد هوانه: خذوا يديه . أي: لأمرنا بالأخذ بيده وبالغنا في عقابه .

قلت (مصطفىٰ): وكل هذا المذكور لا يعارض إثبات (اليمين) لله سبحانه وتعالىٰ، فقد قال تعالىٰ: ﴿والسموات مطويات بيمينه﴾ [الزمر: ٦٧] وفي الحديث: «وكلتا يدي ربي

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: إننا وبعد هذا البيان والإيضاح، وقبله أيضًا نعلم أن منكم من سيكذب بهذا القرآن وهذا البيان والإيضاح، ولن ينتفع به، فالآيات إنما ينتفع بها أهل الإيمان، ولا ينتفع بها أهل الكفر، كما قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢].

وكما قال تعالى: ﴿ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: ١٠١].

وكما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ (٩٦) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ ﴾ [يونس: ٩٦].

* * *

س ـ كيف يكون القرآن حسرة على الكافرين يوم القيامة؟

ج: ذلك التحسر والندم عندما يرى الكافرون أهل الإيمان وهم يُثابون ويُنعمون ويساقون مساقًا حسنًا إلى جنة الخلد التي وعد المتقون، فعند ذلك تحل الحسرات على أهل الكفر، فيندمون لفوات ذلك منهم أشد الندم ويتحسرون غاية التحسر.

وتزداد حسرتهم ويزداد ندمهم عندما تسوقهم الملائكة إلى دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار، والله تعالى أعلم.

* * *

سورة المعارج

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ﴿١﴾ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ﴿٤﴾ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ﴿٧﴾ يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدۡعُواْ مَنۡ أَدۡبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوۡعَىٰٓ ﴿١٨﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي:

واقع ـ دافع ـ المعارج ـ تعرج ـ الروح ـ صبرًا جميلا ـ يرونه بعيدًا ـ نراه قريبًا ـ المهل ـ العهن ـ حميمٌ ـ يبصرونهم ـ المجرم ـ يفتدي ـ صاحبته ـ فصيلته ـ تؤويه ـ لظى ـ نزاعة للشوى ـ أدبر وتولى ـ أوعى.

ج:

الكلمة	معناها
واقع	كائن ـ حاصل ـ نازل.
دافع	مانع، ليس له من يمنعه إذا أراد الله وقوعه.
المعارج	الدرجات ـ الفواضل ـ النعم ـ السموات.
تعرج	تصعد.
الروح	جبريل عليه السلام، وقيل: إن المراد بها خلق من خلق الله، الله يعلمهم.
صبرًا جميلاً	صبرا لا جزع فيه، ولا شكوىٰ لغير الله[1].
يرونه بعيدًا	يرونه مستبعداً غير واقع ـ لا يعتقدون وقوعه، لا يعتقدون أن الساعة قائمة.
نراه قريبًا	نعلم أنه قريب.
المهل	النحاس المنصهر ـ الرصاص المنصهر ـ دُرْدِيُّ الزيت وعكَره.

(١) قال بعض العلماء: ومن ذلك أن يكون صاحب البلوىٰ بين الناس ولا يعلم الناس شيئًا عن بلواه، وأن يكون صاحب المصيبة في الناس لا يدري من هو. واللّٰه أعلم.

الكلمـــة	معنـاهـــا
العهن	الصوف المصبوغ[١]، وهو أضعف الصوف.
حميمٌ	قريبٌ.
يبصرونهم	يرونهم.
المجرم	الكافر ـ المذنب ذنبًا يستحق عليه النار.
يفتدي	يفدي نفسه.
صاحبته	زوجته.
فصيلته	عشيرته الأقربون.
تؤويه	تضمه إليها ـ وتنصره عند الشدائد.
لظى	لهب خالص ـ ملتهبة ـ دركة من دركات النار واسم من أسماء النار.
نزاعة للشوى	نزاعة للأطراف ـ تنزع جلدة الرأس ـ تنزع مكارم الوجه[٢]

(١) قال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿وتكون الجبال كالعهن﴾ أي: كالصوف المصبوغ ولا يقال للصوف: «عهن» إلا إذا كان مصبوغًا.

قال الحسن: تكون الجبال كالصوف الأحمر، وهو أضعف الصوف، وقيل: العهن: الصوف ذو الألوان، فشبَّه الجبال به في تكوِّنها ألوانًا كما في قوله تعالىٰ: ﴿جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود﴾ [فاطر: ٢٧]، فإذا بست وطيرت في الهواء أشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح، وهذه الأقوال في معنىٰ «العهن» في اللغة، وأول ما تتغير الجبال تصير رملاً مهيلاً، ثم عهنًا منفوشًا، ثم هباءً منثورًا.

(٢) قال الطبري رحمه اللَّه:

وقوله: ﴿نزاعة للشوىٰ﴾ يقول تعالىٰ ذكره مخبرًا عن لظىٰ: إنها تنزع جلدة الرأس وأطراف البدن. والشَّوىٰ: جمع شواة، وهو من جوارح الإنسان ما لم يكن مقتلاً، =

الكلمة	معناها
أدبر وتولى	انصرف وأعرض .
أوعى	جمع المال وجعله في وعاء ولم يخرج حق الله منه جمع المال وعدَّده ولم يؤد زكاته[١] .

= يقال : رمىٰ فأشوىٰ : إذا لم يصب مقْتلاً ، فربما وصف الواصف بذلك جلدة الرأس كما قال الأعشىٰ :

قالت قُتيلةُ ما لهُ قدْ جُلِّلَتْ شيْبًا شواتُهْ

وربما وصف بذلك الساق ، كقولهم في صفة الفرس : «عبلُ الشَّوىٰ نهْدُ الجُزارة» .

يعني بذلك قوائمه .

(١) ومنه قول النبي ﷺ لأسماء بنت أبي بكر رضي اللّه عنها : «أنفقي ولا تحصي فيحصي اللّه عليك ، ولا توعي فيوعىٰ عليك» أخرجه البخاري (حديث٢٥٩١) ، وأخرجه مسلم (١٠٢٩) من حديث أسماء رضي اللّه عنها مرفوعًا .

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾.

ج: في ذلك أقوال:

أحدها: سأل سائل ـ (من الكفار) ـ عن عذاب الله: بمن هو واقع؟ أي: بمن سيقع ويحل؟

فالجواب في الآية التي تلتها: ﴿لِّلْكَافِرِينَ﴾: أي: أنه واقع على الكافرين.

الثاني: سأل سائل عن عذاب الله: متى هو واقع ونازل؟ ويكون هذا أحيانًا على سبيل التكذيب والاستعجال، كقول الكفار: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: ٤٨].

الثالث: دعا داعٍ بعذاب الله (أي: دعا على نفسه ومن معه بالعذاب) ظنًا منه أن ذلك لن يقع، والعذاب واقع لا محالة بهم إذا ماتوا على كفرهم، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢].

وبسياق آخر: طلب طالبٌ عذابًا هو واقع لا محالة (سواء طلب أو لم يطلب)، إذ هو نازلٌ بهم يوم القيامة لا يدفعه عنهم أحدٌ.

الرابع: وهو قولٌ مبنيٌّ على اختلاف في القراءة، فقرأ بعضهم ﴿سال﴾ (بلا همز) ﴿سائل﴾، والسائل هنا ليس هو المستفسر وما على شاكلته، إنما السائل ضد الجامد، والمعنى: سال هنا السائل (وقد يكون هذا السائل هو صديد أهل النار، وقد يكون ماءً كالمهل، وقد يكون غير ذلك).

ومنهم من قال: إن السائل وادٍ في جهنم.

وهذا السائل سال حاملاً للعذاب على من سال عليهم وهم الكفار.

هذا الوجه الرابع، والوجوه التي قبله أرجح منه بلا شك.

الخامس: أن هذا السائل مسلم من المسلمين ويسأل: متى هذا العذاب الذي يحل بالكافرين؟

والعذاب الواقع إما في الدنيا كالغرق، أو يوم بدر، وإما العذاب الأخروي وهو عذاب النار.

* * *

س ـ ما فائدة تكرير قوله: ﴿لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ مع أن معناه موجود في قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾؟

ج: هذا ـ والله أعلم ـ كدليل على تأكيد وقوعه؛ لأن ما ليس له دافع لابد من وقوعه.

* * *

س ـ اذكر آية في معنى قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾.

ج: في معناها قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ﴾.

[الطور: ٧]

* * *

س ـ اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾.

ج: أما «المعارج» فهي الدرجات، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [الزخرف: ٣٣] ومن ورود العروج بمعنى الصعود قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ

الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [المعارج: ٤]، ومنه: ﴿ **وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ** ﴾ [الحجر: ١٤].

أما وصف الله سبحانه وتعالىٰ بأنه ذو المعارج، فمن العلماء من قال: الذي يُعرج إليه من السموات فالدرجات: (المعارج) هي السموات، علىٰ ما ورد في حديث المعراج فقد صعد النبي ﷺ من سماء إلىٰ سماء حتىٰ جاوز السماء السابعة، وبعدها فرضُت عليه الصلوات.

فالمعارج: السموات التي تصعد فيها الملائكة إلىٰ ربها.

ومن العلماء من قال: إن المراد بالمعارج: وجوه الإنعام والإفضال علىٰ الخلق، فالخلق في ذلك علىٰ درجات:

منهم من يوسع الله عليه في المال والبنين. ومنهم: من يكون فقيراً وعقيمًا.

ومنهم: الصحيح المعافىٰ في بدنه. ومنهم: المريض المبتلىٰ.

ومنهم: صاحب الوجاهة والسلطان. ومنهم: من دون ذلك.

ومنهم: الوسيم الجميل. ومنهم: الدميم.

ومنهم الصالح ومنهم الطالح، ومنهم المطيع ومنهم العاصي، ومنهم المؤمن ومنهم الكافر

ومنهم القوي ومنهم الضعيف.

إلىٰ غير ذلك من صور الإفضال والإنعام علىٰ الخلق.

* * *

س ـ هل ورد عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول في تلبيته: لبيك ذا المعارج؟

ج: لم أقف على سند يثبت أن النبي ﷺ قال ذلك، وإنما وقفت على أن الناس كانوا يقولونها والنبي ﷺ يسمع ذلك فلم يقل لهم شيئًا[1].

وعن أحمد[2] من طريق عبد الله بن أبي سلمة: أن سعدًا سمع رجلاً يقول: لبيك ذا المعارج. فقال: إنه لذو المعارج، ولكنا كنا مع رسول الله ﷺ لا نقول ذلك.

* * *

س ـ قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ فيه عطف للخاص على العام، وضح ذلك واذكر لذلك مزيدًا من الأمثلة.

ج: إيضاحه: أن الروح ـ على قول بعض العلماء ـ هو جبريل عليه السلام، ومما يدل عليه: قوله تعالى: ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ**﴾ [الشعراء: ١٩٣] وقوله تعالى: ﴿**قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ**﴾ [النحل: ١٠٢].

فإذا كان الروح هو جبريل، وهو ملك من الملائكة فهو داخل في قوله: ﴿**تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ**﴾، ولكن أُعيد ذكره بقوله تعالى: ﴿**وَالرُّوحُ**﴾ لبيان عظيم منزلته وكريم مرتبته.

ومن أمثلة عطف الخاص على العام: قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ**

---

(١) أخرج ذلك أحمد (٣/ ٣٢٠) بسند صحيح من حديث جابر بن عبد اللّه رضي اللّه عنهما.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ١٧٢) وفي سماع عبد اللّه بن أبي سلمة من سعد نظر فليحرر، ويبدو لي أنه لم يسمع منه، فلا يعارض هذا الأثر الأثر المتقدم.

مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧].

فنوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ابن مريم داخلون في النبيين المذكورين في قوله تعالىٰ: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ**﴾ ولكن نُص عليهم وخُصُّوا بالذِّكر لبيان كريم منزلتهم وعظيم شرفهم فهم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ من أُولي العزم من الرسل.

ونحوه أيضًا: قوله تعالىٰ: ﴿**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ**﴾ [النساء: ١٦٣]، فذكر الأنبياء بأسمائهم لبيان فضلهم أيضًا، وإن كان بعضهم من أولي العزم من الرسل وبعضهم ليس كذلك.

ومن هذا الباب أيضًا: قوله تعالىٰ ﴿**فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ**﴾ [الرحمن: ٦٨] فـ «الرمان» من الفاكهة. والله أعلم.

* * *

س ـ ما المراد باليوم في قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾؟

ج: من العلماء من قال: إن هذا اليوم هو يوم القيامة.

ومنهم من قال: هو يوم تعرج فيه الملائكة والروح إلىٰ ربها الله أعلم به.

ومن العلماء من قال: إن الملائكة تعرج إلىٰ ربها مسافةً كبيرةً (وذلك عندهم من منتهىٰ أمره من فوق السموات إلىٰ منتهىٰ أمره أسفل الأرض) هذه المسافة لو قطعها أحدكم لقطعها في خمسين ألف سنة.

ومما يؤيد أن اليوم هو يوم القيامة:

ما أخرجه مسلم[١] في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته إلا أحمي عليه في نار جهنم، فيجعل صفائح، فيكوى بها جنباه وجبينه، حتى يحكم الله بين عباده في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار. وما من صاحب إبل لا يؤدي زكاتها إلا بطح لها بقاع قرقرٍ كأوفر ما كانت تستن عليه، كلما مضى عليه أخراها ردت عليه أولاها، حتى يحكم الله بين عباده في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار. وما من صاحب غنمٍ لا يؤدي زكاتها إلا بطح لها بقاعٍ قرقرٍ. كأوفر ما كانت، فتطؤه بأظلافها، وتنطحه بقرونها، ليس فيها عقصاء ولا جلحاء كلما مضى عليه أخراها ردت عليه أولاها، حتى يحكم الله بين عباده في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنةٍ مما تعدون، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار».

***

(١) مسلم (حديث ٩٨٧)، (ص٦٨٢).

دفْعُ إشكالٍ وجمعٌ بين آيتين

س ـ إذا قلنا: إن المراد «باليوم» هو يوم القيامة، فكيف نجمع بين قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ وبين قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧] وقوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥]؟

ج: ابتداءً: فمن العلماء من توقف عن الخوض في التأويل والجمع وقال: هما يومان ذكرهما الله في كتابه الله أعلم بهما.

وممن نقل عنه هذا القول: عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

أخرج الطبري(١) من طريق ابن أبي مليكة: أن رجلاً سأل ابن عباس عن يوم كان مقداره ألف سنة فقال: ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة؟ قال: إنما سألتك لتخبرني. قال: هما يومان ذكرهما الله في القرآن، الله أعلم بهما. فكره أن يقول في كتاب الله ما لا يعلم.

ثم هذه أقوال أُخر للعلماء:

أحدها: أن هذا اليوم يختلف في طوله على الكافر عن المؤمن، فيطوَّل هذا اليوم على الكافر ويخفف على المؤمن، وكلاهما يوم القيامة، فهو كألف سنة(٢)، وهو خمسون ألف سنة أيضًا.

---

(١) الطبري (٣٤٨٦٨) بسندٍ صحيح.

(٢) وقد ورد هذا الباب خبرٌ فيه: «يدخل فقراء المهاجرين الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم بخمسمائة عام».

ومما يؤيد أن هذا اليوم يطول ويشق على الكافر ما يلي:

قوله تعالى: ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر: ٩]، وقوله تعالى: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٦].

وقد ورد في هذا الباب خبرٌ ضعيفٌ عن النبي ﷺ من حديث أبي سعيد الخدري أنه قال لرسول الله ﷺ: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ما أطول هذا! فقال النبي ﷺ: **«والذي نفسي بيده، إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من الصلاة المكتوبة يصليها في الدنيا»**[1].

الثاني: أن اليوم المذكور في سورة «الحج»: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ هو أحد الأيام الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض، ويوم الألف في سورة «السجدة» هو مقدار سير الأمر وعروجه إليه، ويوم الخمسين ألفًا هو يوم القيامة.

الوجه الثالث: أن عُمر الدنيا خمسون ألف سنة، لا يدري كم مضى وكم بقي؟ أما الألف سنة فهو يوم القيامة.

الرابع: أن المراد باليوم الذي هو كخمسين ألف سنة هو ما أشرنا إليه في السؤال السابق مسافة ما بين العرش إلى أسفل سافلين، فهذه المسافة تقطعها الملائكة في يوم، ولو قطعها أحدكم لقطعها في خمسين ألف سنة.

الوجه الخامس: أن ذلك ـ خمسين ألف سنة ـ قيل لمجرد التمثيل والتخييل لغاية ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها.

* * *

(١) الطبري (٣٤٨٦٧) بسندٍ ضعيف.

س ـ قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ على ماذا هذا الصبر؟

ج: هذا الصبر على تكذيب قومك لك، وأذاهم وسخريتهم منك.

❊ ❊ ❊

س ـ لماذا لا يسأل حميمٌ حميمه؟

ج: ذلك لانشغال كُلٍّ منهم بنفسه وما هو فيه، كما قال تعالى: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧].

❊ ❊ ❊

س ـ ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ عن ماذا؟

ج: لا يسأله النصرة ولا النجاة، ولا أن يحمل من أوزاره شيئًا.

❊ ❊ ❊

س ـ اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ ومن الذين يبصرونهم؟

ج: أما ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ أي: يرونهم، وفي هذا وجوهٌ:

أحدها: أن الله سبحانه وتعالى يُبصِّر الكفار بالذين أضلوهم في الحياة الدنيا من الرؤساء والقادة وأئمة الكفر، فيعرفونهم ثم يفرُّ كل منهم من الآخر، ويلعن كلٌّ منهم الآخر، ولا يستطيع أحدٌ منهم نفع الآخر.

الثاني: الملائكة ترى العباد، لا يخفى على الملائكة منهم شيء، وذلك بإذن الله.

الثالث: أن الكفار يرون المؤمنين ويعرفونهم، وينظرون إلى ما هم فيه من النعيم، فيزدادون حسرةً إلى حسرتهم، ونكدًا إلى ما هم فيه من النكد.

الرابع: أن القريب يرى قريبه يوم القيامة، دلَّ على ذلك قوله تعالى:

﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا يُبَصَّرُونَهُمْ﴾، وهذا الأخير هو اختيار الطبري رحمه الله تعالى، فقال رحمه الله:

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة قول من قال: «معنى ذلك: ولا يسأل حميم حميمًا عن شأنه، ولكنهم يبصرونهم فيعرفونهم، ثم يفرّ بعضهم من بعض، كما قال جل ثناؤه: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧].

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات بالصواب، لأن ذلك أشبهها بما دل عليه ظاهر التنزيل، وذلك أن قوله ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ تلا قوله ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾، فلأن تكون الهاء والميم من ذكرهم أشبه منها بأن تكون من ذكر غيرهم.

* * *

س ـ إلى ماذا أشير بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ﴾؟

ج: المراد والله أعلم: ثم ينجيه الافتداء.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: أن النار (التي هي لظى) تدعو وتنادي من أدبر عن طاعة الله في الدنيا، وأعرض وتولى عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

فالتي تدعو هي النار[١]، مكّنها الله من ذلك كما قال تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: =

مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيراً ﴾ [الفرقان: ١٢]، وكما قال النبي ﷺ: «**اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا ربِّ، أكل بعضي بعضًا**»[1] وكما في الحديث المتفق عليه: «**تحاجت الجنة والنار، فقالت النار**»[2].

وقول آخر: أن الذي يدعو هم الملائكة خزنة النار.

وقول ثالث فيه ضعف: أن المراد بتدعو: تُهلك. والله أعلم بالصواب.

* * *

= وقوله: ﴿تدعو من أدبر وتولىٰ وجمع فأوعىٰ﴾ [المعارج: ١٨]، أي: تدعو النار إليها أبناءَها الذين خلقهم الله لها، وقدر لهم أنهم في الدار الدنيا يعملون عملها، فتدعوهم يوم القيامة بلسان طلق ذلق، ثم تلتقطهم من بين أهل المحشر كما يلتقط الطير الحب، وذلك أنهم كما قال الله عز وجل: كانوا ممن ﴿أدبر وتولىٰ﴾، أي: كذب بقلبه، وترك العمل بجوارحه.

(١) أخرج البخاري (حديث ٣٢٦٠) ومسلم (حديث ٦١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اشْتَكت النَّارُ إلىٰ ربها، فقالت: يا ربِّ، أَكلَ بَعْضي بَعْضًا؟ فأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ: نَفَسٍ في الشتاءِ ونفَسٍ في الصَّيْفِ؛ فَهُوَ أَشَدُّ ما تَجِدُونَ مِنَ الحرِّ؛ وأَشَدُّ مَا تَجِدونَ منَ الزَّمْهَرِيرِ».

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٤٨٥٠) ومسلم (٢١٨٦-٢١٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تحاجَّت الجنَّةُ والنَّارُ، فقالت النَّارُ: أُوثِرتُ بالمُتكبِّرينَ والمُتَجبِّرين. وَقالتِ الجنَّةُ: فَمَا لي لا يَدْخُلُني إلا ضُعفاءُ النَّاس وسَقَطُهُم وغِرَّتهم؟ قال الله للجنَّة: إنَّما أنت رحمتي أرحَمُ بكِ مَن أشاءُ مِنْ عِبادي. وقال للنَّارِ: إنَّما أنت عَذابي أُعَذِّبُ بكِ مَنْ أشاءُ مِنْ عِبادي؛ ولكلٍّ واحدةٍ منكما ملؤُها. فأمَّا النار فلا تَمتلئُ حتىٰ يضع اللَّهُ تبارك وتعالىٰ رِجْلَهُ، تقولُ: قَطْ قطْ قطْ. فهنالك تَمتلئ، ويزوي بعضها إلىٰ بعضٍ، ولا يَظلِمُ اللَّهُ مِنْ خلقِهِ أحداً، وأمَّا الجنَّةُ فإنَّ اللَّه يُنشِئُ لَهَا خَلْقًا».

إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا

﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ

صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ

وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ

رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٖ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ

لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ

فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٣١﴾

وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ

﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ

﴿٣٥﴾ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ

عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ ﴿٣٨﴾

كَلَّآۖ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ

إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرۡهُمۡ

يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ

ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ

ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي:

هلوعًا ـ مسَّه ـ جزوعًا ـ منوعًا ـ دائمون ـ المحروم ـ يصدقون ـ يوم الدين ـ مشفقون ـ غير مأمون ـ غير ملومين ـ ابتغى ـ وراء ذلك ـ العادون ـ راعون ـ قائمون ـ قِبلك ـ مهطعين ـ عزين ـ بمسبوقين ـ الأجداث ـ سراعًا ـ نصب ـ يوفضون ـ خاشعة ـ ترهقهم ـ ذلة.

ج:

الكلمة	معناها
هلوعًا	شديد الجزع، وشديد البخل وشديد الحرص وشديد الضجر. إذا مسه الشر جزوعًا وإذا مسه الخير منوعًا، إذا قلَّ ماله وأصابه الفقر والعدم فلا صبر له على ذلك، بل فَزِعَ وجزع وضجر وانخلع[1] قلبه من شدة الرعب. وإذا أصابه الخير والغنى والخصب والسعة وكثر ماله فهو بخيل كثير المنع والإمساك، لا يصبر ولا يحتسب ولا يزكي ولا يعطي.
مسَّه	أصابه.
جزوعًا	كثير الجزع ـ كثير الخوف، قليل الصبر، كثير الضجر والقلق.
منوعًا	كثير المنع، شديد الإمساك والبخل.

(١) وفي الحديث: «شرُّ ما في رجل: جبن خالع، وشح هالع». أخرجه أبو داود (حديث ٢٥١١)، وأحمد (٢/ ٣٠٢) من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه مرفوعًا بسند صحيح.

الكلمة	معناها
دائمون	مقيمون (لا يضيعون منها شيئًا) محافظون (علىٰ أدائها في أوقاتها بأركانها). ساكنون (الدائم: الساكن، ومنه الماء الدائم)، أي: ساكنون في صلاتهم. وقيل: المراد: إذا عملوا عملاً داوموا عليه(١) .
المحروم	الذي لا مال له ولا حرفة له ولا يُهدىٰ إليه .
يصدقون	يُقرُّون ـ يعترفون (يُقرُّون بالبعث والجزاء والحساب والثواب والعقاب) .
يوم الدين	يوم القيامة .
مشفقون	خائفون .
غير مأمون	لا يأمنه أحدٌ علىٰ نفسه (إلا بأمانٍ من الله تعالىٰ) .
غير ملومين	غير معاتبين ـ غير محاسبين .
ابتغى	طلب ـ التمس .
وراء ذلك	غير ذلك .
العادون	المتجاوزون ما أحلَّه الله إلىٰ ما حرَّمه الله عزَّ وجل .
راعون	حافظون ـ مؤدون .
قائمون	مؤدون (يؤدونها علىٰ أكمل وجه) .
قبلك	ناحيتك .
مهطعين	مديمين النظر إليك (المهطع: الذي لا يطرف) ناظرين إليك تعجبًا ـ عامدين ـ نافرين ـ منطلقين .

(١) كما في الحديث: «أحب الأعمال إلىٰ اللَّه أدومها» .

الكلمـــة	معنـاهـــــا
عزين	متفرقين[1] .
بمسبوقين	بمغلوبين ـ لا يفوتنا شيء ولا يعجزنا أمرٌ .
الأجداث	القبور .
سراعًا	مسرعين .
نصبٍ	صنم منصوب يُعبد .
يوفضون	يسرعون .
خاشعة	ذليلة ـ خاضعة (لا تُرفع لما يتوقعونه من العذاب) .
ترهقهم	تغشاهم .
ذلة	هوانٌ .

(١) ومنه قول النبي ﷺ : «ما لي أراكم عزين؟!» وهو حديث أخرجه مسلم (حديث٤٣٠) من حديث سمرة بن جندب رضي اللّه عنه قال : خرج علينا رسول اللّه ﷺ فرآنا حَلَقًا فقال : «مالي أراكم عزين؟!» . . . الحديث .
قال النووي رحمه اللّه : أي جماعات في تَفْرِقةٍ .

س ـ ما دواء الهلع؟

ج: دواؤه هو المذكور عقب قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ [المعارج: ١٩]وهو: ﴿إِلاَّ الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [المعارج: ٢٣].

فأول علاج له هو: الصلاة، ثم ما ذكر عقبها من الصفات، وقد قال تعالىٰ: ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ﴾ [البقرة: ١٥٣].

* * *

س ـ ما المراد بالصلاة هنا؟

ج: من العلماء من قال: إن المراد بالصلاة هنا في قوله تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ هي الصلاة المكتوبة، فهم مديمون لها قائمون بها.

ومنهم من قال: كانوا إذا عملوا عملاً أثبتوه وحافظوا عليه، ومن ثَمَّ فكانت لهم نوافل يحافظون عليها ويداومون. والله تعالىٰ أعلم.

* * *

س ـ ما المراد بالحق المعلوم هنا؟

ج: قال بعض أهل العلم: إن المراد بالحق المعلوم هنا هي الزكاة المفروضة، إذ هي معلومة المقدار، ثمَّ إنها اقترنت بالصلاة المكتوبة. وثمَّ علماء آخرون قالوا: هذا حق آخر سوىٰ الزكاة وهذا الحق الآخر سوىٰ الزكاة إما لأن هناك في المال حقا سوىٰ الزكاة ـ علىٰ رأي بعض العلماء، وإما لأن هؤلاء المحسنين خصَّصوا من أموالهم حقًا معلومًا ـ غير الزكاة ـ للسائلين والمحرومين، كالوارد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند «مسلم»[١]

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٩٨٤).

عن النبي ﷺ قال: «بينا رجل بفلاة من الأرض، فسمع صوتًا في سحابة: اسق حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة[١]، فإذا شرجة[٢] من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله، فتتبع الماء، فإذا رجل قائمٌ في حديقته يحول الماء بمسحاته، فقال له: يا عبد الله، ما اسمك؟ قال: فلان. للاسم الذي سمع في السحابة. فقال له: يا عبد الله، لم تسألني عن اسمي؟ فقال: إني سمعت صوتًا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلان. لاسمك. فما تصنع فيها؟ قال: أما إذ قلت هذا، فإني أنظر إلى ما يخرج منها، فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثًا، وأَرُدُّ فيها ثلثه».

* * *

س ـ اذكر بمزيد من الإيضاح معنى (المحروم).

ج: عمومًا المحروم هنا هو: الذي لا مال له، أي المحروم من المال.

وهذا الحرمان من المال قد يكون لوجوه:

إما لأنه مُحارف ـ أي لا سهم له ولا نصيب في الإسلام، سواء من الغنائم أو من الفيء أو شيء ثابت من بيت مال المسلمين، كالذي يعطي للبدريين مثلاً أو لغيرهم أو ليست له وظيفة تدر عليه دخلاً. ولا عملاً يُدر له دخلاً، ولا تكاد مهنته توفر له مالاً يكفيه.

وإما لكون ماله قد أصابته جائحة فذهبت بماله، ومما يؤيد ذلك قول أصحاب الجنة المذكورين في سورة القلم: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ [القلم: ٢٧ـ٢٨].

---

(١) الحرة: أرض بها حجارة سُود كثيرة.

(٢) شرجة: هي مكان سيل الماء.

وقوله تعالىٰ: ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾

[الواقعة: ٦٣-٦٧]

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾.

ج: يثني الله تبارك وتعالىٰ علىٰ عباده المؤمنين المصلين فيقول في شأنهم: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾ أي: أنهم يكفونها عن الحرام ويمنعونها أن توضع فيما حرمه الله عليهم، فلا يطئون بها وطئًا محرمًا من زنًا أو لواطٍ أو وطءٍ في دبرٍ أو حيضٍ ونحو ذلك، ويحفظونها أيضًا من النظر إليها ومن مسها، ويحفظونها أيضًا من الاستمناء الذي يفعله شرار الشباب، والفاسقات من الفتيات من كل ذلك يحفظون الفروج، وعن كل ذلك يمنعون إلا علىٰ الأزواج، فمباح لهم وطء الأزواج، والنظر إلىٰ العورات منهن، وكذا علىٰ ملك اليمين من النساء، فللرجل أن يطأ أَمَتَهُ وأن ينظر إلىٰ عورتها.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾.

ج: إيضاحه: فمن التمس لفرجه منكحا سوىٰ زوجته أو ما ملكت يمينه فهولاء هم المتجاوزون لحدود الله المنتهكون لحرماته.

* * *

حكم الاستمناء

س ـ ما حكم الاستمناء؟

ج: ذهب جمهور أهل العلم إلىٰ تحريم الاستمناء مستدلين بقول الله عز وجل: ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ** ﴾ [المؤمنون: ٦-٧]

احتج الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ بهذه الآية علىٰ تحريم الاستمناء.

فقد نقل عنه البيهقي (٧ / ١٩٩) أنه ذكر هذه الآية وقال: فلا يحل العمل بالذكر إلا في زوجة أو ملك يمين فلا يحل الاستمناء. والله أعلم.

قلت: وقد ورد في المسألة حديث ضعيف ذكره الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ (سورة المؤمنون: ٣ / ٢٣٩) وعزاه إلىٰ الحسن بن عرفة في جزئه المشهور حيث قال: حدثني علي بن ثابت الجزري، عن مسلمة بن جعفر، عن حسان بن حميد، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: «**سبعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم ولا يجمعهم مع العالمين ويدخلهم النار في أول الداخلين إلا أن يتوبوا ومن تاب تاب الله عليه: الناكح يده...**» ثم ذكر الحديث) قال ابن كثير: هذا حديث غريب، وفي إسناده من لا يعرف لجهالته.

قلت: وكذا قال الذهبي في مسلمة بن جعفر «ميزان الاعتدال» فقال الذهبي في مسلمة: مجهول هو وشيخه. فالحديث لا يثبت عن رسول الله ﷺ.

وقد ذكر القرطبي ـ رحمه الله ـ هذه المسألة عند تفسيره لهذه الآية وقال:

وأحمد بن حنبل على ورعه يجوِّزه، ويحتج بأنه إخراج فضلة من البدن فجاز عند الحاجة، أصله الفصد والحجامة، وعامة العلماء على تحريمه.

وقال بعض العلماء: إنه كالفاعل بنفسه، وهي معصية أحدثها الشيطان وأجراها بين الناس حتى صارت قيلة، ويا ليتها لم تقل، ولو قام الدليل على جوازها لكان ذو المروءة يعرض عنها لدناءتها، فإن قيل: إنها خير من نكاح الأمة. قلنا: نكاح الأمة - ولو كانت كافرة على مذهب بعض العلماء - خير من هذا وإن كان قد قال به قائل أيضًا، ولكن الاستمناء ضعيف في الدليل عارٌ بالرجل الدنيء فكيف بالرجل الكبير؟!

انتهى ما قاله القرطبي - رحمه الله.

* * *

س - ما المراد بالأمانات في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾؟

ج: المراد: عموم الأمانات، سواء تلك الأمانات التي بين العبد وربِّه، أو تلك الأمانات التي بينه وبين العباد[1]، هذا، وقد قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وإلا الذين هم لأمانات الله التي ائتمنهم عليها من فرائضه وأمانات عباده التي ائتمنوا عليها، وعهوده التي أخذها عليهم بطاعته فيما أمرهم به ونهاهم وعهود عباده التي أعطاهم على ما عقده لهم على نفسه راعون، يرقبون ذلك، ويحفظونه فلا يضيعونه، ولكنهم يؤدّونها ويتعاهدونها على ما ألزمهم الله وأوجب عليهم حفظها.

---

(١) وقد أوضحنا ذلك باستفاضة في «تفسير سورة النساء».

وقال السعدي رحمه الله:

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ أي: مراعون لها، حافظون مجتهدون على أدائها، والوفاء بها. وهذا شامل لجميع الأمانات، التي بين العبد وبين ربه، كالتكاليف السرية التي لا يطلع عليها إلا الله، والأمانات التي بين العبد وبين الخلق، في الأموال والأسرار، وكذلك العهد شامل للعهد الذي عاهد عليه الله، والعهد الذي عاهد الخلق عليه، فإن العهد يسأل عنه العبد: هل قام به ووفاه، أم رفضه وخانه، فلم يقم به؟

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴾.

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم: أنهم يؤدون الشهادة كما أمرهم ربهم سبحانه وتعالى، لا يخافون من أدائها لومة لائم، ولا يجاملون فيها غنيًا لغناه، ولا فقيراً شفقةً عليه، ولا يجاملون قريبًا لقرابته، ولا يظلمون بعيدًا لغربته، إنما أمرهم كما قال ربهم: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ﴾ [النساء: ١٣٥].

قال الطبري رحمه الله:

﴿ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴾ يقول: والذين لا يكتمون ما استشهدوا عليه، ولكنهم يقومون بأدائها، حيث يلزمهم أداؤها غير مغيرة ولا مبدّلة.

قال صديق حسن خان في (فتح البيان):

﴿ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴾ أي: يتحملونها ويؤدونها على غاية التمام وحسن الأداء، ويقيمونها عند الحكام على من كانت عليه من قريبٍ

أو بعيدٍ، أو رفيعٍ أو وضيعٍ، بلا ترجيح للقوي على الضعيف، ولا يكتمونها ولا يغيرونها إظهاراً للصلابة في الدين، ورغبةً في إحياء حقوق المسلمين.

* * *

س ـ لماذا افتتح صفات المؤمنين بذكر الصلاة في قوله: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ وختمها بذكر الصلاة أيضًا في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾؟

ج: ذلك ـ والله أعلم ـ لبيان أهمية الصلاة، ولمزيدٍ من الاعتناء بها.

ووجه آخر من الوجوه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾: أي: أنهم لا يفعلون ما ينقضها ولا يبطلها بعد فعلها.

* * *

س ـ اذكر بمزيد من الإيضاح معنى «مهطعين».

ج: «المهطع» له معانٍ، منها:

الذي لا تطرف عينه، فعليه فمعنى مهطعين: مديمين النظر إليك، (إما تعجبًا من قولك، وإما استنكارا له، وإما حقداً وحسداً وسوء أدب)

ومن معناه: مسرعين، فعليه فالمعنى: فمال الذين عندك من الكفار مسرعين في النفور عنك، كما قال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (٤٩) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: ٤٩-٥١].

أو يكون المعنى: مسرعين للاستماع منك للسخرية منك ومما جئت به، ولتبليغه لغيرهم على وجه الاستهزاء، كما قال تعالى: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ

سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ﴾ [المائدة: ٤١].

ومن معناها أيضًا: عامدين أي: قاصدين.

* * *

س - وضح معنى قوله تعالى ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴾؟

ج: المعنى: أنهم عن يمينك وعن شمالك متفرقين فِرقًا فِرقا وجماعاتٍ جماعاتٍ، منصرفين عنك، صارفين غيرهم عنك أيضًا.

* * *

س - كيف قيل: ﴿ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴾ وهم لا يؤمنون بالآخرة أصلاً؟

ج: هذا القول منهم تنزلاً على رأي غيرهم، فكأنهم يقولون: لا بعث ولاجزاء ولا ثواب ولا عقاب، وعلى فرضٍ أن هناك بعثا وثوابا وعقابا، فنحن أحق بالجنة وأولى بها، فالذي أكرمنا في الدنيا يكرمنا في الآخرة كقول قائلهم: ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾ [الكهف: ٣٦].

* * *

س - وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴾.

ج: المعنى: إنا خلقناهم من هذه النطفة المعلومة لديهم في حقارتها وتفاهتها، كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ [المرسلات: ٢٠]، وكما قال تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ [الطارق: ٥-٧]، وكما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴾ [القيامة: ٣٧].

قال الطبري رحمه الله: وقوله: ﴿**إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ**﴾ [المعارج: ٣٩].

يقول جلَّ وعز: إنا خلقناهم من مني قذر، وإنما يستوجب دخول الجنة من يستوجبه منهم بالطاعة، لا بأنه مخلوق، فكيف يطمعون في دخول الجنة وهم عصاة كفرة؟!

* * *

س ـ لماذا أُبهم المني في قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾؟

ج: أبهم ـ **والله أعلم** ـ: لبيان حقارة منشئهم، فلا ينبغي لهم التكبر، وقد خُلقوا من شيءٍ لا يكاد يُذكر.

وهذا استدلال على النشأة الأخرىٰ بالنشأة الأولىٰ.

وَثَمَّ قول آخر ـ ولكني أراه ضعيفًا ـ وهو: ما ذكره صديق حسن خان في (فتح البيان) حيث قال:

وقيل: المعنىٰ: إنا خلقناهم من أجل ما يعلمون وهو امتثال الأمر والنهي وتكميل النفس بالعلم والعمل، وتعريضهم للثواب والعقاب، كما في قوله: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات: ٥٦].

* * *

س ـ ما وجه التذكير بقوله تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ عقب قوله: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾؟

ج: وجه ذلك ـ **والله أعلم** ـ: لزجرهم عن الكبر والتعالي والغرور من ناحية.

ومن ناحيةٍ أُخرىٰ: لبيان أن الجنة التي يكرم الله بها من يكرم إنما هي بفضله لا بعملهم ولا بخلقهم.

قال ابن الجوزي رحمه الله (زاد المسير):
﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة.

فالمعنىٰ: لا يستوجب الجنة أحد بما يدعيه من الشرف علىٰ غيره، إذ الأصل واحد، وإنما يستوجبها بالطاعة.

والثاني: إنا خلقناهم من أقذار، فبما يستحقون الجنة ولم يؤمنوا؟!

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾.

ج: أما المراد بقوله: ﴿فَلا أُقْسِمُ﴾: (فلا) نفي لكلام متقدمٍ أو لظن ظنه المشركون، والمعنىٰ: أقسم.

أما المشارق والمغارب: فمن العلماء قال:

هي مشارق الشمس ومغاربها، قالوا: فللشمس في كل يوم مشرق ومغرب.

وقال آخرون: هي مشارق الشمس والقمر ومغاربهما.

أخرج الطبري بإسناد صحيح: من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما[1] قال: إن الشمس تطلع كل سنة في ثلاثمائة وستين كوّة، لا ترجع إلىٰ تلك الكوّة إلىٰ ذلك اليوم من العام المقبل، ولاتطلع إلا وهي كارهة، تقول: ربّ لا تطلعني علىٰ عبادك، فإني أراهم يعصونك، يعملون

(١) الطبري (أثر/ ٣٤٩٧١).

بمعاصيك. قال: أو لم تسمعوا إلى قول أمية بن أبي الصلت:

حتى تجر وتجلدا

قلت: يا مولاه، وتجلد الشمس؟ فقال: عضضت بهن أبيك، إنما اضطره الرويّ إلى الجلد.

* * *

س ـ اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَقَادِرُونَ (٤٠) عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ مع بعض الإيضاح لمعناها؟

ج: في معنى ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ [محمد: ٣٨].

وقوله تعالى: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

ولإيضاح معناها:

قال صديق حسن خان رحمه الله:

لقادرون على أن نخلق أمثل منهم وأطوع لله حين عصوه، ونهلك هؤلاء أو نبدلهم بتحويل الوصف، فيكونوا أشد بطشًا في الدنيا وأكثر أموالاً وأولادًا، ، وأعلى قدرًا، وأكثر حشمًا وجاهًا وخدمًا، فيكونوا عندك على قلب واحد في سماع قولك وتوقيرك وتعظيمك، والسعي في كل ما يشرح صدرك بدل ما يعمل هؤلاء من الهزء والتصفيق والصفير، وكل ما يضيق به صدرك.

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾.

ج: هذا على وجه التهديد والوعيد، فالمعنى كما قال القرطبي رحمه الله:

أي: اتركهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم ـ على جهة الوعيد ـ، واشتغل أنت بما أمرت به ولا يعظمنّ عليك شركهم؛ فإن لهم يومًا يلقون فيه ما وعدوا.

وقرأ ابن محيصن ومجاهد وحميد: ﴿حَتَّىٰ يلقوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾، وهذه الآية منسوخة بآية السيف.

* * *

س ـ اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾.

ج ذلك ـ والله أعلم ـ: وصف لحال المشركين يوم القيامة، إذ ينادي المنادي يوم القيامة ويدعو الداعي فيخرجون من قبورهم مسرعين، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ [المعارج: ٤٣] وكما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ۝ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر: ٦-٧].

فهؤلاء المشركون يخرجون من قبورهم مسرعين متجهين إلى الداعي الذي يدعوهم لا يستطيعون التواءً، ولا يتمكنون من الاستعصاء والامتناع، بل يأتون أذلاء مقهورين بين يدي رب العالمين.

وهذا الإسراع وتلك الإجابة منهم في الآخرة مع ما يصاحبها من الذلة

والانكسار بين يدي العزيز الجبار، جزاء ما كانوا يصنعون في دنياهم، فقد كانوا في دنياهم يوفضون إلى النصب أي: يُسرعون إليها، «والنُّصُب»: كل ما نُصب للعبادة من دون الله عز وجل، فيدخل فيه الأصنام التي كانت تعبد من دون الله، والتي كان يُذبح عندها ويتقرب عندها لغير الله، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ**﴾ [المائدة: ٣]، وكما قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ**﴾ [المائدة: ٩٠] ويدخل في النُّصب أيضًا: الأحجار التي كانوا يوقِّرونها ويجتهدون في الوصول إليها، ويتنافسون من يصل إليها أولا، ومن يستلمها قبل الآخر.

ومن العلماء من قال: «النُّصب» هنا: العلامات التي كانوا يستبقون إليها ويسعون نحوها. والله أعلم.



سورة نوح

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ
عَذَابٌ أَلِيمٞ (١) قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ (٢) أَنِ ٱعۡبُدُواْ
ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (٣) يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ
أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ (٤)
قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا (٥) فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا
(٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ
وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا (٧) ثُمَّ إِنِّي
دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا (٨) ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا (٩)
فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا (١٠) يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم
مِّدۡرَارٗا (١١) وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ
أَنۡهَٰرٗا (١٢) مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا (١٣) وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا (١٤)

أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ
فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ
نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ
ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ
إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾
وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا
وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ
ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ
يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى
ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ
وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن
دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا
تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي:

نذيرٌ ـ اتقوه ـ فرارًا ـ استغشوا ثيابهم ـ استكبروا استكبارًا ـ أصروا ـ جهارًا ـ أعلنت لهم ـ أسررت لهم إسرارًا ـ مدرارًا ـ لا ترجون لله وقارًا ـ أطوارًا ـ طباقًا ـ سراجًا ـ بساطًا ـ سبلاً ـ فجاجًا ـ كُبَّارًا ـ لا تذرُن ـ مما خطيئاتهم ـ تذرهم ـ ديَّارًا ـ فاجرًا ـ كفارًا ـ تبارًا ؟

ج:

الكلمة	معناها
نذيرٌ	من يُنذر عذاب الله ويُحذر منه.
اتقوه	اتقوا عقابه واحذروه.
فرارًا	إدبارًا وهربًا.
استغشوا ثيابهم	تغشوا في ثيابهم وتغطوا بها ـ غطوا وجوههم لئلا يروه ولئلا يسمعوه.
أصروا	ثبتوا على ما هم عليه من الكفر، واستمروا على ما هم فيه من الشرك.
استكبروا استكبارًا	امتنعوا عن قبول الحق امتناعًا، واستنكفوا استنكافًا.
جهارًا	ظاهرًا في غير خفاء معلنًا بدعوتي لهم.
أعلنت لهم	صحت بهم.
أسررت لهم اسرارًا	أسررت لهم فيما بيني وبينهم.
مدرارًا	متتابعًا.
لا ترجون لله وقارًا	لا تخافون عظمة الله وقدرته ـ لا تعظمون الله حق عظمته ـ لا تعملون بطاعة الله ـ لا تُؤمِّلون من الله توقيرًا لكم بأن

الكلمـــة	معنـاهـــــا
	تؤمنوا فتصيروا موقرين عنده ـ لا تعرفون له حقًا ولا تشكرون له نعمةً.
أطوارًا	حالاً بعد حال (من نطفة ثم من علقةٍ ثم من مضغة، ثم تخرجون طفلاً، ثم بلوغ الأشد، ثم الشيخوخة) وأيضًا: (فقراء وأغنياء ومرضى وأصحاء، ومن به منكم دمامة ومن هو وسيم . . .).
طباقًا	أطباقا بعضها فوق بعض (أَدْوارًا).
سراجًا	مصباحًا.
بساطًا	كالبساط تستقرون عليها وتتمهدونها.
سبلاً	طرقًا.
فجاجًا	طرقًا واسعة ـ طُرقًا بين جبلين.
كُبارًا	كبيرًا ـ عظيمًا.
لا تذرن	لا تتركن.
مما خطيئاتهم	بخطيئاتهم (بسبب خطيئاتهم)، والخطايا كبار الذنوب.
ديارًا	ساكن الديار (الذي يدور فيها).
تذرهم	تتركهم أحياء.
فاجرًا	فاجرًا في أعماله مخالفًا فيها أمر ربه سبحانه وتعالى تاركًا للطاعات.
كفارًا	كافر القلب ـ يكفر بالنعم ـ شديد الكفر.
تبارًا	هلاكًا ـ خسارًا.

س ـ اذكر شيئًا عن نبي الله نوح ﷺ.

ج: نبي الله نوح عليه السلام هو أول رسول بعثه الله إلىٰ أهل الأرض، سمَّاه الله عبداً شكوراً كما قال تعالىٰ: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣]، ثم هو مِن أُولي العزمِ من الرسل.

* * *

س ـ وضح المراد بقوله: ﴿أَنِ﴾ من قوله تعالى: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾.

ج: قال صديق حسن خان في (فتح البيان):

﴿أَنِ﴾ هي التفسيرية لنذير أو هي المصدرية كأختها السابقة، أي: بأن اعبدوا الله ولا تشركوا به غيره، واجتنبوا ما يوقعكم في عذابه، وأطيعوني فيما آمركم به؛ فإني رسول إليكم من عند الله، وإنما أضاف الإطاعة إلىٰ نفسه لأن الطاعة قد تكون لغير الله بخلاف العبادة.

* * *

س ـ لماذا قيل: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ ولم يقل: (يغفر لكم ذنوبكم)؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن «مِن» زائدة، فعليه: قوله: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ معناه: يغفر لكم ذنوبكم.

الثاني: أن المراد: يغفر لكم الذنوب العظام التي وعد بالانتقام ممن ارتكبها، أما سائر الصغائر فهي مغفورة كما قال تعالىٰ: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا

تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا ﴾ [النساء: ٣١].

الثـــالث: يغفر لكم ذنوبكم التي بينكم وبين ربكم، أما حقوق العباد فعليكم أن تؤدوها لهم، وهذا كما في الحديث: «**يُغفر للشهيد كل ذنب إلا الدَّين**».

الرابع: يغفر لكم ذنوبكم التي صدرت في جاهليتكم، فالإسلام يجُبُّ ما قبْله، وبعد الإسلام يُجازىٰ الشخص بالسيئات والحسنات، ـ إلا أن يغفر الله ـ، وتوضع الموازين القسط ليوم القيامة.

❊ ❊ ❊

شيءٌ من الكلام على تأخير الآجال

س ـ كيف قال سبحانه: ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ مع إخباره بامتناع تأخير الأجل إذ قال: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ﴾؟

ج: على ذلك أجوبة:

أحدها: أن هذا من باب الأسباب والمسببات، الشأن في ذلك شأن جميع الأمور المقدرة.

فكما أنّا نعلم أن الرزق مقدرٌ، لكنا نسعىٰ في الأخذ بأسبابه، فنضرب في الأرض ونبتغي من فضل الله، ونعلم أن الشفاء مقدرٌ لكنا نسعىٰ في التداوي ونسأل الله الشفاء.

ونعلم أن الآجال مُقدَّرة، لكنا نفرُّ من الأسود ونتقي النار والغرق والشرور، ونمنع من الانتحار.

فكذا فلنعلم أن الآجال مُسماة ومقدرة، ولكن نطيع الله حتىٰ يبلغنا آجالاً، كما نضرب في الأرض ليرزقنا أرزاقًا، كما أنا نتداوىٰ، ليتمم علينا ربنا الشفاء.

الثاني: أن المراد بالتأخير في الآجال البركة في الأعمار.

الثالث: أن المراد بالتأخيرِ تأخير العذاب، أو منع نزوله، فقوله: ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: يمنع عنكم العذاب فلا يعذبكم بالطوفان ولا بالصيحة، ولا بالرجفة ولا بالحجارة ولا بالخسف ولا بغير ذلك، فتعيشوا آمنين حتىٰ تموتوا بآجالكم.

الرابع: أن الطاعات وصلة الأرحام تزيد في الأعمار حقيقة، وقد وردت

بذلك عدة أحاديث منها: «**من أحب أن يُسط له في رزقه وينسَأ له في أثره فليصل رحمه**»(١).

ومنها: «**صلة الرحم وحُسن الخلق وحسن الجوار تزيدان في الأعمار، وتعمران الديار...**»(٢).

الخامس: أن الأجل أجلان، فإذا عمل العبد طاعة فله أجل، وإذا لم يعملها فله أجل، والله أعلم بما سيختاره العبد، وأعلم بما قضاه على العبد، وأثبته عنده، فكأنه سبحانه يقول لملائكته: إذا عمل عبدي كذا فزيدوه من العمر كذا، وإذا لم يعمل فلا تزيدوه، وهو سبحانه أعلم بما سيكون.

ونحو ذلك - ولله المثل الأعلى - كأن تقول لعامل عندك: إذا بقيت للساعة العاشرة في العمل فلك كذا وكذا من الأجر، وأنت قد تعرف أنه سيبقى أو لا يبقى من عموم سيرته ومن جده ونشاطه، ولكن بلا شك؛ فعلمُ الله أوسع.

وها هي بعض أقوال العلماء في هذا الباب:

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿**وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى**﴾ يقول: ويؤخر في آجالكم فلا يهلككم بالعذاب، لا بغرق ولا غيره ﴿**إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى**﴾ يقول: إلى حين كتب أنه يبقيكم إليه، إن أنتم أطعتموه وعبدتموه في أمّ الكتاب.

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥٩٨٦)، ومسلم (٢٥٥٧) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أحمد (٦/ ١٥٩) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا بسندٍ صحيح وبه علة، وله شواهد يصح بها.

وقال القرطبي رحمه الله:

﴿ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾قال ابن عباس : أي ينسئ في أعماركم، ومعناه: أن الله تعالىٰ كان قضىٰ قبل خلقهم أنهم إن آمنوا بارك في أعمارهم، وإن لم يؤمنوا عوجلوا بالعذاب.

وقال مقاتل: يؤخركم إلىٰ منتهىٰ آجالكم في عافية؛ فلا يعاقبكم بالقحط وغيره. فالمعنىٰ علىٰ هذا: يؤخركم من العقوبات والشدائد إلىٰ آجالكم. وقال الزجاج: أي: يؤخركم عن العذاب فتموتوا غير موتة المستأصلين بالعذاب. وعلىٰ هذا قيل: ﴿ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ عندكم تعرفونه، لا يميتكم غرقًا ولا حرقًا ولا قتلاً؛ ذكره الفرّاء.

وعلىٰ القول الأول ﴿ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ عند الله. ﴿ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ ﴾ أي: إذا جاء الموت لا يؤخر بعذاب كان أو بغير عذاب. وأضاف الأجل إليه سبحانه لأنه الذي أثبته. وقد يضاف إلىٰ القوم، كقوله تعالىٰ: ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ ﴾ [النحل: ٦١] لأنه مضروب لهم، و«لو» بمعنىٰ «إن» أي إن كنتم تعلمون.

وقال الحسن: معناه: لو كنتم تعلمون لعلمتم أن أجل الله إذا جاءكم لم يؤخّر.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ أي: يمد في أعماركم ويدرأ عنكم العذاب الذي إن لم تنزجروا عما نهاكم عنه أوقعه بكم.

قال: وقد يستدل بهذه الآية من يقول: إن الطاعة والبر وصلة الرحم يزاد

بها في العمر حقيقة كما ورد به الحديث: «صلة الرحم تزيد في العمر»[(١)] .

وقال الرازي رحمه الله:

كيف قال: ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ﴾ مع إخباره بامتناع تأخير الأجل؟ وهل هذا إلا تناقض؟

(الجواب): قضىٰ الله مثلاً أن قوم نوح إن آمنوا عمرهم الله ألف سنة، وإن بقوا علىٰ كفرهم أهلكهم علىٰ رأس تسعمائة سنة، فقيل لهم: آمنوا: ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: إلىٰ وقت سماه الله وجعله غاية الطول في العمر، وهو تمام الألف، ثم أخبر أنه إذا انقضىٰ ذلك الأجل الأطول لابد من الموت.

وقال السمعاني في «تفسيره»:

وقوله: ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: إلىٰ الموت.

فإن قيل: هذه الآية تدل علىٰ أنه يجوز أن يكون للإنسان أجلان، وأن العقوبة تقع قبل الأجل المضروب للموت؟

والجواب من وجهين:

أحدهما: أنه يجوز أن يقال: إن الأجل أجلان:

أحدهما: إلىٰ سنة أو سنتين إن عصوا الله.

والآخر: إلىٰ عشر سنين أو عشرين سنة إن أطاعوا الله، فعلىٰ هذا قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ أي: في حالتي الطاعة والمعصية.

---

(١) أخرجه الطبراني (٨٠١٤) (جـ٨/ ص ٣١٢) ومن شواهده ما تقدم قريبًا.

والوجه الثاني: أن الأجل واحد بكل حال.

وقوله: ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾أي: يميتكم غير ميتة الاستئصال والعقوبة، وهو الموت الذي يكون بلا غرق ولا قتل ولا حرق. وقيل: ﴿يؤخركم إلىٰ أجل مسمىٰ﴾، أي: عندكم، وهو الأجل الذي تعرفونه، وذلك موت من غير هذه الوجوه. وهذا القول أقرب إلىٰ مذهب أهل السنة، فعلىٰ هذا قوله: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ﴾ هو الأجل المسمىٰ المضروب لكل إنسان.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ وما المراد بأجل الله؟

ج: المعنىٰ ـ والله أعلم ـ: لو علمتم أن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لأنبتم إلىٰ طاعة ربكم ولامتثلتم أمره.

أما المراد بأجل الله في هذا الموطن: فللعلماء فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: الأجل الذي قدره الله لهم في الدنيا ذلكم الذي ينتهي بالموت.

الثاني: البعث.

الثالث: نزول العذاب، والله أعلم.

* * *

س ـ لماذا نُسب الأجل إلى الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ﴾؟ وهل ينسب الأجل للقوم أحيانًا؟ وما وجه ذلك؟

ج: نُسب الأجل إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ لأنه الذي قدَّره وأثبته.

وقد يُنسب الأجل إلى القوم كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ﴾ لأنه مضروبٌ لهم ومُحدَّد.

* * *

س ـ قوله: ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي﴾ دعاهم إلى ماذا؟

ج: دعاهم إلى العبادة والتوحيد والطاعة، فقد أمره الله بذلك.

* * *

س ـ وضح معنى قوله: ﴿دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: دعوتهم ليؤمنوا ويطيعوا فتغفر لهم.

* * *

س ـ وضح معنى قوله: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: اطلبوا مغفرة ذنوبكم من ربكم عزَّ وجل، وألا يؤاخذكم عليها يغفرها لكم ربكم ويتجاوز عنكم ويصفح.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ يقول: فقلت لهم: سلوا ربكم غفران ذنوبكم، وتوبوا إليه من كفركم، وعبادة ما سواه من الآلهة ووحدوه، وأخلصوا له العبادة، يغفر لكم، إنه كان غفاراً لذنوب من أناب إليه وتاب إليه من ذنوبه.

* * *

س ـ اذكر بعض الآيات الدالة على أن الاستغفار سببٌ لاستدرار الأرزاق.

ج: من هذه الآيات ما يلي:

قوله تعالىٰ: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠ـ١٢]

وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ [هود: ٣].

وقول نبي الله هود عليه السلام: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢].

❊ ❊ ❊

الترغيب في الاستكثار من الذرية

س ـ كثرة البنين والذرية نعمة من الله، وقد رغب الله في ذلك وسأل الصالحون ربهم كثرة الذرية دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالىٰ في معرض الامتنان والتفضل: ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ [نوح: ١٢]

وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً﴾ [الإسراء: ٦].

وقول إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠].

وقول إبراهيم عليه السلام: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

وقول زكريا عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨].

وقوله أيضًا: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٥]

وقوله ﴿رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩].

وقول عباد الرحمن: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾.

[الفرقان: ٧٤]

وقول النبي ﷺ: «تزوجوا الودود الولود؛ فإني مكاثر بكم الأمم»[١].

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (حديث ٢٠٥٠)، والنسائي (٦/ ٥٦) وغيرهما، من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه مرفوعًا.

وقوله عليه السلام: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة: .. ولدٍ صالحٍ يدعو له»(١).

وقول النبي ﷺ: «إن الله عزَّ وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة، فيقول: يا رب، أنى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك»(٢).

وقد يكون الولد شهيداً فيشفع في سبعين من أهل بيته(٣).

وقد يكون حاملاً لكتاب الله فيُكسىٰ والده حلتين لا تقوم لهما الدنيا(٤).

وقد يموت في الصغر مع أخٍ له فلا تمسُّ النارُ والديه إلا تحلة القسم(٥).

* * *

س ـ هل ضوء الشمس والقمر ونورهما في السماء الثانية والثالثة وسائر السموات؟

ج: قال بذلك بعض أهل العلم:

فقال الطبري:

وقوله: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً﴾ يقول: وجعل القمر في السموات

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (حديث ١٦٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أحمد (٢/ ٥٠٩) وسنده حسن.

(٣) أخرج الترمذي (حديث ١٦٦٣) من حديث المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «للشهيد عند الله ست خصال: . . . ويُشفَّع في سبعين من أقاربه». وهو صحيح.

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٨) بسند حسن من حديث بريدة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٥) أخرجه البخاري (١٢٥١) ومسلم (٢٦٣٢) وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «لا يموت لأحدٍ من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار، إلا تحلة القسم.

السبع نوراً وجعل الشمس فيهن سراجًا.

وأورد الطبري بإسناد صحيح عن قتادة[١]: ﴿أَلَمْ تروا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ⑮ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ ذُكر لنا أن عبد الله بن عمرو بن العاص كان يقول: إن ضوء الشمس والقمر نورهما في السماء، اقرءوا إن شئتم: ﴿أَلَمْ تروا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا...﴾ إلى آخر الآية.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا ⑰ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله:

﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا﴾ يقول: والله أنشأكم من تراب الأرض، فخلقكم منه إنشاءً.

﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ يقول: ثم يعيدكم في الأرض كما كنتم ترابًا، فيصيِّركم كما كنتم من قبل أن يخلقكم.

﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ يقول: ويخرجكم منه إذا شاء أحياء كما كنتم بشراً من قبل أن يعيدكم فيها، فيصيِّركم ترابًا إخراجًا.

* * *

س ـ وضح معنى قوله: ﴿وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَارًا﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: أن قوم نوح عصوه وتبعوا المترفين من

(١) هو صحيح عن قتادة عند الطبري (٣٥٠١٩)، ولكنه منقطع بين «قتادة» و«عبد الله بن عمرو» وله طريق آخر عند الطبري (٣٥٠٢٠) عن قتادة أيضًا.

أصحاب الأموال والأولاد الذين لم ينتفعوا بأموالهم ولا أولادهم إلا في الشر والفساد، فهؤلاء المترفون المفسدون أصبحوا أئمة لسائر قوم نوح، اقتدوا بهم في الشر والفساد والكفر والشبهات والشهوات.

قال الطبري رحمه الله:

﴿ **وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَارًا** ﴾ يقول: واتبعوا في معصيتهم إياي من دعاهم إلى ذلك، ممن كثر ماله وولده، فلم تزده كثرة ماله وولده إلا خساراً، بُعداً من الله، وذهاباً عن محجة الطريق.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى مخبراً عن نوح ـ عليه السلام ـ: إنه أنهى إليه ـ وهو العليم الذي لا يعزب عنه شيء ـ أنه مع البيان المتقدم ذكره، والدعوة المتنوعة المشتملة على الترغيب تارة والترهيب أخرى: أنهم عصوه وكذبوه وخالفوه، واتبعوا أبناء الدنيا ممن غفل عن أمر الله، ومتع بمال وأولاد، وهي في نفس الأمر استدراج وإنظار لا إكرام؛ ولهذا قال: ﴿ **وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَارًا** ﴾

وقال القرطبي رحمه الله:

﴿ **وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَارًا** ﴾ يعني: كبراءهم وأغنياءهم الذين لم يزدهم كفرهم وأموالهم وأولادهم إلا ضلالاً في الدنيا وهلاكًا في الآخرة. وقرأ أهل المدينة والشام وعاصم ﴿ **وَوَلَدُهُ** ﴾ بفتح الواو واللام. الباقون «وُلْده» بضم الواو وسكون اللام، وهي لغة في «الولد». ويجوز أن يكون جمعًا للولد، كالفُلك فإنه واحد وجمع.

* * *

س ـ ما هذا المكر الكبار الذي مكروه؟

ج: من ذلك قولهم: ﴿**لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا**﴾ [نوح: ٢٣].

* * *

س ـ ما المراد بـ «ود» و«سواع» و «يغوث» و «يعوق» و «نسرًا»؟

ج: ذهب بعض العلماء إلىٰ أن هؤلاء كانوا رجالاً صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلىٰ العبادة إذا ذكرناهم، فصوَّروهم، فلما ماتوا، وجاء آخرون دبّ إليهم إبليس، فقال: إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر؛ فعبدوهم.

وفي هذا أثر ابن عباس عند البخاري[1] ففيه: من طريق ابن جريج وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: «صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ودٌّ: فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواعٌ: فكانت لهذيل، وأما يغوث: فكانت لمرادٍ، ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ، وأما يعوق: فكانت لهمدان. وأما نسرٌ: فكانت لحمير، لآل ذي الكلاع. أسماء رجالٍ صالحين من قوم نوحٍ، فلما هلكوا أوحىٰ الشيطان إلىٰ قومهم أن انصبوا إلىٰ مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا وسموها بأسمائهم ففعلوا، فلم تعبد، حتىٰ إذا هلك أولئك وتنسَّخ العلم عبدت».

(١) البخاري (٤٩٢٠)، وهذا الأثر مُنتقد علىٰ الإمام البخاري رحمه الله تعالىٰ من جهة أن عطاء هو الخراساني ولم يسمع ابن جريج من عطاء الخراساني، ولمزيد انظر «فتح الباري» (٨/ ٦٦٧) ومقدمة الفتح في الأحاديث المنتقدة.

بينما ذهب بعض أهل العلم إلى أن هذه الأسماء هي أسماءٌ لأصنامٍ كان قوم نوح يعبدونها.

وقد أخرج الطبري بإسناد حسن[(١)] عن قتادة قال:

قوله: ﴿لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ قال: كان «ود» لهذا الحي من كلب بدومة الجندل، وكانت «سواع» لهذيل برياط، وكان «يغوث» لبني غطيف من مراد بالجرف من سبأ، وكان «يعوق» لهمدان ببلخع، وكان «نسر» لذي كلاع من حمير، قال: وكانت هذه الآلهة يعبدها قوم نوح، ثم اتخذها العرب بعد ذلك والله ما عدا خشبة أو طينة أو حجراً.

بينما ذهب بعض العلماء إلى أن هذه أسماء أولادٍ لآدم عليه السلام.

* * *

س ـ أهل الكفر يتواصون فيما بينهم بالثبات على الكفر، وأهل الإيمان يتواصون بالثبات على الحق والإيمان دلِّل على هذا وذاك.

ج: من الأدلة على تواصي أهل الكفر فيما بينهم بالثبات على الكفر والاستمرار فيه ما يلي:

قولهم لبعضهم: ﴿لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾.

وقولهم لبعضهم: ﴿أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ﴾ [ص: ٦]، وقول قوم

---

(١) الطبري (أثر ٣٥٠٢٩).

وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما عند الطبري (٣٥٠٣١) أنه قال: هذه أصنام كانت تُعبد في زمان نوحٍ. لكن السند إلى ابن عباس هنالك ضعيف.

فرعون لفرعون: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾.

[الأعراف: ١٢٧]

ومن الأدلة على تواصي أهل الإيمان بالحق: قوله تعالى: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ [العصر: ٣-٤].

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً﴾.

ج: ذهب بعض أهل العلم إلى: أن الذين أضلوا كثيراً هم المترفون الكفار الفساق من قوم نوح، فقد أضل هؤلاء المترفون أقواماً كثيرين، وصرفوهم عن الحق إلى الباطل وعن الإيمان إلى الكفر.

بينما ذهب آخرون إلى أن الذين أضلوا كثيراً المراد بهم الأوثان والأصنام ضلَّ بسببها أقوام كثيرون.

وهاهي بعض أوقوال العلماء في ذلك:

قال الإمام الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قوم نوح: وقد ضلّ بعبادة هذه الأصنام التي أحدثت على صور هؤلاء النفر المسمين في هذا الموضع كثير من الناس، فنسب الضلال إذ ضل بها عابدوها إلى أنها المضلة.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً﴾، يعني: الأصنام التي اتخذوها أضلوا بها خلقاً كثيراً، فإنه استمرت عبادتها في القرون إلى زماننا هذا في العرب والعجم وسائر صنوف بني آدم.

وقد قال الخليل - عليه السلام - في دعائه : ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ (٣٥) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ ﴾ [إبراهيم: ٣٥] .

وقال القرطبي رحمه الله:

﴿ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً ﴾ هذا من قول نوح ؛ أي : أضلّ كبراؤهم كثيراً من أتباعهم ؛ فهو عطف على قوله : ﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴾ . وقيل : إن الأصنام ﴿ أَضَلُّوا كَثِيراً ﴾ أي : ضلّ بسببها كثير ؛ نظيره قول إبراهيم : ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ ﴾ [إبراهيم: ٣٦] فأجرىٰ عليهم وصف ما يعقل ؛ لاعتقاد الكفار فيهم ذلك . ﴿ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلالاً ﴾ أي : عذابًا ؛ قاله ابن بحر . واستشهد بقوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ ﴾ [القمر: ٤٧] . وقيل : إلا خسرانًا . وقيل : إلا فتنةً بالمال والولد . وهو محتمل .

❊ ❊ ❊

بعض الأدلة على إثبات
عذاب القبر لأقوام أعاذنا الله منه

س ـ اذكر بعض الأدلة على إثبات عذاب القبر.

ج: من ذلك من الآيات ما يلي:

قوله تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾[١] [نوح: ٢٥].

وقوله تعالى في شأن قوم فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

أما سنَّة رسول الله ﷺ فمنها:

ما أخرجه البخاري ومسلم[٢]: من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت عليَّ عجوزان من عجز يهود المدينة، فقالتا: إن أهل القبور يعذبون في قبورهم. قالت: فكذبتهما، ولم أنعم أن أصدقهما، فخرجتا، ودخل عليَّ رسول الله ﷺ فقلت له: يا رسول الله، إن عجوزين من عجز يهود المدينة دخلتا عليَّ، فزعمتا أن أهل القبور يعذبون في قبورهم! فقال:

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: أي: نقلوا من تيار البحار إلى حرارة النار.

(٢) البخاري (حديث ٦٣٦٦) ومسلم (حديث ٥٨٦).

«**صدقتا؛ إنهم يعذبون عذابًا تسمعه البهائم**» قالت: فما رأيته بعد في صلاةٍ إلا يتعوذ من عذاب القبر.

ومن ذلك: جملة التعوذات الواردة من عذاب القبر، وهي جملة كثيرة جدًا ومنها:

ما أخرجه مسلم(١): من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع، يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال**».

ومن ذلك: ما أخرجه مسلم(٢): من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: بينما النبي ﷺ في حائطٍ لبني النجار على بغلةٍ له، ونحن معه إذ حادت به فكادت تُلقيه، وإذا أَقْبُرٌ ستة أو خمسةٌ أو أربعة - قال: كذا كان يقول الجريري - فقال: «**من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟**» فقال رجلٌ: أنا. قال: «**فمتى مات هؤلاء؟**» قال: ماتوا في الإشراك. فقال: «**إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه**» ثم أقبل علينا بوجهه فقال «**تعوَّذوا بالله من عذاب النار**» قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار. فقال: «**تعوذوا بالله من عذاب القبر**» قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر. قال: «**تعوذوا بالله من الفتن، ما ظهر منها وما بطن**» قالوا: نعوذ بالله من الفتن، ما ظهر منها وما بطن. قال:

(١) مسلم (حديث ٥٨٨).

(٢) مسلم (حديث ٢٨٦٧).

«تعوذوا بالله من فتنة الدجال» قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال.

ومن ذلك: ما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ﴿**ثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ**﴾ [إبراهيم: ٢٧] قال: «**نزلت في عذاب القبر، فيقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله ونبيي محمدٌ ﷺ فذلك قوله عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾** [إبراهيم: ٢٧]».

ومن ذلك: ما أخرجه البخاري ومسلم[٢] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر رسول الله ﷺ على قبرين فقال: «**أما إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما: فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر: فكان لا يستتر من بوله**»، قال: فدعا بعسيب رطبٍ فشقه باثنين. ثم غرس على هذا واحداً، وعلى هذا واحداً، ثم قال: «**لعله أن يُخفَّف عنهما، ما لم ييبسا**».

ومن ذلك: الحديث الوارد في فضل الشهيد، وأنه يُجار من عذاب القبر.

والأحاديث في عذاب القبر كثيرة جداً، وقد جُمعتْ في مصنَّفات.

وفي «صحيح مسلم»[٣]: من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يُسمعكم من عذاب القبر**».

ومن ذلك: ما أخرجه الإمام أحمد[٤] في «مسنده»، وأخرجه غيره أيضًا

---

(١) البخاري (حديث ١٢٦٩) ومسلم (حديث ٢٨٧).

(٢) البخاري (حديث ٢١٨)، ومسلم (حديث ٢٩٢).

(٣) مسلم (حديث ٢٨٦٨).

(٤) أحمد (٤/ ٢٨٧-٢٨٨-٢٨٩).

بسند صحيح عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر، ولمّا يلحد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله، وكأن على رءوسنا الطير، وفي يده عود ينكت في الأرض. فرفع رأسه فقال: «**استعيذوا بالله من عذاب القبر**» مرتين أو ثلاثًا، ثم قال: «**إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملكُ الموت عليه السلام، حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فيِّ السقاء، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين، حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها فلا يمرون ـ يعني: بها على ملأ من الملائكة ـ إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان ابن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا به إلى السماء السابعة، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدُهم، ومنها أُخرجهم تارةً أخرى**». قال: فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله. فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام. فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ. فيقولان له: وما عملك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت. فينادي مناد في السماء: أن صدق عبدي، فافرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة. قال: فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره، قال ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح فيقول: أبشر بالذي يسرّك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت، فوجهك الوجه يجيء بالخير؟ فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة حتى

أرجع إلى أهلي ومالي. قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين، حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان ابن فلان، بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهي إلى السماء الدنيا، فيستفتح له فلا يفتح له. ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]. فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى. فتطرح روحه طرحًا، ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١] فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي مناد من السماء: أن كذب فافرشوا له من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار. فيأتيه من حرها وسمومها ويُضيَّق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوءك، هذا يومك الذي كنت توعد. فيقول: من أنت، فوجهك الوجه يجيء بالشر؟ فيقول: أنا عملك الخبيث. فيقول: رب لا تقم الساعة».

* * *

س ـ الكفر والعصيان سبب لخراب العالم ـ دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالىٰ: ﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا﴾ [نوح: ٢٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ [مريم: ٨٨-٩١].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ (٥٣) فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ﴾ [النجم: ٥٣-٥٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا (٨) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾.

[الطلاق: ٨]

والأدلة علىٰ هذا كثيرة جداً.

* * *

س ـ كيف أُغرقوا؟

ج: قال تعالىٰ: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [القمر: ١١، ١٢] فصار الموج كالجبال، كما قال تعالىٰ: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ [هود: ٤٢]، فأغرقهم الله جميعًا بذلك، وأنجىٰ نوحًا والمؤمنين به.

* * *

س ـ وضح المراد بقوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا﴾.

ج: المراد ـ والله أعلم ـ : لم يجدوا من دون الله أنصاراً ينصرونهم ولا وجدوا أحداً يمنعهم من عذاب الله ولا يدفعه عنهم.

* * *

س ـ هل يجوز الدعاء على الكافرين؟

ج: نعم، يجوز الدعاء علي الكافرين.

قال نبي الله نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٧].

وقال أيضاً: ﴿وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارًا﴾ [نوح: ٢٨].

وقال نبي الله موسىٰ عليه السلام: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨].

وقال النبي ﷺ[1] : «اللهم عليك بقريش».

* * *

س ـ هل استجاب الله دعاء نبيه نوح عليه السلام؟

ج: نعم، قد استجاب الله دعاء نبيه نوح عليه السلام، قال تعالىٰ: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [القمر: ١٠-١٢].

---

(١) البخاري (حديث ٢٤٠)، ومسلم (حديث ١٧٩٤).

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفرقان: ٣٧].

* * *

س ـ كيف عرف نوح أن القوم لن يلدوا إلا فاجرًا كفَّارًا؟

ج: الله أخبره بذلك، كما قال تعالىٰ: ﴿لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ﴾ [هود: ٣٦] وعرف ذلك أيضًا باستقراء أحوالهم وخبرته بهم.

* * *

س ـ لماذا دعا نبي الله نوح عليه السلام على قومه؟

ج: ذلك لأمرين:

أحدهما: قوله تعالىٰ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ﴾ [هود: ٣٦].

الثاني: أن هؤلاء القوم سيضلون غيرهم، قال نوح عليه السلام: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧].

هذا، وقد أخرج الطبري[1] بإسنادٍ حسن عن قتادة في قوله: ﴿رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦] أما والله ما دعا عليهم حتىٰ أتاه الوحي من السماء: ﴿أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ﴾ [هود: ٣٦] فعند ذلك دعا عليهم نبي الله نوح فقال: ﴿رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٦-٢٧] ثم دعاه

---

(١) الطبري أثر (٣٥٠٣٧).

دعوة عامة فقال: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ . . . إلى قوله ﴿تَبَارًا﴾ [نوح: ٢٨]

* * *

س ـ ما المراد بالبيت في قوله: ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ﴾؟

ج: من العلماء من قال: إن المراد بالبيت هنا: المسجد والمُصلَّى.

* * *

شيء من المستفاد من دعوة نبي اللَّه نوح عليه السلام

س ـ ينبغي أن يستفيد الدعاةُ إلى اللَّه من طريقة الأنبياء عليهم السلام في دعوتهم لقومهم، فما الذي يستفاد من طريقة نبي الله نوح عليه الصلاة والسلام في دعوته لقومه؟

ج: يستفاد من ذلك أمور:

أحدها: صبر نبي الله نوح ـ عليه الصلاة والسلام ـ على قومه، فقد لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً.

الثاني: تذكير نوح لقومه بأهم الأمور: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾. [نوح: ٣]

الثالث: تنويع سبل الدعوة إلى الله، فمن الناس من قد تنفعه دعوة السر، وآخر ينتفع بالدعوة في العلن.

الرابع: الترغيب والترهيب، وبيان فضل الإيمان والطاعات وعاقبة الكفر والمعاصي والمخالفات.

الخامس: التذكير بنعم الله وآلائه وعظمته وقدرته، كما في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ⑮ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ⑯ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ⑰ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ⑱ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ⑲ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح: ١٥ـ٢٠].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

وكل هذا مما ينبههم به نوح ـ عليه السلام ـ على قدرة الله وعظمته في خلق

السماوات والأرض، ونعمه عليهم فيما جعل لهم من المنافع السماوية والأرضية، فهو الخالق الرازق، جعل السماء بناءً، والأرض مهادًا، وأوسع على خلقه من رزقه، فهو الذي يجب أن يعبد ويوحد ولا يشرك به أحد، لأنه لا نظير له ولا عديل له، ولا ند ولا كفء، ولا صاحبة ولا ولد، ولا وزير ولا مشير، بل هو العلي الكبير.

السادس: تقريب أهل الإيمان وعدم طردهم، سواءً كانوا فقراء أو أغنياء.

* * *

سورة الجن

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي:

نفرٌ ـ قرآنًا ـ عجبًا ـ يهـدي إلى الرشد ـ فآمنا ـ لن نشرك بربنا أحدًا ـ جدُّ ربنا ـ تعـالى جد ربنا ـ صـاحبة ـ سـفيهنا ـ شـططا ـ يعوذون ـ رهقًا ـ لمسنا السماء ـ حرسًا ـ شُهبًا ـ مقاعد للسمع ـ شهابًا رصدًا؟

ج:

الكلمـــة	معنـاهـــــا
نفرٌ	جماعة (من الثلاثة إلى العشرة).
قرآنًا	كلامًا مقروءًا (وهو القرآن الكريم).
عجبًا	ذو عـجبٍ (في فـصاحـته وبلاغـته ومواعـظه وأمره ونهـيه وبركته وفي كل شيء) مُعجب ـ عظيمًا.
يهدي إلى الرشد	يدل على الحق والصواب ـ يهدي لأرشد الأمور وأفضلها.
فآمنا به	فصدقنا به وأيقنا أنه من عند الله عزَّ وجل.
لن نشرك بربنا أحدًا	لن نتخذ معه إلهًا آخر.
جدُّ ربنا	عظمة ربنا ـ جلال ربنا ـ أمر ربنا.
تعالى جدُّ ربنا	تعالى جلاله وتعالت عظمته عن اتخاذ الصاحبة والولد ـ تنزه جلال ربنا وعظمته عن اتخاذ الصاحبة والولد (أي: أن منزلة ربنا وجـلال ربنا وعظمـة ربنا لا تتناسب أبدًا بحالٍ من الأحوال أن يتخذ زوجة أو ولدًا).
صاحبة	زوجة.

الكلمـــة	معنــاهـــــا
سفيهنا	جاهلنا ـ (وهو الشيطان) .
شططا	ظلمًا وافتراءً وشدة في الافتراء والكذب . بُعدًا شديدًا عن الحق ، وبعدًا عن التوحيد إلىٰ الشرك ، ودليله : آية مشابهة في شأن الفتية أصحاب الكهف : ﴿ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴾ [الكهف : ١٤] .
يعوذون	يستجيرون .
رهقا	إثمًا ـ طغيانًا ـ خوفًا .
لمسنا السماء	طلبنا خبرها ـ قصدناها واتجهنا إليها واقتربنا منها .
حرسًا	حُرَّاسًا ـ حفظةً ـ ملائكة يحرسونها ويحفظونها .
شُهبًا	جمع «شهاب» ، وهي أجزاء من النجوم ترمىٰ بها الشياطين ، كما قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (٦) وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ (٧) لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴾ [الصافات : ٦ـ٨]
مقاعد للسمع	مجالس للاستماع والتصنت علىٰ حديث الملائكة وهم يتحدثون .
شهابًا رصدًا.	شهابًا قد أُعد له وأُرصد له .

س ـ الخطاب في قوله: ﴿قُلْ﴾ موجهٌ لمن؟ ولمن أُمر أن يقول؟ ولماذا أمر بهذا الأمر؟

ج: الخطاب مُوجَّهٌ للنبي ﷺ وأُمر أن يقول ذلك للناس؛ وذلك كي يعلم الناس أن الجن مع تمردهم لما سمعوا القرآن أنصتوا له وآمنوا به وعرفوا أنه من عند الله.

وذلك أيضًا: كي يعلم الناس أن النبي ﷺ مرسل للثقلين (الإنس والجن).

وفي هذا أيضًا توبيخٌ للكفار من بني آدم، حيث آمنت الجن بسماع القرآن مرة واحدة وانتفعوا بسماع آيات يسيرة منه، وأدركوا بعقولهم أنه كلام الله وآمنوا به، ولم ينتفع كفار الإنس، لا سيما رؤساؤهم وعظماؤهم بسماعه مرارًا متعددة، وتلاوته عليهم في أوقات مختلفة، مع كون الرسول منهم يتلوه عليهم بلسانهم، لا جرم صرعهم الله أذل مصرع وقتلهم أقبح مقتل ولعذاب الآخرة أشد لو كانوا يعلمون.

ذكر ذلك صديق حسن خان رحمه الله في «فتح البيان».

* * *

س ـ لمن قالت الجن: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾؟

ج: قالوا ذلك لقومهم، دلَّ على ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ﴾.

[الأحقاف: ٢٩]

* * *

س ـ اذكر سبب نزول قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾؟

ج: سبب النزول هذا هو: ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن وما رآهم، انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشُّهُب. قالوا: ما ذاك إلا من شيءٍ حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء؟ فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها، فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة ـ وهو بنخل، عامدين إلى سوق عكاظٍ. وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر ـ، فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء. فرجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ① يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾. فأنزل الله عز وجل على نبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾.

* * *

(١) البخاري (حديث ٤٩٢١) ومسلم (حديث ٤٤٩) والحديث عند البخاري لفظه: «ما قرأ رسول الله على الجن وما رآهم».
وعند البخاري من الزيادة بعد قوله: «وأنزل الله على نبيه ﷺ: ﴿قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن﴾ زيادة: «وإنما أوحى الله إليه قول الجن».
قال الحافظ ابن حجر رحمه الله «فتح الباري»:
قوله: «وإنما أوحى إليه قول الجن» هذا كلام ابن عباس، كأنه تقرر فيه ما ذهب إليه أولاً أنه ﷺ لم يجتمع بهم، وإنما أوحى الله إليه أنهم استمعوا، ومثله قوله تعالى: ﴿وإذ =

س ـ هل رأى النبي ﷺ هؤلاء النفر من الجن؟

ج: الظاهر أنه في هذه المرة المذكورة في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: ١] لم يرهم النبي ﷺ، وذلك للأدلة التالية:

الدليل الأول: قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: ١]، فالمعنىٰ: قل يا محمد لأمتك: إنه أُوحي إليَّ ـ أي علىٰ لسان جبريل عليه السلام ـ أنه استمع نفرٌ من الجن.

فكون النبي علىٰ ذلك إنما هو بطريق الوحي إليه، فدلَّ ذلك علىٰ عدم رؤيته لهم له هذه المرة.

الثاني: قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا﴾ [الأحقاف: ٢٩]، فأوحىٰ الله إليك بذلك أيضًا، وفيه إشارة إلىٰ أنه لم يكن رآهم.

الثالث: ما ثبت في «الصحيح»: «**ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن وما رآهم**»(١).

* * *

= صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا﴾ الآية [الأحقاف: ٢٩]. ولكن لا يلزم من عدم ذكر اجتماعه بهم حين استمعوا أن لا يكون اجتمع بهم بعد ذلك كما تقدم تقريره.

وفي الحديث إثبات وجود الشياطين والجن وأنهما لمسمىٰ واحد، وإنما صارا صنفين باعتبار الكفر والإيمان، فلا يقال لمن آمن منهم إنه شيطان.

(١) أخرجه مسلم (حديث ٤٤٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وهو عند البخاري بدون ذكر هذه اللفظة.

وهذا المذكور من قول ابن عباس رضي الله عنهما إنما هو علىٰ قدر علمه في هذا الباب، فإذا ورد عن صحابي آخر غير ذلك عملنا به وسيأتي إن شاء الله.

س ـ هل قرأ الرسول ﷺ على الجن وهو يعلم أنهم يستمعون إليه؟

ج: هذا في مواطن دون مواطن، فقد قرأ عليهم أحيانًا وهو يعلم استماعهم له، وقرأ أحيانًا أُخَرَ وهو لا يعلم، فالوقت الذي قرأ عليهم فيه وهو لا يعلم أخبره الله به في قوله: ﴿**قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ**﴾ [الجن: ١]، أما الوقت الذي قرأ عليهم فيه وهو يعلم باستماعهم، ففيما أخرجه مسلم[1] في «صحيحه» من طريق عامر قال: سألت علقمة: هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: فقال علقمة: أنا سألت ابن مسعود، فقلت: هل شهد أحدٌ منكم مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: لا؛ ولكنا كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلةٍ، ففقدناه، فالتمسناه في الأودية والشعاب[2]؛ فقلنا: استطير[3] أو اغتيل[4]. قال فبتنا بشر ليلةٍ بات بها قومٌ. فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء. قال فقلنا: يا رسول الله، فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلةٍ بات بها قومٌ. فقال: «**أتاني داعي الجن، فذهبت معه، فقرأت عليهم القرآن**» قال: فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم.

***

س ـ ما مدى صحة تسمية الجن بالأرواح السفلية؟

ج: ليس على هذا دليل من كتاب الله ولا من سنة رسول الله ﷺ فيما

---

(١) مسلم (حديث ٤٥٠).

(٢) «الشِّعب» جمع شعب، وهو الطريق (وقيل: الطريق في الجبل).

(٣) «استطير» أي طارت به الجن.

(٤) «اغتِيل»: قتل سرًا.

علمت، ولكن الذي علمته أن الفلاسفة ـ من آمن منهم بالجن ـ[١] يطلقون على الجن الأرواح السفلية، وهذا إطلاق ليس عليه دليل كما قدمت.

* * *

بعض الأدلة على وجود الجن

س ـ اذكر بعض الأدلة على وجود الجن من الكتاب والسنة.

ج: الأدلة على هذا في غاية الكثرة، نذكر منها فقط ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وقوله تعالى: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٧].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾.

[الأحقاف: ٢٧]

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: ١]

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ [الإسراء: ٨٨].

أما الأحاديث: فمنها أيضًا على سبيل التذكير ببعضها فقط:

ما أخرجه البخاري ومسلم[٢] (واللفظ لمسلم) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ: «...**أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون**».

---

(١) وإلا فمعظم الفلاسفة ينكرون وجود الجن.

(٢) البخاري (حديث ٧٣٨٣)، ومسلم (٢٧١٧).

- وقول النبي ﷺ: «... فارفع صوتك بالنداء، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة»[١] .

وقول النبي ﷺ: «إن عفريتًا من الجن تفلَّت عليَّ البارحة..» الحديث[٢] .

* * *

س - اذكر ما يدل على أن الرسول ﷺ بُعث للثقلين (الإنس والجن).

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قول الجن: ﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلا يَخَافُ بَخْسًا وَلا رَهَقًا (١٣) وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ [الجن: ١٣-١٥] .

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) وَمَن لاَّ يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُوْلَٰئِكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣٢]

وقوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ . [الفرقان: ١]

وقوله: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ [الأنعام: ١٩] .

---

(١) البخاري (حديث ٦٠٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) البخاري (حديث ٤٦١) ومسلم (حديث ٥٤١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

س ـ اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قول الجن: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ .

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: تعالت عظمة ربنا وتعالى مقامه عن اتخاذ الزوجة والولد، فإن اتخاذ الصاحبة يكون لاستئناس بها ولإشباع شهوة ورغبة، واتخاذ الولد يكون لضعف ولطلب عِزْوة، وكل ذلك غير موجود في حق الله سبحانه وتعالى؛ فهو العزيز الواحد الأحد الفرد الصمد.

هذا والجد يطلق على الحظ، والمعنى: إن الله سبحانه وتعالى بكمال قدرته وبما له من الملك والسلطان والقدرة والعظمة والأمر النافذ في الخلق، تعالى من كانت هذه صفته، وكانت تلك منزلته عن اتخاذ الصاحبة والولد.

هذا ومن إطلاق الجد على الحظ قوله ﷺ: «**ولا ينفع ذا الجد منك الجد**»[1] .

قال الطبري رحمه الله:

وهذا المعنى الذي قصده هؤلاء النفر من الجن بقيلهم: ﴿**وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا**﴾ إن شاء الله؛ وإنما عنوا أن حظوته من الملك والسلطان والقدرة والعظمة عالية، فلا يكون له صاحبة ولا ولد، لأن الصاحبة إنما تكون للضعيف العاجز الذي تضطرّه الشهوة الباعثة إلى اتخاذها، وأن الولد إنما يكون عن شهوة أزعجته إلى الوقاع الذي يحدث منه الولد، فقال النفر من الجنّ: علا ملك ربنا وسلطانه وقدرته وعظمته أن يكون ضعيفًا ضعف خَلْقِهِ الذين تضطرّهم الشهوةُ إلى اتخاذ صاحبة، أو وقاع شيءٍ يكون منه ولدٌ.

* * *

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ٤/ ١٩٤) وهو في ذكرٍ يقال بعد الركوع.

س ـ وضح معنى قول الجن: ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾.

ج: المعنى: وأنا حسبنا أن الإنس والجن سيصدقون في نقلهم عن الله سبحانه وتعالىٰ، ولن يفتروا علىٰ اللَّه الكذب، ولكنا فوجئنا بأنهم يكذبون علىٰ الله ويتمالئون علىٰ ذلك، وينسبون لله الولد ويدَّعون له الصاحبة، فلما سمعنا هذا القرآن وآمنا به علمنا أنهم كانوا يكذبون علىٰ الله عزَّ وجل.

* * *

س ـ هل هناك من يكذب على الله وينسب إليه ما لم يقله؟ دلِّل على ما تقول.

ج: نعم هناك من يفتري ويكذب علىٰ الله وينسب إليه الله ما لم يقله.

يوضح ذلك ويدل عليه ما يلي:

قوله تعالىٰ في شأن أقوام: ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾.

[آل عمران: ٧٥]

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴾ [المائدة: ١٠٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الإِسْلامِ ﴾ [الصف: ٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾.

[الأنعام: ١٤٤، الأعراف: ٣٧، يونس: ١٧]

وقوله الجن: ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ [الجن: ٥].

فقد كانوا يظنون فيهم الأمانة ولكن وجدوهم كذبة.

وقال تعالىٰ ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ

لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾.

[البقرة: ٧٩]

* * *

س ـ وضح المراد بقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: أن رجالاً من الإنس كان يلجأون إلى الجن يطلبون منهم حمايتهم وحفظهم، ومنعهم ممن أرادهم بسوء، فلما رأت الجن منهم هذا الصنيع، ظهر للجن أن لهم فضلاً على هؤلاء الإنس فزادوهم إرعابًا وإخافة وذعرًا؛ حتى يستمروا في اللجوء إليهم والعوذ بهم.

فقوله: ﴿ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ أي: زادت الجنُ الإنسَ ﴿ رَهَقًا ﴾ أي: خوفًا وذعرًا ورعبًا، وكذا زادتهم آثامًا بلجوئهم إليهم.

ويحتمل أيضًا أن يكون قوله: ﴿ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ أي: زادوهم إثمًا وطغيانًا، أي: أن الجن ازدادت طغيانًا وارتكبت آثامًا بسبب استعاذة الإنس بهم، وكذا زادوهم استحلالاً لمحارم الله عزَّ وجل.

أما الحافظ ابن كثير رحمه الله فقد قال:

وقوله: ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ أي: كنا نرى أن لنا فضلاً على الإنس، لأنهم كانوا يعوذون بنا، أي: إذا نزلوا واديًا أو مكانًا موحشًا من البراري وغيرها، كما كان عادة العرب في جاهليتها يعوذون بعظيم المكان من الجان أن يصيبهم بشيء يسوؤهم، كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجلٍ كبير وذمامه وخفارته، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم ﴿ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ أي:

خوفًا وإرهابًا وذعراً، حتىٰ يبقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذًا بهم، كما قال قتادة: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أي: إثمًا وازدادت الجن عليهم بذلك جراءة.

وقال الثوري: عن منصور، عن إبراهيم: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أي: ازدادت الجن عليهم جرأة. وقال السدي: كان الرجل يخرج بأهله فيأتي الأرض فينزلها فيقول: أعوذ بسيد هذا الوادي من الجن أن أضر أنا فيه أو مالي أو ولدي أو ماشيتي، قال: فإذا عاذ بهم من دون الله رهقتهم الجنّ الأذىٰ عند ذلك.

وقال ابن أبي حاتم[1]: حدثنا أبو سعيد يحيىٰ بن سعيد القطان، حدثنا وهب بن جرير، حدثنا أبي، حدثنا الزبير بن الخرّيت، عن عكرمة قال: كان الجن يفْرَقُون من الإنس كما يفرق الإنس منهم أو أشد، وكان الإنس إذا نزلوا واديًا هرب الجن، فيقول سيد القوم: نعوذ بسيد أهل هذا الوادي. فقال الجن: نراهم يفرقون منا كما نفرق منهم. فدنوا من الإنس فأصابوهم بالخبل والجنون، فذلك قول الله: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾.

* * *

---

(١) هذا سند صحيح إلىٰ عكرمة، لكني في ريب من سماع ابن أبي حاتم من يحيىٰ بن سعيد القطان رحمه الله، وفي بعض النسخ: أبو سعيد بن يحيىٰ بن سعيد. ولا أعرف ليحيىٰ ابن سعيد ولدًا كنيته أبو سعيد، إنما «أبو سعيد» كنية يحيىٰ بن سعيد.

والذي يبدو لي ـ والله أعلم ـ: حدثنا أبو سعيد، عن يحيىٰ بن سعيد. وأبو سعيد هو الأشج، وهو: عبد الله بن سعيد الأشج شيخ ابن أبي حاتم، وهو ثقة.

ولا دليل على الاستعانة بالجن المسلم

س ـ هل يجوز الاستعانة بالجن المسلم والتعوذ بهم؟

ج: لا يجوز هذا.

ومن الأدلة على عدم الجواز ما يلي:

أولاً: وجود الجن زمن النبي ﷺ، ولم يرد أن النبي ﷺ استعان بهم في شيء من أمره، فقد غزا غزوات، وحفر الخندق، وفقدت منه أشياء، واحتاج إلى أشياء، ولم يرد في خبرٍ ثابتٍ ـ فيما وقفت عليه ـ أن النبي ﷺ استعان بالجن في شيءٍ من ذلك.

ثانيًا: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

ثالثًا: قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٢٨) وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٨ ـ ١٢٩].

أما ما ورد عن نبي الله سليمان عليه السلام، وقوله تعالى ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾ [سبأ: ١٣]، إلى غير ذلك من الآيات، فهذا خاصٌّ بسليمان عليه السلام، فقد قال: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥].

* * *

س ـ وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: أن الجن ظنت كما ظن كفار الإنس أن الله لن يبعث رسولاً.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾.

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يخبر تعالى عن الجن حين بعث الله رسوله محمداً ﷺ، وأنزل عليه القرآن، وكان من حفظه له أن السماء ملئت حرسًا شديداً، وحفظت من سائر أرجائها، وطردت الشياطين عن مقاعدها التي كانت تقعد فيها قبل ذلك؛ لئلا يسترقوا شيئًا من القرآن فيلقوه على ألسنة الكهنة، فيلتبس الأمر ويختلط ولا يدرى من الصادق، وهذا من لطف الله بخلقه، ورحمته بعباده، وحفظه لكتابه العزيز؛ ولهذا قالت الجن: **﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾** [الجن: ٨-٩] أي: من يروم أن يسترق السمع اليوم يجد له شهابًا مرصداً له، لا يتخطاه ولا يتعداه، بل يمحقه ويهلكه.

وأخرج الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: **﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾**... حتى بلغ: **﴿فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾**.

فلما وجدوا ذلك رجعوا إلى إبليس، فقالوا: منع منا السمع، فقال لهم: إن السماء لم تُحرس قطّ إلا على أحد أمرين: إما لعذاب يريد الله أن ينزله

على أهل الأرض بغتة، وإما نبيٌّ مرشد مصلح، قال: فذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ [الجن: ١٠].

* * *

س ـ هل الجن الآن يستطيعون خطف شيءٍ من حديث الملائكة؟

ج: ورد من ظواهر بعض النصوص أنهم قد يخطفون الكلمة فيلقونها على أفواه الكهان، فيكذب الكهان مع الكلمة مائة كذبة، لكن الجن يحترقون بعد ذلك الإلقاء أو قَبْله كما في «صحيح البخاري»[(١)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن نبي الله ﷺ: قال: «**إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله، كأنه سلسلةٌ على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحقّ وهو العليُّ الكبير، فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض ـ ووصف سفيان[(٢)] بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه ـ فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا كذا كذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمع من السماء**».

* * *

س ـ هل الجن تحاول الاستماع الآن مع الحراسة الشديدة؟

ج: نعم، هي تحاول الاستماع إلى أحاديث الملائكة، لكن ﴿ فَمَن يَسْتَمِعِ

---

(١) حديث (٤٨٠٠).

(٢) «سفيان» هو أحد رجال الإسناد.

الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾ [الجن: ٩].

وكما قال سبحانه: ﴿ **وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ** ﴾ [الملك: ٥].

وكما قال تعالىٰ: ﴿ **إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (٦) وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ (٧) لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلأِ الأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ (٨) دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (٩) إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ** ﴾.

[الصافات: ٦-١٠]

بينما ذهب بعض أهل العلم إلىٰ أن الجن لا تستطيع السماع الآن بحالٍ من الأحوال، ولا تستطيع أن تخطف أية كلمة بدليل قوله تعالىٰ: ﴿ **إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ** ﴾ [الشعراء: ٢١٢]. والله تعالىٰ أعلم.

هذا، وقد قال الحافظ ابن حجر رحمه الله[1]:

فإن قيل: إذا كان الرمي بها غلظ وشدد بسبب نزول الوحي فهل انقطع بانقطاع الوحي بموت النبي ﷺ ونحن نشاهدها الآن يرمىٰ بها؟

فالجواب: يؤخذ من حديث الزهري المتقدم، ففيه عند مسلم قالوا: كنا نقول: وُلِد الليلة رجلٌ عظيم ومات رجل عظيم، فقال رسول الله ﷺ: «**فإنها لا ترمى لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا إذا قضى أمرًا أخبر أهل السماوات بعضهم بعضًا، حتى يبلغ الخبر السماء الدنيا، فيخطف الجن السمع فيقذفون به إلى أوليائهم**».

فيؤخذ من ذلك: أن سبب التغليظ والحفظ لم ينقطع لما يتجدد من الحوادث التي تلقىٰ بأمره إلىٰ الملائكة، فإن الشياطين مع شدة التغليظ عليهم

(١) «فتح الباري» (شرح حديث ٤٨٠٠).

في ذلك بعد المبعث لم ينقطع طمعهم في استراق السمع في زمن النبي ﷺ فكيف بما بعده؟!

وقد قال عمر[١] لغيلان بن سلمة لما طلق نساءه: «إني أحسب أن الشياطين فيما تسترق من السمع سمعت بأنك ستموت فألقت إليك ذلك. . . الحديث»، أخرجه عبد الرزاق وغيره.

فهذا ظاهر في أن استراقهم السمع استمر بعد النبي ﷺ، فكانوا يقصدون استماع الشيء مما يحدث فلا يصلون إلىٰ ذلك. إلا إن اختطف أحدهم بخفة حركته خطفة، فيتبعه الشهاب، فإن أصابه قبل أن يلقيها لأصحابه فاتت وإلا سمعوها وتداولوها، وهذا يرد علىٰ قول السهيلي المقدم. اهـ.

* * *

---

(١) أخرج عبد الرزاق (١٢٢١٦) بإسنادٍ صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: طلَّق غيلان بن سلمة الثقفي نساءه، وقسّم ماله بين بنيه قال: في خلافة عمر، فبلغ ذلك عمر فقال: طلقتَ نساءك وقسمتَ مالك بين بنيك؟ قال: نعم، قال: والله إني لأرىٰ الشيطان فيما يسرق من السمع سمع بموتك فألقاه في نفسك، فلعلك أن لا تمكث إلا قليلاً، وايم الله لئن لم تراجع نساءك، وترجع في مالك لأورثهن منك إذا مت، ثم لآمرن بقبرك فليرجمنَّ، كما رجم قبر أبي رغال.

وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي
ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ
ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدٗا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي
ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبٗا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦۖ
فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسٗا وَلَا رَهَقٗا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا
ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا
﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ
عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ﴿١٦﴾ لِّنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَمَن يُعۡرِضۡ
عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ يَسۡلُكۡهُ عَذَابٗا صَعَدٗا ﴿١٧﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي:

رشدًا ـ الصالحون ـ دون ذلك ـ طرآئق قددا ـ لن نعجز الله ـ لن نعجزه هربا ـ الهدىٰ ـ بخسًا ـ رهقًا ـ القاسطون ـ أسلم ـ تحروا رشدا ـ حطبا ـ الطريقة ـ ماء غدقًا ـ لنفتنهم ـ يسلكه ـ صعدًا.

ج:

الكلمة	معناها
رشدًا	خيرًا ـ صلاحًا.
الصالحون	المسلمون العاملون بطاعة الله.
دون ذلك	غير ذلك.
طرائق قددًا	«الطرائق» جمع «طريقة» (أي: طريقة الشخص ومذهبه) وقددًا جمع (قدَّة) وهي الضروب والأجناس المختلفة. والمعنىٰ: كنا فِرقًا مختلفة الأهواء متشعبة الآراء[1].
لن نعجز الله	لن يعجز عنا ربنا إذا أرادنا[2]، ولن نستطيع الهرب منه ـ لن نفوته ولن نغلبه إذا طلبنا.

(١) فكما قال بعض العلماء: منهم الكافر والمسلم، والظالم والعادل، والسُّني والمبتدع وصاحب الكبيرة والتواب، والداعي إلىٰ الله والداعي إلىٰ الشر، والعالم والجاهل و.... ورویٰ الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿كنا طرائق قددا﴾: كان القوم علىٰ أهواء شتىٰ.

وعن ابن زيد بإسناد صحيح قال: صالح وكافر.

(٢) أي: أنهم اعترفوا بقدرة الله عليهم وبعجزهم عن الفرار منه.

قال السعدي في تفسيره: «تيسير الكريم الرحمن»:

﴿وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربًا﴾ أي: وأنا في وقتنا الآن تبين لنا =

الكلمـــة	معنـاهــــا
لن نعجزه هربًا	لن نفـوته هاربين، إذا أردنـا الهـرب فلـن يعـجـز ربنا عن الإتيان بنا.
الهدى	القرآن.
بخسًا	نقصًا من حسناته.
رهقًا	إثمًا (يُحمل عليه من سيئات غيره) - زيادة في سيئاته (أي: لن يُرهق بحمل سيئات غيره).
القاسطون	الجائرون عن الإسلام، المنحرفون عن الحق - الظالمون.
أسلم	خضع واستسلم، وانقاد وأطاع.
تحروا رشدًا	طلبوا لأنفسهم النجاة - تعمدوا الرشد والصواب في دينهم والتمسوه وبحثوا عنه وعملوا به.
حطبًا	وقودًا.
الطريقة	طريق الاسـتـقـامـة والإسـلام والإيمان وقـيـل: طريق الكفر)[1].
ماءً غدقًا	مـاءً كثيـرًا طاهرًا، وقيل: مـالاً[2] كـثيـرًا حـلالاً - لو سعنا

= كمال قدرة الله، وكمال عجزنا، وأن نواصينا بيد الله، فلن نعجزه في الأرض، ولن نعجزه إن هربنا وسعينا بأسباب الفرار والخروج عن قدرته، لا ملجأ منه إلا إليه.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربًا﴾ أي: نعلم أن قدرة الله حاكمة علينا وأنا لا نعجزه في الأرض، ولو أمعنا في الهرب فإنه قادر، لا يعجزه أحدٌ منا.

(١) وسيأتي الكلام عليه باتساع - إن شاء الله.

(٢) ورد عن عمر بإسنادٍ ضعيف أنه قال: «أينما كان الماء كان المال، وأينما كان المال كانت الفتنة».

الكلمة	معناها
	عليهم في الأرزاق وبسطنا عليهم من الدنيا ـ عيشًا رغدًا
لنفتنهم	لنختبرهم ونبتليهم.
يسلكه	يُدخله
صعدًا	شديدًا شاقًا ـ وقيل: جبل في جهنم(١) عذابًا لا راحة فيه ـ مؤلمًا

(١) ورد ذلك عند الطبري (٣٥١٢٣) عن ابن عباس بإسناد ضعيف فيه سماك عن عكرمة، ورواية سماك عن عكرمة ضعيفة.

س ـ في قول الجن: ﴿وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ أدبٌ في النقل عن الله سبحانه وتعالى، وضح الأدب مع التدليل عليه بأدلة أُخر.

ج: هذا الأدبُ يتمثل في:

التأدُّب في الألفاظ مع الله عز وجل؛ فأسند الشر إلىٰ غير فاعل، أما الخير فأضافوه إلىٰ الله عزَّ وجل، هذا مع أن الأمور كلها خيرها وشرها قدَّرها الله سبحانه وتعالىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [التغابن: ١١] وكما قال تعالىٰ: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ [الحديد: ٢٢]، لكن من أدب الجن أنهم ـ كما بينا ـ نسبوا الشر إلىٰ غير فاعل فقالوا: ﴿وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ﴾، أما الرَّشَدُ والخيرُ فنسبوه إلىٰ الله بقولهم: ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾.

ومن الأدلة على هذا المعنى:

قول الخضر لموسىٰ: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩] فنسب عيب السفينة إلىٰ نفسه مع أنه فعل ذلك بوحيٍ لقوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: ٨٢].

ونحوه في قوله: ﴿وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف: ٨٠] ثم قال: ﴿فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف: ٨٠].

وكذلك في الجدار قال: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا

كَنزَهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢].

مع أنه ـ كما قدمنا ـ فعل كل ذلك بوحي.

ونحوه قول الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨-٨٠] ونحو ذلك في الحديث: «والخير كله في يديك، والشر ليس إليك»[1].

* * *

س ـ هل يدخل مؤمنو الجن الجنَّة؟

ج: هذا هو الظاهر من العمومات الواردة في كتاب الله عزَّ وجل، أن مؤمني الجن وعاملي الصالحات منهم يدخلون الجنة.

من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً﴾ [الكهف: ١٠٧].

وقوله تعالى: ﴿فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلا يَخَافُ بَخْسًا وَلا رَهَقًا﴾ [الجن: ١٣].

وقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

وقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧].

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ [الجن: ١٤].

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن غاية الأمر بالنسبة لمؤمني الجن أن الله ينجيهم من النار؛ لعدم وجود دليل صريح يفيد دخولهم الجنة، أما الدليل

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٧٧١) من حديث عليّ رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان إذا قام إلى الصلاة قال: «وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين...» فذكر الحديث، وفيه: «لبيك وسعديك، والخير كله في يديك، والشرَّ ليس إليك».

الصريح ففي نجاتهم من النار فحسب كما قال تعالى: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣١].

وكقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ [الجن: ١٤].

لكن النصوص العامة التي قدمناها مع نظيراتها من النصوص تدل على دخول مؤمني الجن الجنة، والله أعلم.

***

س ـ أي طريقة هي التي عناها الله بقوله: ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾؟

ج: للعلماء في ذلك قولان:

أولهما وأشهرهما: أن المراد بالطريقة طريقة الحق والاستقامة والإيمان، ومما يتأيد به هذا: أن الاستقامة سببٌ لسعة الأرزاق، ومن ثمَّ فقد قال تعالى: ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦].

ومما يدل على هذا المعنى أيضًا ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٦٥) وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة: ٦٦].

ونحوه: قول نوح عليه السلام: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠ـ١٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ [هود: ٣].

وقول نبي الله هود عليه السلام: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢].

القول الثاني (في تفسير الطريقة): أنها طريقة الكفر، فالمعنىٰ: وأن لو استقاموا علىٰ طريقتهم التي هم عليها في الكفر لوسعنا عليهم في الأرزاق، نستدرجهم بذلك كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨] وكما قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤].

وكما قال سبحانه: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٦].

وكما قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٣-٣٥].

* * *

س ـ ما المراد بالذكر في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾؟

ج: المراد بالذكر هنا: القرآن، والله تعالىٰ أعلم.

* * *

وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا

تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ

يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾

قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ

ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ

وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ

فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ

نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ

يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ

أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ

وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ

بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي:

يدعوه ـ لبدا ـ لن يجيرني ـ مُلتحدا ـ أمدًا ـ الغيب ـ يُظهر ـ ارتضى ـ رصَدًا ـ أحاط بما لديهم ـ أحصى كل شيءٍ عددًا.

ج:

الكلمة	معناها
يدعوه	يدعو إلىٰ سبيله وتوحيده بقول: «لا إله إلا الله» وبتلاوة كتابه. يسأله وحده، ولا يسأل أحدًا سواه.
لِبدًا	جماعات كثيرة (بعضها فوق بعض)، ومنه: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَداً﴾ أي كثيراً، وهذا أيضًا من قولهم تلبد الشيء علىٰ الشيء.
لن يجيرني	لن يدفع عني العذاب إن أراد بي عذابًا.
مُلتحدًا	ملجأ (ألجأ إليه) ـ نصيراً ينصرني.
أمدًا	غاية معلومة (قد تطول مدتها) ـ أجلاً.
الغيب	ما غاب عن الخلق.
يُظهر	يُطلع ـ يخبر.
ارتضى	اصْطفىٰ واختار.
رصدًا	يرصدون ويتابعون من يريد إدخال شيءٍ في القرآن فيمنعونه ـ حفظةً يحفظونه.

الكلمة	معناها
أحاط بما لديهم	علم بكل ما عندهم.
أحصى كل شيء عدداً	علم عدد الأشياء كلها فلم يخف عليه منها شيء.

س ـ ما وجه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾؟

ج: ذلك ـ والله تعالى أعلم ـ: لأن اليهود والنصارى إذا دخلوا الكنائس والبِيع أشركوا بالله فيها؛ فأمر الله المؤمنين إذا دخلوا المساجد أن يوحدوه وأن يخلصوا له العبادة والدعاء.

ومِن ثمَّ تضافرت النصوص التي تنهي عن اتخاذ القبور مساجد.

وأيضًا؛ حتى ينصرف الشخص عن الرياء.

ومن العلماء من قال: إن المراد بالمساجد هنا مواضع السجود، فالمعنى: لا تسجدوا إلا لله..

* * *

س ـ الإضافة في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ من أي أنواع الإضافة؟

ج: هي إضافةُ ملكٍ وإضافةُ تشريفٍ.

* * *

س ـ اذكر أمثلة أُخر لإضافات التشريف.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى في شأن ناقة صالح: ﴿**هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ**﴾ [هود: ٦٤].

فكل النوق لله، لكن وسمت ناقة صالح بأنها ناقة الله لبيان شرفها وعلو منزلتها.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]، والله تعالى أعلم.

* * *

س ـ هل يجوز أن يُقال: مسجد فلان أو مسجد بني فلان؟

ج: ذهب جمهور العلماء إلىٰ جواز ذلك، ومما يستدل لهم به ما أخرجه البخاري[1] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ سابق بين الخيل التي أضمرت من الحفياء، وأمَدُها ثنية الوداع، وسابق بين الخيل التي لم تضمر من الثنية إلىٰ مسجد بني زريقٍ، وأن عبد الله بن عمر كان فيمن سابق بها.

بينما منع من ذلك بعض العلماء مستدلين بقوله تعالىٰ: ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً** ﴾ [الجن: ١٨].

والظاهر: التفصيل بين ما إذا كان هذا الإطلاق والتسمية للتعريف وبين ما إذا كان طلبًا للشهرة والسمعة.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرحه للحديث المتقدم: «ويستفاد منه: جواز إضافة المساجد إلىٰ بانيها أو المصلي فيها، ويلتحق به جواز إضافة أعمال البر إلىٰ أربابها، وإنما أورد المصنف الترجمة بلفظ الاستفهام لينبه علىٰ أن فيه احتمالاً، إذْ يحتمل أن يكون ذلك قد علمه النبي ﷺ بأن تكون هذه الإضافة وقعت في زمنه، ويحتمل أن يكون ذلك مما حدث بعده، والأول أظهر، والجمهور علىٰ الجواز، والمخالف في ذلك إبراهيم النخعي فيما رواه ابن أبي شيبة عنه: أنه كان يكره أن يقول: مسجد بني فلان، ويقول: مُصلَّىٰ بني فلان، لقوله تعالىٰ: ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ** ﴾.

وجوابه: أن الإضافة في مثل إضافة تمييز لا ملك». اهـ.

* * *

---

(١) البخاري (حديث ٤٢٠).

س ـ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ معطوفٌ على ماذا؟

ج: من العلماء من قال: معطوف على قوله: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: ١].

وقل أوحي إليَّ أيضًا: ﴿أَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩].

ومن أهل العلم من قال: هو معطوف على قول مؤمني الجن لإخوانهم فإنهم قالوا لهم . . . . ، وقالوا واصفين رسول الله ﷺ وأصحابه: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩] وقد قدَّمنا أقوالاً للعلماء في ذلك، والله أعلم.

* * *

س ـ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ مَنِ الذين كادوا يكونون عليه لبدا؟ ولماذا كادوا يكونون عليه لبدًا؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن الذين كادوا يكونون عليه لبدًا هم الجن كادوا يكونون على رسول الله ﷺ لبدًا أي جماعات يركب بعضهم بعضًا من شدة الزحام على رسول الله ﷺ للاستماع منه حين يقرأ القرآن.

الثاني: أن الذين كادوا يكونون عليه لبدًا هم أصحابه رضي الله عنهم، كادوا من حرصهم على استماع القرآن منه أن يركب بعضهم بعضًا من شدة الزحام، فالجن تصف أصحاب رسول الله ﷺ بذلك.

الثـــالث: أن الذين كـادوا يكونون عليـه لبـدا هم كـفـار الإنس والجن، وتلبدوا عليه واجتمعوا عليه محاولين إبطال الحق وإطفاء نور الله الذي جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام، والتشويش على القرآن.

الرابع: أن الجن أخبرت قومها بالذي رأته من رسول الله ﷺ وأصحابه، فقد عجبوا من صلاته وصلاة أصحابه وهم يأتمون به، ويركعون بركوعه ويسجدون بسجوده[1].

هذا وقد اختار الطبري رحمه الله تعالى قولاً نحواً من القول الثالث فقال:

وأولى الأقوال بالصواب في ذلك قول من قال: ذلك خبر من الله عن أن رسوله محمداً ﷺ لما قام يدعوه كادت العرب تكون عليه جميعًا في إطفاء نور الله.

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات بالصواب؛ لأن قوله: ﴿**وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ**﴾ [الجن:١٩] عقيب قوله: ﴿**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ**﴾ وذلك من خبر الله، فكذلك قوله: ﴿**وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ**﴾ [الجن: ١٩].

وأخرى: أنه تعالى ذكره أتبع ذلك قوله: ﴿**فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**﴾ [الجن: ١٨] فمعلوم أن الذي يتبع ذلك الخبر عما لقي المأمور بأن لا يدعو مع الله أحداً في ذلك، لا الخبر عن كثرة إجابة المدعوين وسرعتهم إلى الإجابة» اهـ.

---

(١) أخرج الطبري (٣٥١٣٣) عن ابن عباس، قال: قول الجن لقومهم: ﴿وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا﴾ [الجن: ١٩] قال: لما رأوه يصلي وأصحابه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده، قال: عجبوا من طواعية أصحابه له، قال: فقالوا لقومهم: لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدًا.

وأورد الطبري بإسناد صحيح عن الحسن[١] قوله: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ قال: لما قام رسول الله ﷺ يقول: «لا إله إلا الله»، ويدعو الناس إلىٰ ربهم كادت العرب تكون عليه جميعًا.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد[٢] قال: ﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ قال: جميعًا.

وفي رواية صحيحةٍ[٣] عنده عن ابن زيد أيضًا قال: واللبد: الشيء الذي بعضه فوق بعض.

وبإسنادٍ حسن عن قتادة قال[٤]: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ قال: تلبدت الإنس والجن علىٰ هذا الأمر ليطفئوه، فأبىٰ الله إلا أن ينصره ويمضيه ويظهره علىٰ من ناوأه.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا﴾.

ج: في ذلك وجوه:

أحدها: لا أقدر علىٰ دفع ضُرٍّ عنكم ولا سوق خيرٍ إليكم.

الثاني: لا أقدر علىٰ دفع الكفر والضلال عنكم، ولا أملك هداية لكم، إنما ذلك موكولٌ إلىٰ الله سبحانه.

(١) الطبري (٣٥١٣٨)

(٢) الطبري (٥٣١٤٣).

(٣) الطبري (٣٥١٤٤).

(٤) الطبري (٣٥١٣٥).

الثالث: لا أملك لكم عذابًا ولا نعيمًا.

الرابع: لا أملك لكم موتًا ولا حياة ولا نشورًا.

* * *

س ـ وضح معنى قوله: ﴿إِلاَّ بَلاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ﴾؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: بلاغي عن الله ما كلفني به وبتبليغه هو الذي ينجيني من عذابه ويحفظني، وكذا عملي برسالاته.

وقول آخر: ولن أجد من دونه ملتحداً إن لم أُبلغ ما أمرت به.

* * *

س ـ قوله: ﴿إِلاَّ بَلاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ﴾ مستثنى من ماذا؟

ج: هذا يحتمل وجهين:

أولهما: أنه مستثنىً من قوله: ﴿قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا﴾. [الجن: ٢١]

فيكون المعنى ـ كما قال الطبري رحمه الله:

«يقول تعالىٰ ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل لمشركي العرب: إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً ﴿إِلاَّ بَلاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ﴾ [الجن: ٢٣] يقول: إلا أن أبلغكم من الله ما أمرني بتبليغكم إياه، وإلا رسالاته التي أرسلني بها إليكم، فأما الرشد والخذلان فبيد الله، هو مالكه دون سائر خلقه يهدي من يشاء ويخذل من أراد» اهـ.

وأورد بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة قال: قوله: ﴿إِلاَّ بَلاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ﴾ [الجن: ٢٣] فذلك الذي أملك بلاغًا من الله ورسالاته.

والثاني: أنه مستثنى من قوله ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الجن: ٢٢] فيكون المعنى: قل: إني لا يجيرني منه ويخلصني إلا إبلاغي الرسالة التي أوجب أداءها عليَّ، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]

ذكر ذلك الأخير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

❊ ❊ ❊

س - هل كل من يعصي الله ورسوله له نار جهنم خالدًا فيها أبدًا؟

ج: ليس الأمر كذلك، إلا إذا أُريد بالمعصية المعصية في التوحيد والعبادة، فالذي يعصي ويشرك بالله له الخلود في النار والعياذ بالله.

وقول آخر - إذا حملنا المعصية على عمومها -: خالدين فيها أبدًا إلا أن تلحقهم شفاعة.

قال القرطبي رحمه الله:

ولا محالة إذا خرجوا من الدنيا على الإيمان يلحقهم العفو.

قلت: ونحو هذا المعنى في آية النساء أيضًا: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٤].

فلزامًا من الجمع بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨-١١٦]، وهذا الجمع يتمثل فيما قدمناه، والله أعلم.

❊ ❊ ❊

س ـ لماذا قيل: ﴿خَالدين فيهَا﴾ ولم يقل: خالدًا فيها، وذلك في قوله تعالى: ﴿ومَن يَعْصِ اللَّهَ ورَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾؟

ج: قال القرطبي رحمه الله:

وجمع (خالدين) لأن المعنىٰ لكل من عقل ذلك، فوحَّد أولاً للفظ ﴿مَن﴾ ثم جمع للمعنىٰ.

* * *

س ـ ما المراد بالذي يوعدون في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾.

ج: المراد ـ والله أعلم ـ: العذاب في الدنيا أو القيامة، كما فُسر ذلك في آية أخرىٰ، إذ قال تعالىٰ: ﴿**حتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا**﴾ [مريم: ٧٥].

* * *

س ـ اذكر بعض الأدلة على أن الرسول ﷺ لا يعلم متى الساعة.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالىٰ: ﴿**قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا**﴾.

[الجن: ٢٥]

وقوله تعالىٰ: ﴿**إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ**﴾ [لقمان: ٣٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا**﴾ [النازعات: ٤٢ـ٤٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ**

حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وقول النبي ﷺ، وقد سئل عن الساعة: «**ما المسئول عنها بأعلم من السائل**»(١).

* * *

س ـ اذكر بعض أمور الغيب التي أخبر الله بها نبيه ﷺ.

ج: من ذلك أمور شتى من كتاب الله عزَّ وجل؛ فإخباره بالجنة والنار والثواب والعقاب وكل ما هو آت داخل في أمور الغيب.

وكذا قوله تعالى: ﴿**غُلِبَتِ الرُّومُ ۝ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ**﴾ [الروم: ٢، ٣].

وقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ**﴾ [النمل: ٨٢]

وقوله تعالى: ﴿**حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ**﴾ [الأنبياء: ٩٦]

إلى غير ذلك من الآيات.

أضف إلى ذلك: عموم الأشراط الكبرى والصغرى للساعة التي بينها النبي ﷺ في عدة أحاديث؛ وكذا أحاديث الفتن والملاحم.

* * *

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (حديث ٥٠) ومسلم (حديث ١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

وهو عند مسلم أيضًا من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعًا [حديث ٨].

وهذا وذاك في جواب النبي ﷺ على سؤال جبريل عليه السلام: «متى الساعة؟» أو: «فأخبرني عن الساعة؟».

س ـ هل تفسير الغيب بقوله تعالى: ﴿فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ بيوم القيامة فقط؛ هل هو تفسير صحيح؟

ج: قصر تفسير الغيب هنا على يوم القيامة ليس بصحيح، بل الغيب هنا عامٌّ، فيدخل فيه يوم القيامة وكل ما غاب عن علم البشر.

والدليل على خطأ قصر التفسير على يوم القيامة: أن الله تعالى قال: ﴿فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧].

ومن المعلوم أن الله لم يطلع المرسلين على وقت قيام الساعة بدليل قوله عليه الصلاة والسلام: «**ما المسئول عنها بأعلم من السائل**».

وقد دلَّ قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ على أنه سبحانه أطلع بعض الرسل على بعض الغيب.

فلما لم يكن قد أطلعهم على وقت القيامة، فقد أطلعهم على بعض الغيوب.

فعليه، فلزامًا أن يتسع تفسير الغيب في قوله تعالى: ﴿**عالم الغيب**﴾ حتى يخرج منه القدر الذي أخبر الله به بعض رسله، والبعض الذي استأثر الله بعلمه ومنه يوم القيامة، والله أعلم.

أما الذي فسر الغيب هنا بيوم القيامة فقط فهو الرازي ـ عفا الله عنه ـ وقد تعقبه كثير من العلماء، فقال عفا الله عنه:

والذي تدل عليه ـ يعني الآية الكريمة ـ أن قوله: ﴿**على غيبه**﴾ ليس فيه صيغة عموم، فيكفي في العمل بمقتضاه أن لا يظهر تعالى خلقه على غيب واحد من غيوبه، فنحمله على وقت وقوع القيامة، فيكون المراد من الآية: أنه تعالى لا يظهر هذا الغيب لأحد، فلا يبقى في الآية دلالة على أنه لا يظهر

شيئًا من الغيوب لأحد، والذي يؤكد هذا التأويل أنه تعالىٰ إنما ذكر هذه الآية عقيب قوله: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾ [الجن: ٢٦] يعني: لا أدري وقت وقوع القيامة، ثم قال بعده: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ أي: وقت وقوع القيامة من الغيب الذي لا يظهره الله لأحد.

وبالجملة: فقوله ﴿عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ لفظ مفرد مضاف، فيكفي في العمل به حمله علىٰ غيب واحد، فأما العموم فليس في اللفظ دلالة عليه.

فإن قيل: فإذا حملتم ذلك علىٰ القيامة، فكيف قال: ﴿إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ مع أنه لا يظهر هذا الغيب لأحد من رسله؟

قلنا: بل يظهره عند القرب من إقامة القيامة، وكيف لا وقد قال: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنزِيلاً﴾ [الفرقان: ٢٥] ولا شك أن الملائكة يعلمون في ذلك الوقت قيام القيامة، وأيضًا يحتمل أن يكون هذا الاستثناء منقطعًا، كأنه قال: عالم الغيب فلا يظهر علىٰ غيب المخصوص وهو قيام القيامة أحدًا، ثم قال بعده لكن من ارتضىٰ من رسول ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ حفظة يحفظونه من شر مردة الإنس والجن، لأنه تعالىٰ إنما ذكر هذا الكلام جوابًا لسؤال من سأله عن وقت وقوع القيامة علىٰ سبيل الاستهزاء به والاستحقار لدينه ومقالته.

واعلم أنه لابد من القطع بأنه ليس مراد الله من هذه الآية أن لا يُطلع أحدًا علىٰ شيء من المغيبات إلا الرسل، والذي يدل عليه وجوه:

أحدها: أنه ثبت بالأخبار القريبة من التواتر أن «شقًا» و«سطيحًا» كانا كاهنين يخبران بظهور نبينا محمد ﷺ قبل زمان ظهوره، وكانا في العرب

مشهورين بهذا النوع من العلم، حتىٰ رجع إليهما كسرىٰ في تعرف أخبار رسولنا محمد ﷺ، فثبت أن الله تعالىٰ قد يطلع غير الرسل علىٰ شيء من الغيب.

وثانيها: أن جميع أرباب الملل والأديان مطبقون علىٰ صحة علم التعبير، وأن المعبر قد يخبر عن وقوع الوقائع الآتية في المستقبل، ويكون صادقًا فيه.

وثالثها: أن الكاهنة البغدادية التي نقلها السلطان «سنجر بن ملك شاه» من بغداد إلىٰ خراسان، وسألها عن الأحوال الآتية في المستقبل فذكرت أشياء، ثم إنها وقعت علىٰ وفق كلامها.

قال مصنف الكتاب ـ ختم الله له بالحسنى ـ:

وأنا قد رأيت أناسًا محققين في علوم الكلام والحكمة، حكوا عنها أنها أخبرت عن الأشياء الغائبة أخبارًا علىٰ سبيل التفصيل، وجاءت تلك الوقائع علىٰ وفق خبرها، وبالغ أبو البركات في كتاب «المعتبر» في شرح حالها، وقال: لقد تفحصت عن حالها مدة ثلاثين سنة حتىٰ تيقنتُ أنها كانت تخبر عن المغيبات إخبارًا مطابقًا.

ورابعها: أنا نشاهد ذلك في أصحاب الإلهامات الصادقة، وليس هذا مختصًا بالأولياء، بل قد يوجد في السحرة أيضًا من يكون كذلك نرىٰ الإنسان الذي يكون سهم الغيب علىٰ درجة طالعه يكون كذلك في كثير من أخباره، وإن كان قد يكذب أيضًا في أكثر تلك الأخبار، ونرىٰ الأحكام النجومية قد تكون مطابقة وموافقة للأمور، وإن كانوا قد يكذبون في كثير منها، وإذا كان ذلك مشاهدًا محسوسًا، فالقول بأن القرآن يدل علىٰ خلافه مما يجر الطعن إلىٰ القرآن، وذلك باطل، فعلمنا أن التأويل الصحيح ما

ذكرناه، والله أعلم.

وتعقب الشوكاني رحمه الله تعالى هذا بقوله:

قلت: أما قوله: «إذ لا صيغة عموم في غيبه» فباطل، فإن إضافة المصدر واسم الجنس من صيغ العموم كما صرّح به أئمة الأصول وغيرهم. وأما قوله: «أو هو استثناء منقطع» فمجرّد دعوىٰ يأباها النظم القرآني. وأما قوله: «إن شقًا وسطيحًا. . . » إلخ، فقد كانا في زمن تسترق فيه الشياطين السمع ويلقون ما يسمعونه إلىٰ الكهان، فيخلطون الصدق بالكذب، كما ثبت في الحديث الصحيح. وفي قوله: ﴿**إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ**﴾ [الصافات: ١٠] ونحوها من الآيات، فباب الكهانة قد ورد بيانه في هذه الشريعة، وأنه كان طريقًا لبعض الغيب بواسطة استراق الشياطين حتىٰ منعوا ذلك بالبعثة المحمدية وقالوا: ﴿**وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا**﴾ [الجن: ٨-٩] فباب الكهانة في الوقت الذي كانت فيه مخصوص بأدلته، فهو من جملة ما يخصص به هذا العموم، فلا يرد ما زعمه من إيراد الكهانة علىٰ هذه الآية.

وأما حديث المرأة الذي أورده فحديث خرافة، ولو سلم وقوع شيء مما حكاه عنها من الأخبار لكان من باب ما ورد في الحديث: «**إن في هذه الأمة محدثين، وإن منهم عمر**» فيكون كالتخصيص لعموم هذه الآية لا انقضاء لها، وأما من اجترأ به علىٰ الله وعلىٰ كتابه من قوله في آخر كلامه. فلو قلنا: «إن القرآن يدل علىٰ خلاف هذه الأمور المحسوسة لتطرق الطعن إلىٰ القرآن» فيقال له: ما هذه بأوّل زلة من زلاتك، وسقطة من سقطاتك، وكم لها لديك من أشباه ونظائر نبض بها عرق فلسفتك، وركض بها الشيطان الذي صار يتخبطك في مباحث تفسيرك! يا عجبًا لك، أيكون ما بلغك من

خبر هذه المرأة ونحوه موجبًا لتطرق الطعن إلىٰ القرآن؟ وما أحسن ما قاله بعض أدباء عصرنا :

وإذا رامت الذبابـــة للشمـ س غطاء مدّت عليها جناحا

وقلت من أبيات:

مهب رياح ســـده بجنـــاح وقابل بالمصباح ضـوء صباح

فإن قلت : إذن قد تقرّر بهذا الدليل القرآني أن الله يظهر من ارتضىٰ من رسله علىٰ ما شاء من غيبه ، فهل للرسول الذي أظهره الله علىٰ ما شاء من غيبه أن يخبر به بعض أمته؟

قلت : نعم ولا مانع من ذلك . وقد ثبت عن رسول الله ﷺ من هذا ما لا يخفىٰ علىٰ عارف بالسنة المطهرة .

فمن ذلك: ما صحّ أنه قام مقامًا أخبر فيه بما سيكون إلىٰ يوم القيامة . وما ترك شيئًا مما يتعلق بالفتن ونحوها ، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه . وكذلك ما ثبت من أن حذيفة بن اليمان كان قد أخبره رسول اللّه ﷺ بما يحدث من الفتن بعده حتىٰ سأله عن ذلك أكابر الصحابة ورجعوا إليه .

وثبت في «الصحيح» وغيره : «أن عمر بن الخطاب سأله عن الفتنة التي تموج كموج البحر ، فقال : إن بينك وبينها بابًا ، فقال عمر : هل يفتح أو يكسر؟ فقال : بل يكسر . فعلم عمر أنه الباب ، وأن كسره قتله» ، كما في الحديث الصحيح المعروف أنه قيل لحذيفة : هل كان عمر يعلم ذلك؟ فقال : نعم كما يعلم أن دون غد الليلة .

وكذلك ما ثبت من إخباره لأبي ذرّ بما يحدث له ، وإخباره لعليّ بن أبي طالب بخبر ذي الثدية ، ونحو هذا مما يكثر تعدده ولو جمع لجاء منه مصنف مستقل .

وإذا تقرر هذا فلا مانع من أن يختص بعض صلحاء هذه الأمة بشيء من أخبار الغيب التي أظهرها الله لرسوله، وأظهرها رسوله لبعض أمته، وأظهرها هذا البعض من الأمة لمن بعدهم، فتكون كرامات الصالحين من هذا القبيل، والكل من الفيض الرّباني بواسطة الجناب النبويّ.

* * *

س - وضح معنى قوله: ﴿إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾.

ج: إيضاح ذلك: بالنظر إلىٰ الآيات السابقة فالتي سبقتها قوله تعالىٰ: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ ثم قال تعالىٰ: ﴿إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾، فالمعنىٰ: إلا من اصطفاه الله واختاره من المرسلين، فإن الله يظهره علىٰ ما شاء من أمور الغيب تأييداً له وتثبتاً.

قال الطبري رحمه الله:

إلا من ارتضىٰ من رسول فإنه يظهره علىٰ ما شاء من ذلك.

وأورد بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة قال: فإنه يصطفيهم ويُطلعهم علىٰ ما شاء من الغيب.

وبإسنادٍ صحيحٍ عن ابن زيد قال: ينزل من غيبه ما شاء علىٰ الأنبياء، أنزل علىٰ رسول الله ﷺ الغيب القرآن، قال: وحدثنا فيه بالغيب بما يكون يوم القيامة.

وأورد بإسنادٍ فيه ضعفٌ عن ابن عباس: فأعلم الله سبحانه الرسل من الغيب الوحي، وأظهرهم عليه بما أوحىٰ إليهم من غيبه وما يحكم الله، فإنه لا يعلم ذلك غيره.

* * *

س ـ اذكر بعض الأدلة على أن الجن لا يعلمون الغيب.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قول الجن: ﴿وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]

وقوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن:٢٦].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٤].

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾.

ج: في ذلك وجهان:

أحدهما: أن الله سبحانه وتعالى عند إنزال القرآن على رسوله يرسل ملائكة من أمامه ومن خلفه يحرسونه، ويحفظونه من إدخال الشياطين شيئًا عليه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

وأورد الطبري بإسناد صحيح عن إبراهيم النخعي في قوله تعالى: ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [ال٢٨٩لله(٢٧٠] قال: الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من الجن.

وبإسنادٍ حسن عن قتادة قال: الملائكة.

وبإسنادٍ فيه ضعف عن ابن عباس: هي معقبات من الملائكة يحفظون النبي ﷺ من الشيطان حتى يتبين الذي أُرسل به إليهم، وذلك حين يقول: ﴿لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾ [الجن: ٢٨].

الثاني: أن المراد: إن الملائكة يحرسون الرسول ويدافعون عنهم.

* * *

س ـ كيف التوفيق بين قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ وبين ما هو معلوم لدى الكثيرين الآن من أوقات كسوف الشمس وخسوف القمر قبل حدوثها؟ وكذا بين بعض الرُّؤى التي تتحقق؟

ج: أما معرفة أوقات كسوف الشمس وخسوف القمر ونحو ذلك مما يتوقع من برودة الجو وحرارته: فهذه أمور تدرك بالحس والمشاهدة والتجربة والعقل فلا تدخل في علم الغيب. كرجل يقول: «إني سآكل سمكًا غدًا»، أو «ستلد امرأتي ـ في الغالب ـ بعد شهر».

فالذي تيسر للناس معرفته بالنظر والاستدلال والتجربة والبحث كالعلوم الرياضية والطبيعية والفلكية ونحو ذلك لا يُعد من علم الغيب.

أما الرؤيا: فهي: «**جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة**»(١) كما ورد عن النبي ﷺ.

* * *

(١) صحيح: أخرجه البخاري (حديث ٦٩٨٧) ومسلم (٢٢٦٤) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه مرفوعًا. وللحديث طرق أُخر عن النبي ﷺ، وألفاظ أُخر ووجوه للجمع بين الألفاظ، راجع كل هذا في أبواب الرؤيا من «الصحيحين» وغيرهما.

س ـ اذكر آيات أُخر تدل على أن الله أطلع بعض أنبيائه على بعض الغيب.

ج: من ذلك: قول عيسىٰ عليه السلام لقومه: ﴿**وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ**﴾ [آل عمران: ٤٩].

وقول يوسف عليه السلام: ﴿**لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي**﴾ [يوسف: ٣٧].

* * *

س ـ لماذا يطلع الله بعض أنبيائه ورسله على بعض الغيب؟

ج: ذلك ـ والله أعلم ـ: لتأييدهم فيما يدعون إليه، وللاستدلال علىٰ نبوتهم ورسالتهم.

* * *

س ـ في قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ دليلٌ على بطلان التنجيم، وضح ذلك.

ج: إيضاحه فيما ذكره القرطبي رحمه الله تعالىٰ حيث قال:

قوله تعالىٰ: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ**﴾ «عالم» رفعًا نعتًا لقوله: ﴿**ربي**﴾. وقيل: أي هو «عالم الغيب» والغيب ما غاب عن العباد. وقد تقدّم بيانه في أول «سورة البقرة»، ﴿**فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ**﴾ فإنه يظهره علىٰ ما يشاء من غيبه؛ لأن الرسل مؤيدون بالمعجزات، ومنها الإخبار عن بعض الغائبات؛ وفي التنزيل: ﴿**وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ**﴾ [آل عمران: ٤٩]، وقال ابن جبير: ﴿**إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ**﴾ هو:

جبريل عليه السلام. وفيه بُعد، والأولى أن يكون المعنى: أي: لا يظهر على غيبه إلا من ارتضى، أي: اصطفى للنبوة، فإنه يُطلعه على ما يشاء من غيبه؛ ليكون ذلك دالاً على نبوته.

الثانية: قال العلماء رحمة الله عليهم: لما تمدّح سبحانه بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه، كان فيه دليل على أنه لا يعلم الغيب أحدٌ سواه، ثم استثنى من ارتضاه من الرسل، فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوّتهم.

وليس المنجّم ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصى وينظر في الكتب ويزجر بالطير ممن ارتضاه من رسول فيطلعه على ما يشاء من غيبه، بل هو كافر بالله مفترٍ عليه بحدسه وتخمينه وكذبه.

قال بعض العلماء: وليت شعري ما يقول المنجم في سفينة ركب فيها ألف إنسان على اختلاف أحوالهم، وتباين رتبهم، فيهم الملك والسُّوقة، والعالم والجاهل، والغني والفقير، والكبير والصغير، مع اختلاف طوالعهم، وتباين مواليدهم، ودرجات نجومهم؛ فعمهم حكم الغرق في ساعة واحدة؟

فإن قال المنجم قبحه الله: إنما أغرقهم الطالع الذي ركبوا فيه، فيكون على مقتضى ذلك أن هذا الطالع أبطل أحكام تلك الطوالع كلها على اختلافها عند ولادة كل واحد منهم، وما يقتضيه طالعه المخصوص به، فلا فائدة أبدًا في عمل المواليد، ولا دلالة فيها على شقيّ ولا سعيد، ولم يبق إلا معاندة القرآن العظيم. وفيه استحلال دمه على هذا التنجيم، ولقد أحسن الشاعر حيث قال:

حكم المنجم أن طالع مولدي ... يقضي عليّ بميتة الغرق
قل للمنجم صبحة الطوفان هل ... وُلد الجميع بكوكب الغرق

وقيل لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما أراد لقاء الخوارج: أتلقاهم والقمر في العقرب؟ فقال رضي الله عنه: فأين قمرهم؟! وكان ذلك في آخر الشهر. فانظر إلى هذه الكلمة التي أجاب بها، وما فيها من المبالغة في الرد على من يقول بالتنجيم والإفحام لكل جاهل يحقق أحكام النجوم.

وقال له مسافر بن عوف: يا أمير المؤمنين، لا تسر في هذه الساعة وسِرْ في ثلاث ساعات يمضين من النهار. فقال له علي رضي الله عنه: ولِمَ؟ قال: إنك إن سرتَ في هذه الساعة أصابك وأصاب أصحابك بلاء وضر شديد، وإن سرت في الساعة التي أمرتك بها ظفرت وظهرت وأصبت ما طلبت.

فقال عليّ رضي الله عنه: ما كان لمحمد ﷺ منجم، ولا لنا من بعده - من كلام طويل يحتج فيه بآيات من التنزيل - فمن صدّقك في هذا القول لم آمن عليه أن يكون كمن اتخذ من دون الله نداً أو ضداً، اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك. ثم قال للمتكلم: نكذبك ونخالفك ونسير في الساعة التي تنهانا عنها.

ثم أقبل على الناس فقال: يا أيها الناس، إياكم وتعلُّم النجوم إلاّ ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر؛ وإنما المنجم كالساحر، والساحر كالكافر، والكافر في النار، والله لئن بلغني أنك تنظر في النجوم وتعمل بها لأخلدنك في الحبس ما بقيتَ وبقيتُ، ولأحرمنك العطاء ما كان لي سلطان.

ثم سافر في الساعة التي نهاه عنها، ولقي القوم فقتلهم وهي وقعة النهروان الثابتة في «الصحيح» لمسلم.

ثم قال: لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها وظفرنا وظهرنا لقال قائل: سار في الساعة التي أمر بها المنجم، ما كان لمحمد ﷺ منجّم ولا لنا من بعده، فتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر وسائر البلدان - ثم قال: يا أيها الناس،

توكَّلوا على الله وثقوا به؛ فإنه يكفي ممن سواه.

* * *

س ـ اذكر بعض الوارد في ذم إتيان الكهان؟

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه مسلم[١] في «صحيحه» عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أتى عرافًا[٢] فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلةً**».

ومن ذلك: ما أخرجه مسلم[٣] من حديث معاوية بن الحكم السلمي قال: قلت: يا رسول الله، أموراً كنا نصنعها في الجاهلية: كنا نأتي الكهان[٤]؟

(١) مسلم (حديث ٢٢٣٠).

(٢) «عرَّافًا»: العرَّاف من جملة أنواع الكهان. قال ابن الأثير: العراف: المنجِّم أو الحازي يدعي علم الغيب، وقد استأثر الله تعالى به.
وقال الخطابي وغيره: العراف هو الذي يتعاطى معرفة مكان المسروق ومكان الضالة ونحوهما.

(٣) مسلم (حديث ٥٣٧).

(٤) «الكهان»: قال القاضي رحمه الله: كانت الكهانة في العرب ثلاثة أضرب:
أحدها: يكون للإنسان وليّ من الجن يخبره بما يسترقه من السمع من السماء، وهذا القسم بطل من حين بعث الله نبينا ﷺ.
الثاني: أه يخبره بما يطرأ، أو يكون في أقطار الأرض، وما خفى عنه مما قرب أو بعد، وهذا لا يبعد وجوده.
الثالث: المنجمون. وهذا الضرب يخلق الله تعالى فيه، لبعض الناس قوة ما. لكن الكذب فيه أغلب. ومن هذا الفن العرافة وصاحبها عرّاف، وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعى معرفتها بها، وهذه الأضرب كلها تسمى الكهانة، وقد أكذبهم كلهم الشرع ونهى عن تصديقهم وإتيانهم.

قال: «**فلا تأتوا الكهان**» قال: قلت: كنا نتطير؟ قال: «**ذاك شيءٌ يجده أحدكم في نفسه**[١]**، فلا يصدنكم**».

وفي «صحيح مسلم»[٢] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، إن الكهان كانوا يحدثوننا فنجده حقًا؟ قال: «**تلك الكلمة الحق، يخطفها الجني فيقذفها في أذن وليه، ويزيد فيها مائة كذبة**».

وفي رواية أخرى عند مسلمٍ أيضًا: قالت عائشة: سأل أناسٌ رسول الله ﷺ عن الكهان؟ فقال لهم رسول الله ﷺ: «**ليسوا بشيء**»، قالوا: يا رسول الله، فإنهم يحدثون أحيانًا الشيء يكون حقًا؟ قال رسول الله ﷺ: «**تلك الكلمة من الجن**[٣] **يخطفها الجني، فيقرها**[٤] **في أذن وليه قر الدجاجة، فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة**».

وفي «صحيح مسلم» من حديث ابن عباس[٥] رضي الله عنهما قال: أخبرني رجل من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار: أنهم بينما هم جلوسٌ ليلةً مع رسول الله ﷺ رمي بنجمٍ فاستنار. فقال لهم رسول الله ﷺ: «**ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمي بمثل هذا؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم؛ كنا

---

(١) «ذاك الشيء يجده أحدكم في نفسه» معناه: أن كراهة ذلك تقع في نفوسكم في العادة، ولكن لا تلتفتوا إليه، ولا ترجعوا عما كنتم عزمتم عليه قبل هذا.

(٢) مسلم (حديث ٢٢٢٨).

(٣) أي: المسموعة من الجن.

(٤) قال الخطابي وغيره: معناه: أن الجن يقذف الكلمة إلى وليِّه الكاهن فتسمعها الشياطين كما تؤذن الدجاجة بصوتها صواحباتها فتتجاوب.

نقول: وُلد الليلة رجلٌ عظيم، ومات رجلٌ عظيمٌ، فقال رسول الله ﷺ: «فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا ـ تبارك وتعالى اسمه ـ إذا قضى أمرًا سبح حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا، ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال».

قال: «فيستخبر بعض أهل السماوات بعضًا، حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا، فتخطف الجن السمع فيقذفون إلى أوليائهم، ويرمون به، فما جاءوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يقرفون(١) فيه ويزيدون».

* * *

س ـ وضح المراد بقوله تعالى: ﴿لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: ليعلم الرسول ﷺ أن الرسل من قبله قد أبلغت عن الله رسالاته، وأن الله حفظها ودافع عنها.

الثاني: ليعلم محمدٌ ﷺ أن الملائكة قد بلغت رسالات ربها.

الثالث: ليعلم المشركون أن الرسل قد بلغت رسالات ربها.

الرابع: ليعلم الله عز وجل أن الرسل قد بلغت رسالات ربها علمًا ظاهرًا يجب به الثواب، كقوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، وإن كان الله عزَّ وجل يعلم الأشياء قبل وقوعها وعند وقوعها

(٥) مسلم (حديث ٢٢٢٩).

وبعد وقوعها بلا شك.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله ذاكرًا هذا الوجه:

ويحتمل أن يكون الضمير عائداً إلىٰ الله - عز وجل - وهو قول حكاه ابن الجوزي في «زاد المسير» ويكون المعنىٰ في ذلك: أنه يحفظ رسله بملائكته؛ ليتمكنوا من أداء رسالاته، ويحفظ ما بُيِّن إليهم من الوحي، ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم، ويكون ذلك كقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [البقرة: ١٤٣] وكقوله: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ [العنكبوت: ١١]، إلىٰ أمثال ذلك، مع العلم بأنه تعالىٰ يعلم الأشياء قبل كونها قطعًا لا محالة، ولهذا قال بعد هذا: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٨].

أما الطبري رحمه الله تعالى فقد اختار الوجه الأول فقال:

وأولىٰ هذه الأقوال عندنا بالصواب، قول من قال: «ليعلم الرسول ﷺ أن الرسل قبله قد أبلغوا رسالات ربهم»، وذلك أن قوله ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾ من سبب قوله ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٧] وذلك خبر عن الرسول، فمعلوم بذلك أن قوله ليعلم من سببه إذ كان ذلك خبراً عنه.

وأورد عن قتادة بإسنادين يصحان عنه ما حاصله: ليعلم رسول الله ﷺ أن الرسل قبله قد أبلغت عن ربها وحُفظت.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدمة لسورتي المزمل والمدثر

هذه السورة الكريمة سورة المزمل مع سورة المدثر اشتركتا في كونهما من أوائل ما نزل على رسول الله ﷺ من القرآن، ومن ثمَّ فقد اشتركتا في أمورٍ تهُمّ رسول الله ﷺ في بداية دعوته، وكذلك تهمُّ المؤمنين.

فاشتركتا في الحث على الصبر والصلاة، فنرى في سورة المزمل ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾، ونرى أيضًا ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ وكذلك نرى فيها ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً﴾ وأيضًا ففي سورة المدثر ﴿قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ إلى قوله: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ ونرى أيضًا الوعيد لتارك الصلاة في قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾.

فنعم ما يُستعان به في بداية الاستقامة، بل وفي نهايتها على السواء استعانةٌ بالصبر، واستعانة بالصلاة، فنعم هذا الزاد المبارك.

حملت السورتان تهديدات لمن حارب الدعاة إلى الله ولمن كذبهم، وفي ذلك تصبيرٌ للنبي ﷺ، ولأهل الإيمان ممن معه، ففي سورة المزمل يقول تعالى: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً (١١) إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيمًا (١٢) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ وفي سورة المدثر يقول تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُودًا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾.

حملت السورتان تذكيرًا باليوم الآخر، وبيان بعض ما فيه من الأهوال، والشدائد، والكربات، ففي سورة المزمل: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا

يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا (١٧) السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً ﴾ وفي سورة المدثر: ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾.

ذكَّرت السورتان الكريمتان باثنين من أئمة الضلال وكيف كان مصيرهما؟ فُذكر فرعون الطاغية وكيف كان مآله، ومصيره؟ قال تعالىٰ: ﴿ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً ﴾.

وفي سورة المدثر تذكيرٌ بقوله تعالىٰ في شأن طاغية من طغاة قريش: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴾.

ثم إن كل سورة من السورتين تُذكر بعمومها، وخصوصها كما قال تعالىٰ في سورة المزمل: ﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً ﴾.

وقال في سورة المدثر: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾.

هذا فضلاً عما في ثنايا السورتين الكريمتين من أوجه التشابه، والتطابق فيما يدعوان إليه ويَحُضان عليه، ثم تختم السورتان بخير ختام ألا وهو: الحث علىٰ الاستغفار إيماءً أو تصريحًا ففي سورة المزمل صراحةً في ختامها ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

وفي سورة المدثر: ﴿ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴾. وهذا وإن كان خبراً عن الله عز وجل إلا أنه يحمل معنىٰ الحث علىٰ طلب مغفرته وعافيته.

فإلىٰ السورتين الكريمتين، وبالله التوفيق وهو وحده المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وصل اللهم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

سورة المزمل

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي:

المزمل ـ رتل ـ ترتيلا ـ سنلقي ـ قولاً ـ ناشئة ـ أشد وطئًا ـ أقوم قيلا ـ سبحًا ـ تبتل إليه تبتيلا ـ اتخذه وكيلا ـ هجرًا جميلاً ـ ذرني ـ أولي النعمة ـ مهلهم

ج:

الكلمة	معناها
المزمل	المتلفف في ثيابه ـ والتزمل أيضًا: التغطي في الليل. وقيل: المزمل بالنبوة والملتزم للرسالة.
رتّل	بيِّن ـ ترسّل.
ترتيلاً	تبينًا ـ ترسلاً.
سنلقي	سنوحي ـ سننزل.
قولاً	قرآنًا، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾.
ناشئة	ساعات الليل ـ قيام الليل. ومن العلماء من قال: ناشئة الليل: أول الليل وقال بعضهم: من المغرب للعشاء. وقال آخرون: ناشئة الليل ما كان من قيام بعد نوم.
أشد وطأ	أشد موافقة[1] (يتوافق فيها القلب، واللسان، والسمع علىٰ فهم القرآن، وتدبر آياته، ومعانيه) ـ أثبت للحفظ

(١) ومنه تواطأ فلان مع فلان، أي: اتفق فلان مع فلان. ومنه: ﴿ليواطئوا عدة ما حرم اللَّه﴾، ومنه حديث: «أرىٰ رؤياكم قد تواطأت» أي: قد اتفقت.

وصح عن مجاهد عند الطبري أنه قال: أن تواطأ سمعك وقلبك وبصرك.

الكلمـــة	معنـاهـــــا
	وأدعىٰ للفهم ـ وقيل : أثقل علىٰ المصلي [١] .
أقوم قيلا	أصوب قراءةً ـ أخلص للقول ، وأسمع له أقرب للتفقه ، والفهم .
سبحًا	فراغًا ـ متسعًا ـ متقلبًا . وقتًا واسعًا تقضي فيه حوائجك حتىٰ تتفرغ لقيام الليل وتنام فيه وتستريح للمعونة علىٰ قيام الليل .
تبتل إليه تبتيلاً	انقطع إليه انقطاعًا ـ أخلص له إخلاصًا انقطع عن الأوثان والأصنام وعن عبادة غير الله عزَّ وجل .
اتخذه وكيلاً	أفرده بالتوكل عليه وحده لا شريك له . فوض أمورك كلها إليه ـ ارض به قائمًا بأمورك وكفيلاً بما وعدك .
اهجرهم هجرًا جميلا	الهجر : الترك ، واهجرهم هجرًا جميلاً أي : هجرًا لا جزع معه ولا عتاب فيه بعض العلماء : إن الهجر الجميل هو الهجر في الله كما قال تعالىٰ : ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتىٰ يخوضوا في حديث غيره﴾ .
ذرني	دعني .
أولي النعمة	أهل التنعم في الدنيا ، وأهل الرفاهية ، والملذات أرباب الغنىٰ ، والسعة ، والوجاهات .
مهلهم	أخرهم ـ أنظرهم .

(١) من قولهم اشتدت وطأة السلطان ، ومنه : اللّهم اشدد وطأتك علىٰ مضر .

س ـ هل المزمل من أسماء النبي ﷺ ؟ وما الفائدة من خطابه بـ: ﴿يا أيها المزمل﴾؟

ج: ليس المزمل من أسماء النبي ﷺ.

قال القرطبي رحمه الله: قال السُّهيلي: ليس «المزمّل» باسْمٍ من أسماء النبي ﷺ، ولم يعرف به كما ذهب إليه بعض الناس وعدُّوه من أسمائه عليه السلام، وإنما «المزمّل» اسم مشتق من حالته التي كان عليها حين الخطاب.

وكذلك المدثّر. وفي خطابه بهذا الاسم فائدتان: إحداهما: الملاطفة؛ فإنّ العرب إذا قصدت ملاطفة المخاطب وترك المعاتبة سموه باسم مشتق من حالته التي هو عليها؛ كقول النبي ﷺ لعلي حين غاضب فاطمة رضي الله عنهما، فأتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب، فقال له: «**قم يا أبا تراب**» إشعاراً له أنه غير عاتب عليه، وملاطفةً له. وكذلك قوله عليه السلام لحذيفة: «**قم يا نومان**» وكان نائماً ملاطفةً له، وإشعاراً لترك العتب، والتأنيب. فقول الله تعالىٰ لمحمد ﷺ: ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ① قُمِ**﴾ فيه تأنيسٌ وملاطفةٌ؛ ليستشعر أنه غير عاتب عليه.

والفائدة الثانية: التنبيه لكل متزمل راقد ليله ليتنبه إلىٰ قيام الليل وذكر الله تعالىٰ فيه؛ لأن الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل من عمل ذلك العمل واتصف بتلك الصفة.

* * *

س ـ لماذا نودي النبي ﷺ بـ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾؟

ج: لأنه كان يتزمل في ثيابه أول ما جاءه جبريل فَرَقًا منه فقد رجع إلىٰ خديجة رضي الله عنها وقال: زملوني زملوني.

س ـ قوله تعالى: ﴿ قُمِ اللَّيْلَ ﴾ لماذا هذا القيام؟

ج: هذا القيام للصلاة وتلاوة القرآن.

* * *

س ـ ما حدُّ الليل (بدايته ونهايته)؟

ج: يبدأ الليل من غروب الشمس ويمتد إلىٰ طلوع الفجر.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله تعالىٰ:

«وقوله: ﴿ **قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ يقول لنبيه ﷺ: ﴿ **قُمِ اللَّيْلَ** ﴾ يا محمد كله ﴿ **إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ منه ﴿ **نِصْفَهُ** ﴾ يقول: قم نصف الليل ﴿ **أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ** ﴾ يقول: أو زد عليه، خيره الله تعالىٰ ذكره حين فرض عليه قيام الليل بين هذه المنازل أي ذلك شاء فعل، فكان رسول الله ﷺ، وأصحابه فيما ذكر يقومون الليل، نحو قيامهم في رمضان فيما ذُكر حتىٰ خُفف ذلك عنهم».

وسيأتي أثر لعائشة رضي الله عنها في ذلك إن شاء الله.

* * *

س ـ هل صح لآخر سورة المزمل سبب نزول؟

ج: نعم قد صح، فعند أبي داود[1] بسندٍ صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت أول المزمل كانوا يقومون نحواً من قيامهم في شهر رمضان حتىٰ نزل آخرها، وكان بين أولها وآخرها سنة».

---

(١) أبو داود (حديث ١٣٠٥).

بحث مختصرٌ في قيام الليل

س ـ اذكر بعض الوارد في الحث على قيام الليل وشيئًا من صفة هذا القيام؛ وأحب هذا القيام؟ وهل صلاة الليل أفضل من صلاة النهار؟ دلّل على ذلك.

ج: من الأدلة الواردة في ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا** ﴾ [الإسراء: ٧٩].

وقوله تعالى: ﴿ **كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** ﴾ [الذاريات: ١٧ـ١٨].

وقوله تعالى: ﴿ **لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ** ﴾ [آل عمران: ١١٣].

وقوله تعالى: ﴿ **أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ** ﴾ [الزمر: ٩].

وقوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً** ﴾ [الإنسان: ٢٦]

وقوله تعالى: ﴿ **قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ [المزمل: ٢].

وقوله تعالى: ﴿ **تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ** ﴾ [السجدة: ١٦].

وأخرج مسلم في صحيحه(١): من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الصيام بعد رمضان شهرُ الله المحرم**

---

(١) مسلم (حديث ١١٦٣).

وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل».

وقال النبي ﷺ في شأن ابن عمر رضي الله عنهما: «**نعم الرجال عبد الله لو كان يصلي من الليل**»[١].

وأخرج أبو داود وغيره بإسناد حسن: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**رحم اللهُ رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فإن أبت نضح في وجهها الماء، رحم الله امرأةً قامت من الليل فصلت، وأيقظت زوجها فإن أبى نضحت في وجهه الماء**»[٢].

أما أحب هذا القيام ففي الصحيحين[٣] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال له: «**أحب الصلاة إلى الله صلاةُ داود عليه السلام، وأحب الصيام إلى الله صيامُ داود عليه السلام، وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه، وينام سدسه، ويصوم يومًا ويُفطر يومًا**».

وبالنسبة لشيءٍ من صفة هذا القيام، فيستحب طول القنوت (أي: القيام في الصلاة) خاصة إذا كنت منفرداً، لقول النبي ﷺ: «**أفضل الصلاة طول القنوت**»[٤].

وأيضًا فإن حذيفة رضي الله عنه صلىٰ خلف رسول الله ﷺ فقال حذيفة: صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضىٰ، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضىٰ، فقلت: يركع بها.

---

(١) البخاري (حديث ١١٢١)، ومسلم (٢٤٧٩).

(٢) أبو داود (١٣٠٨)، والنسائي (٣/ ٢٠٥)، وغيرهما.

(٣) البخاري (حديث ١١٣١)، ومسلم (ص٨١٦).

(٤) أخرجه مسلم (حديث ٧٥٦) من حديث جابر رضي اللَّه عنه مرفوعًا، وقال النووي رحمه اللَّه تعالىٰ: المراد بالقنوت هنا القيام باتفاق العلماء فيما علمتُ.

ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً: إذا مر بآية فيها تسبيحٌ سبح، وإذا مر بسؤالٍ سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ. ثم ركع، فجعل يقول: «**سبحان ربي العظيم**» فكان ركوعه نحواً من قيامه. ثم قال: «**سمع الله لمن حمده**» ثم قام طويلا، قريبًا مما ركع، ثم سجد فقال: «**سبحان ربي الأعلى**» فكان سجوده قريبًا من قيامه[١].

وفي الباب أيضًا قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: صليت مع رسول الله ﷺ فأطال حتىٰ هممت بأمر سوءٍ، قيل: وما هممتَ؟ قال: هممتُ أن أجلس وأدعه[٢].

فالأولىٰ للشخص المستطيع إذا كان يُصلي النافلة (قيام الليل) في البيت منفردًا أن يطيل الصلاة للنصوص المتقدمة.

وأن يُغلِّب[٣] صلاة إحدىٰ عشرة ركعة لما في الصحيحين من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل عائشة رضي الله عنها: كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ في رمضان؟ قالت: ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان، ولا في غيره علىٰ إحدىٰ عشرة ركعة: يصلي أربعًا، فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثًا، فقالت عائشة: فقلت: يا رسول الله؛ أتنام قبل أن توتر؟ فقال: «**يا عائشة، إن عيني تنامان ولا ينام قلبي**».

---

(١) مسلم (حديث ٧٧٢).

(٢) البخاري (١١٣٥)، ومسلم (٧٧٣).

(٣) البخاري (حديث ١١٤٧)، ومسلم (حديث ٧٣٨).

وإذا زاد علىٰ إحدىٰ عشرة ركعة فلا بأس، وذلك للآتي:

قول النبي ﷺ: «**صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدةً تُوتر له ما قد صلى**»[1].

ولقول النبي ﷺ: «**أعني على نفسك بكثرة السجود**»[2].

لقوله عليه الصلاة والسلام: «**إنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط بها عنك خطيئة**»[3].

وقد ثبت من عدة وجوه أن النبي ﷺ صلىٰ من الليل ثلاث عشرة ركعة، من ذلك حديث عائشة أيضًا[4]، وابن عباس[5]، وزيد بن خالد[6].

ثم إن قيام الليل العبرة فيه بزمن القيام، لقوله تعالىٰ: ﴿**قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً (٢) نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً**﴾.

وكذلك فقد تقدم قول النبي ﷺ: «أحب القيام قيام داود كان يقوم ثلث الليل».

وكذلك فقد قال النبي ﷺ: «**ليصلِّ أحدكم نَشَاطهُ فإذا فتر فليقعد**»[7].

وقد ثبت من غير وجه أن عمر رضي الله عنه جمع الناس علىٰ أُبي بن

---

(١) البخاري (حديث ١١٣٧، ٩٦٠)، ومسلم (حديث ٧٤٩)، وفي رواية لمسلم: قيل لابن عمر: ما مثنىٰ مثنىٰ؟ قال: أن تُسلِّم في كل ركعتين.

(٢) مسلم (حديث ٤٨٩).

(٣) مسلم (حديث ٤٨٨).

(٤) البخاري (حديث ١١٧٠)، وانظر صحيح مسلم (حديث ٧٣٧ ص٥٠٨).

(٥) البخاري (حديث ١١٣٨)، ومسلم (حديث ٧٦٤).

(٦) مسلم (حديث ٧٦٥).

(٧) البخاري (حديث ١١٥٠)، ومسلم (حديث ٧٨٤).

كعب رضي الله عنه، وقد صلىٰ بهم أبيّ أحيانًا إحدىٰ عشرة ركعة[١] وأحيانًا عشرين ركعة[٢].

وكل ذلك صحيح، وقد أوضحناه تمام الإيضاح في كتابنا «عدد ركعات قيام الليل»، وكتابنا «الترشيد» وعلىٰ هذا أكثر أهل العلم.

وقد صح عند أبي شيبة عن عطاء قال: «أدرك الناس وهم يصلون ثلاثًا وعشرين ركعة بالوتر»[٣]. وعطاءٌ تابعي، فأي الناس أدركهم عطاءٌ؟! إنهم صحابة رسول الله ﷺ.

وأخرج ابن أبي شيبة[٤] في «المصنف» بإسنادٍ صحيح من طريق نافع بن نافع قال: «كان ابن أبي مليكة يصلي بنا في رمضان عشرين ركعة».

وابن أبي مليكة من التابعين.

وهذا مزيدٌ من الآثار وأقوال العلماء في هذا الباب.

* * *

أثر علي بن ربيعة ـ رحمه الله ـ

قال ابن أبي شيبة «المصنف» (٢ / ٣٩٣): حدثنا الفضل بن دكين عن سعيد بن عبيد: «أن علي بن ربيعة كان يُصلي في رمضان خمس ترويحات ويوتر بثلاث». صحيح عن علي بن ربيعة.

---

(١) الموطأ (١/ ١١٥).

(٢) مسند علي بن الجعد (٢٩٢٦)، والبيهقي (٢/ ٤٩٦).

(٣) المصنف (٢/ ٣٩٣).

(٤) المصنف بسند صحيح (٢/ ٣٩٣).

أثر أبي البختري ـ رحمه الله ـ

قال ابن أبي شيبة «المصنف» (٢ / ٣٩٣): حدثنا غندر، عن شيبة، عن خلف، عن ربيع ـ وأثنى عليه خيراً ـ عن أبي البختري: «أنه كان يُصلي خمس ترويحات في رمضان ويوتر بثلاث». صحيح عن أبي البختري[(١)].

❊ ❊ ❊

فعلُ عبد الرحمن بن الأسود ـ رحمه الله ـ

قال ابن أبي شيبة «المصنف» (٢ / ٣٩٣): حدثنا حفص عن الحسن ابن عبيد الله قال: «كان عبد الرحمن بن الأسود يُصلِّي بنا في رمضان أربعين ركعة ويوتر بسبعٍ». صحيح عن عبد الرحمن.

❊ ❊ ❊

فعل الناس زمن عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ

قال ابن أبي شيبة «المصنف» (٢ / ٣٩٣): حدثنا ابن مهدي، عن داود بن قيس: أدركت الناس بالمدينة في زمن عمر بن عبد العزيز، وأبان بن عثمان يصلون ستة وثلاثين ركعة ويوترون بثلاث»[(٢)].

❊ ❊ ❊

(١) واعتمدت في توثيق الربيع على ما في هذا السند.

(٢) وعند ابن نصر في قيام رمضان (ص٦٠): وأمر عمر بن عبد العزيز القُراء في رمضان أن يقوموا بستٍ وثلاثين ركعة يوترون بثلاث، ويقرأوا في كل ركعة عشر آيات.

قول مالك والشافعي وأحمد ـ رحمهم الله تعالى وغيرهم من أهل العلم

أورد الحافظ أبو عبد الله بن نصر المروزي في كتاب «قيام رمضان» جملة من الآثار، قدمنا ذكر كثير منها، وأذكر هنا ما نقله عن الأئمة الثلاثة: (مالك، والشافعي، وأحمد ـ رحمهم الله تعالىٰ).

قال رحمه الله:

وعن ابن القاسم: سمعت مالكًا يذكر أن جعفر بن سليمان أرسل إليه يسأله: أَنَنْقُصُ من قيام رمضان؟ فَنَهَاه عن ذلك؛ فقيل له: قد كُرِهَ ذلك؟ قال: نعم، وقد قام الناس هذا القيام قديمًا، وحديثًا. قيل له: فكم القيام؟ قال: تسع وثلاثون ركعة بالوتر.

وعن ابن أيمن قال: قال مالك: أستحبُّ أن يقوم الناس في رمضان بثمان وثلاثين ركعة، ثم يسلم الإمام والناس، ثم يوتر بهم بواحدة، وهذا العمل بالمدينة قبل الحرَّة منذ بضع ومائة سنة إلىٰ اليوم.

وقال إسحاق بن منصور: قلت لأحمد بن حنبل: كم من ركعة تصلىٰ في قيام شهر رمضان؟ فقال: قد قيل ألوان نحواً من أربعين، إنما هو تطوع، قال إسحاق: نختار أربعين، وتكون القراءة أخف.

وعن الزعفراني: عن الشافعي: رأيت الناس يقومون بالمدينة تسعًا وثلاثين ركعة، قال: وأحبُّ إليَّ عشرون. قال: وكذلك يقومون بمكة. قال: وليس في شيء من هذا ضيق ولا حدٌ ينتهي إليه؛ لأنه نافلة، فإن

أطالوا القيام، وأقلوا السجود فحسن ـ وهو أحب إليَّ ـ وإن أكثروا الركوع والسجود فحسن.

قال البغوي ـ رحمه الله ـ «شرح السنة» (٤ / ١٢٠):

اختلف أهل العلم في قيام شهر رمضان، روي ذلك عن محمد بن يوسف، عن السائب بن يزيد أنه قال: أمر عمر بن الخطاب أبيَّ بن كعب، وتميمًا الداريّ أن يقوما للناس بإحدىٰ عشرة ركعة، فكان القارئ يقرأ بالمئين، حتىٰ كنا نعتمد علىٰ العصي من طول القيام، وما كنا ننصرف إلا في فروع الفجر.

وقال مالك، عن يزيد بن رُومان: كان الناس يقومون في زمان عمر بثلاث وعشرين ركعة في رمضان.

ورأىٰ بعضهم أن يُصلِّي إحدىٰ وأربعين ركعة مع الوتر، وهو قول أهل المدينة، والعمل علىٰ هذا عندهم، وهو اختيار إسحاق.

وأما أكثر أهل العلم فعلى عشرين ركعة، يُروىٰ ذلك عن عمر، وعلي، وغيرهما من أصحاب النبي ﷺ وهو قول الثوري، وابن المبارك، والشافعي، وأصحاب الرأي، قال الشافعي: وهكذا أدركت ببلدنا بمكة يصلُّون عشرين ركعة، ولم يقض أحمد فيه بشيء.

وفي «المدونة» (١ / ١٩٣):

قال مالك: بعث إليَّ الأمير، وأراد أن ينقص من قيام رمضان الذي يقومه الناس بالمدينة، قال ابن القاسم: وهو تسعة وثلاثون ركعة بالوتر، ست وثلاثون ركعة والوتر ثلاث. قال مالك: فنهيته أن ينقص من ذلك شيئًا،

وقلت له : هذا ما أدركت الناس عليه وهذا الأمر القديم الذي لم تزل الناس عليه .

وقال ابن عبد البر في «التمهيد»[١] :

فلا خلاف بين المسلمين أن صلاة الليل ليس فيها حد محدود ، وأنها نافلة وفعل خير وعمل برٍّ ، فمن شاء استقل ، ومن شاء استكثر .

قال ابن قدامة في «المغني»[٢]:

والمختار عند أبي عبد الله ـ رحمه الله ـ فيها[٣] عشرون ركعة ، وبهذا قال الثوري ، وأبو حنيفة ، والشافعي ، وقال مالك : ستة وثلاثون ، وزعم أنه الأمر القديم وتعلَّق بفعل أهل المدينة ، فإن صالحًا مولىٰ التوأمة قال : أدركت الناس يقومون بإحدىٰ وأربعين ركعة يوترون منها بخمس .

ولنا (القائل ابن قدامة) أن عمر ـ رضي الله عنه لما جمع الناس علىٰ أُبيّ ابن كعب كان يصلي لهم عشرين ركعة .

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ «فتح الباري» (٣ / ٣٧):

وسئل الإمام الشافعي عن قيام جميع الليل ، فقال : لا أكرهه إلا لمن خشي أن يضر بصلاة الصبح .

---

(١) «فتح البر في الترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبد البر» (٦/ ١٤٣) .

(٢) «المغني» (٢/ ١٦٧) .

(٣) يعني : صلاة التراويح ، فقد قال ذلك في شرح مسألة الخرقي (وقيام شهر رمضان عشرون ركعة يعني : صلاة التراويح) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله[١]:

كما أن نفس قياس رمضان لم يوقت النبي ﷺ فيه عدداً معيناً؛ بل كان هو ﷺ لا يزيد في رمضان ولا غيره على ثلاث عشرة ركعة، لكن كان يطيل الركعات، فلما جمعهم عمر على أبي بن كعب كان يصلي بهم عشرين ركعة، ثم يوتر بثلاث، وكان يخفف القراءة بقدر ما زاد من الركعات، لأن ذلك أخف على المأمومين من تطويل الركعة الواحدة، ثم كان طائفة من السلف يقومون بأربعين ركعة، ويوترون بثلاث، وآخرون قاموا بست وثلاثين، وأوتروا بثلاث، وهذا كله سائغ فكيفما قام في رمضان من هذه الوجوه فقد أحسن.

والأفضل يختلف باختلاف أحوال المصلين، فإن كان فيهم احتمال لطول القيام، فالقيام بعشر ركعات وثلاث بعدها، كما كان النبي ﷺ يصلي لنفسه في رمضان وغيره هو الأفضل، وإن كانوا لا يحتملونه فالقيام بعشرين ركعة هو الأفضل، وهو الذي يعمل به أكثر المسلمين، فإنه وسط بين العشر وبين الأربعين، وإن قام بأربعين وغيرها جاز ذلك ولا يكره شيء من ذلك، وقد نص على ذلك غير واحد من الأئمة كأحمد وغيره.

ومن ظن أن قيام رمضان فيه عدد موقت عن النبي ﷺ لا يزاد فيه ولا ينقص منه فقد أخطأ، فإذا كانت هذه السعة في نفس عدد القيام، فكيف الظن بزيادة القيام لأجل دعاء القنوت أو تركه، كل ذلك سائغ حسن، وقد ينشط الرجل فيكون الأفضل في حقه تطويل العبادة، وقد لا ينشط فيكون

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣).

الأفضل في حقه تخفيفها.

وكانت صلاة رسول الله ﷺ معتدلة: إذا أطال القيام أطال الركوع والسجود، وإذا خفف القيام خفف الركوع والسجود. هكذا كان يفعل في المكتوبات، وقيام الليل، وصلاة الكسوف، وغير ذلك.

وقد تنازع الناس: هل الأفضل طول القيام؟ أم كثرة الركوع والسجود؟ أو كلاهما سواء؟ على ثلاثة أقوال:

أصحها أن كليهما سواء؛ فإن القيام اختص بالقراءة، وهي أفضل من الذكر والدعاء، والسجود نفسه أفضل من القيام، فينبغي أنه إذا أطال القيام أن يطيل الركوع والسجود وهذا هو طول القنوت الذي أجاب به النبي ﷺ لما قيل له: أي الصلاة أفضل؟ فقال: «**طول القنوت**». فإن القنوت هو إدامة العبادة، سواء كان في حال القيام، أو الركوع أو السجود، كما قال تعالى: ﴿ **أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا** ﴾ [الزمر: ٩]، فسمّاه قانتًا في حال سجوده، كما سمّاه قانتًا في حال قيامه.

وقال شيخ الإسلام أيضًا[١]:

ويشبه ذلك من بعض الوجوه تنازع العلماء في مقدار القيام في رمضان، فإنه قد ثبت أن أبيّ بن كعب كان يقوم بالناس عشرين ركعة في قيام رمضان، ويوتر بثلاث، فرأى كثير من العلماء أن ذلك هو السنة؛ لأنه أقامه بين المهاجرين والأنصار، ولم ينكره منكر.

واستحب آخرون: تسعة وثلاثين ركعة؛ بناء على أنه عمل أهل المدينة

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٣/ ١١٢-١١٣).

القديم، وقال طائفة: قد ثبت في «الصحيح» عن عائشة: «أن النبي ﷺ لم يكن يزيد في رمضان ولا في غيره على ثلاث عشرة ركعة»، واضطرب قوم في هذا الأصل لما ظنوه من معارضة الحديث الصحيح لما ثبت من سنة الخلفاء الراشدين، وعمل المسلمين.

والصواب: أن ذلك جميعه حسن، كما قد نص على ذلك الإمام أحمد رضي الله عنه وأنه لا يتوقت في قيام رمضان عدد، فإن النبي ﷺ لم يوقت فيها عدداً، وحينئذ فيكون تكثير الركعات، وتقليلها بحسب طول القيام، وقصره.

فإن النبي ﷺ كان يطيل القيام بالليل، حتى إنه قد ثبت عنه في «الصحيح» من حديث حذيفة: «أنه كان يقرأ في الركعة بالبقرة والنساء وآل عمران»، فكان طول القيام يغني عن تكثير الركعات. وأبيّ بن كعب لما قام بهم ـ وهم جماعة واحدة ـ لم يمكن أن يطيل بهم القيام، فكثر الركعات ليكون ذلك عوضًا عن طول القيام، وجعلوا ذلك ضعف عدد ركعاته، فإنه كان يقوم بالليل إحدى عشرة ركعة، أو ثلاث عشرة، ثم بعد ذلك كان الناس بالمدينة ضعفوا عن طول القيام فكثَّروا الركعات حتى بلغت تسعًا وثلاثين.

* * *

س ـ هل كان قيام الليل فرضًا في أول الأمر؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال ثلاثة:

أحدها: كان فرضًا على النبي ﷺ وحده.

الثاني: كان فرضًا عليه وعلى سائر الأنبياء قبله.

الثالث: كان فرضًا عليه وعلىٰ عموم الأمة.

واختار القرطبي الثالث وصححه واستدل له بما في صحيح مسلم[١] من طريق سعد بن هشام بن عامرٍ: أنه قال لعائشة رضي الله عنها: أنبئيني عن قيام رسول الله ﷺ. فقالت: ألست تقرأ: ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ**﴾؟ قلت: بلىٰ. قالت: فإن الله عز وجل افترض قيام الليل في أول هذه السورة. فقام نبي الله ﷺ، وأصحابه حولاً، وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهراً في السماء حتىٰ أنزل الله في آخر هذه السورة التخفيف، فصار قيام الليل تطوعًا بعد فريضةٍ. قال: قلت: يا أم المؤمنين، أنبئيني عن وتر رسول الله ﷺ؟ فقالت: كنا نعد له سواكه وطهوره، فيبعثه الله ما شاء أن يبعثه من الليل، فيتسوَّك ويتوضأ ويصلي تسع ركعاتٍ لا يجلس فيها إلا في الثامنة، فيذكر الله ويحمده ويدعوه، ثم ينهض ولا يسلم، ثم يقوم فيصلي التاسعة، ثم يقعد فيذكر الله ويحمده ويدعوه، ثم يسلم تسليمًا يسمعنا، ثم يصلي ركعتين بعد ما يسلم وهو قاعدٌ، فتلك إحدىٰ عشرة ركعةً يا بني، فلما سنَّ نبيُّ الله ﷺ، وأخذه اللحم، أوتر بسبعٍ، وصنع في الركعتين مثل صنيعه الأول، فتلك تسعٌ يا بني. وكان نبي الله ﷺ إذا صلىٰ صلاةً أحب أن يداوم عليها، وكان إذا غلبه نومٌ أو وجعٌ عن قيام الليل صلىٰ من النهار ثنتي عشرة ركعةً. ولا أعلم نبي الله ﷺ قرأ القرآن كله في ليلةٍ، ولا صلىٰ ليلةً إلىٰ الصبح.

* * *

(١) مسلم (حديث ٧٤٦).

س ـ ما معنى قوله تعالى: ﴿ نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ﴾؟

ج: انقص من النصف قليلاً، لقوله تعالىٰ: ﴿ نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ ﴾ أي: انقص من النصف. والله أعلم.

* * *

س ـ اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾.

ج: المعنىٰ، والله أعلم: اقرأه قراءةً بيِّنةً، ترسل فيه ترسلاً بعضه علىٰ إثر بعض في تؤدة، وليس هذًّا كهذ الشعر.

والمعنىٰ أيضًا اقرأه في مهلٍ وبيان مع تدبرٍ للمعاني.

وقد أخرج البخاري[١] من طريق أبي وائل قال: جاء رجلٌ إلىٰ ابن مسعود، فقال: قرأتُ المفصَّل الليلة في ركعة، فقال هَـذًّا كهذ الشِّعر! لقد عرفتُ النظائر التي كان النبي ﷺ يقرِنُ بينهن.

فذكر عشرين سورةً من المفصَّل، سورتين في كلِّ ركعة.

ومن معاني ذلك أيضًا: الوقوف عند معانيه وعجائبه وتحريك القلوب به ولا تكن الهمة الوصول إلىٰ آخر السورة، بل الهمة في فهم مراد الله عز وجل من آياته وقد كان النبي ﷺ في صلاة الليل إذا مرَّ بآية فيها رحمة سأل وبآية فيها عذاب تعوَّذ[٢].

---

(١) البخاري (حديث ٧٧٥).

(٢) هو عند مسلم (حديث ٧٧٢) من حديث حذيفة رضي اللَّه عنه قال: صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة... فذكر الحديث وفيه: يقرأ مُترسلاً إذا مرَّ بآيةٍ فيها تسبيح سبَّح، وإذا مرَّ بسؤال سأل، وإذا مرَّ بتعوّذ تَعوَّذ.

وقال صديق حسن خان في فتح البيان: والمقصود من الترتيل إنما هو حضور القلب عند القراءة لا مجرد إخراج الحروف من الحلقوم بتعويج الوجه والفم وألحان الغناء كما يعتاده قراء هذا الزمان!!!

وقال أيضًا: وإيجاب الأمر على وجه لا يلتبس فيه بعض الحروف ببعض، ولا ينقص من النطق بالحرف من مخرجه المعلوم مع استيفاء حركته المعتبرة، وأنه لابد منه للقارئ.

* * *

س - بيِّن شيئًا من كيفية قراءة النبي ﷺ وشيئًا من الوارد في الحث على تحسين الصوت بالقرآن.

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه البخاري[(١)]: من حديث أنس رضي الله عنه، وقد سئل عن كيف كانت قراءة النبي ﷺ؟ فقال كانت مدًّا. ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم، يمدُّ ببسم الله ويمدُّ بالرحمن ويمدُّ بالرحيم.

وعند الإمام أحمد[(٢)]: من طريق ابن جريج، عن عبد الله بن أبي

---

(١) البخاري (حديث ٥٠٤٦).

(٢) هذا الحديث رجال إسناده ثقات، لكن ابن جريج وإن كان ثقة إلا أنه مدلس وقد عنعن.
ثم إن الترمذي أخرجه (رقم ٢٩٢٧)، وأشار إلى علة أخرى وهي أن هذا الحديث مروي أيضًا من طريق الليث بن سعد، عن ابن أبي مليكة، عن يعلى بن مملك عن أم سلمة، أي: بإدخال واسطة بين ابن أبي مليكة وأم سلمة، والواسطة هو يعلى بن مملك.
قلت (مصطفى): ويعلى بن مملك هذا مجهول - على الراجح -، فالحديث لا يصح عن رسول اللَّه ﷺ من هذا الوجه، واللَّه أعلم.
هذا وقد أخرجه أيضًا أبو داود (حديث ٤٠٠١)، وغيره.

مليكة، عن أم سلمة أنها سئلت عن قراءة رسول الله ﷺ؟ فقالت: كان يقطع قراءته آيةً آيةً ﴿ **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ① **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ② **الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ③ **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** ﴾.

وعند الإمام أحمد وأبي داود[١] وغيرهما من حديث عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ «**يُقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتِّل كما كنتَ تُرتِّل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها**».

وأخرج الإمام أحمد[٢] من حديث البراء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**زينوا القرآن بأصواتكم**».

وقد قال النبي ﷺ لأبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه: «**يا أبا موسى لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود**»[٣] وفي الصحيحين[٤] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أذن الله لشيءٍ ما أذن لنبي حسن الصوت بالقرآن يجهر به**».

وأخرجه ابن ماجة[٥] بسندٍ رجاله ثقات من حديثِ عائشة رضي الله عنها قال: أبطأت علىٰ عهد رسول الله ﷺ ليلةً بعد العشاء ثم جئت فقال: «أين

---

(١) أحمد في «المسند» (٢/ ١٩٢)، وأبو داود (٢/ ١٥٣) وسنده حسنٌ.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٣)، وأبو داود (٥/ ٣٥٦)، والنسائي (١/ ٣٤٠)، وابن ماجه في الصلاة (٢١٥) وغيرهم، وله طرق أُخر، انظرها في كتابنا «الصحيح المسند من أذكار اليوم والليلة».

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ٩/ ٩٢)، ومسلم (٦/ ٨٠)، وغيرهما.

(٤) البخاري (مع الفتح ٩/ ٦٨)، وفي غير موطن من صحيحه، ومسلم (٦/ ٧٩).

(٥) ابن ماجه (حديث ١٣٣٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦)، وقال: صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٧١).

كنتِ؟» قلت: كنت استمع قراءة رجلٍ من أصحابك لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد. قالت: فقام وقمت معه حتى استمع له، ثم التفت إليَّ فقال: «**هذا سالم مولى أبي حذيفة، الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا**».

❊ ❊ ❊

س ـ كيف كان القرآن ثقيلاً على رسول الله ﷺ؟

ج: ذكر العلماء في ذلك وجوهًا:

أحدها: أنه ثقيل عند نزوله.

ففي صحيح البخاري[1] من طريق هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليَّ فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانًا يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول**». قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقًا.

وأخرج البخاري[2] من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ أملى عليه: ﴿**لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ قال: فجاءه ابن أم مكتوم وهو يملها عليَّ فقال: يا رسول الله، لو أستطيع الجهاد لجاهدت ـ وكان رجلا أعمى ـ فأنزل الله تبارك وتعالى على رسوله ﷺ وفخذُهُ على فخذي، فثقلت عليّ حتى خفت أن تُرضَّ فَخِذِي،

---

(١) البخاري (حديث ٢).

(٢) البخاري (حديث ٢٨٣٢).

ثم سري عنه، فأنزل الله عز وجل: ﴿ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ﴾.

الثاني: ثقيل في تكاليفه إلا على من يسرها الله عليه، كما قال تعالى في شأن الصلاة: ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ [البقرة: ٤٥].

أخرج الطبري[١] بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن في قوله: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ قال: العمل به. قال: إن الرجل ليُهذُّ السورة، ولكن العمل به ثقيل.

وأخرج الطبري[٢] أيضًا بسندٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ ثقيل والله فرائضه وحدوده.

وثمَّ وجوه أُخر، منها: ثقيلٌ في الميزان، كما في الحديث: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**»[٣].

ومنها ثقيل بمعنى: مهيبٌ وعظيم، ليس كسفاسف الأقوال.

* * *

س ـ كيف تجمع بين قوله تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ وبين ما ورد من نهي النبي ﷺ عثمان بن مظعون عن التبتل[٤]؟

ج: لذلك وجوه:

أحدها: أن يحمل التبتل المأمور به على معنى معين والتبتل المنهي عنه

(١) الطبري (أثر ٣٥١٩٠).

(٢) الطبري (أثر ٣٥١٩١).

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٣/ ٥٣٧)، ومسلم (مع النووي ١٧/ ١٩).

(٤) أخرج البخاري (حديث ٥٠٧٤)، ومسلم (١٤٠٢) من حديث سعد بن أبي وقاص =

على معين آخر .

فالتبتل المأمور به هو : الإخلاص .

وأيضًا: الانقطاع عن عبادة الأوثان والأصنام، وعمومًا عن عبادة غير الله عزَّ وجل .

وأيضًا: الانقطاع له وحده لا شريك له بدعائه وحده، وسؤاله وحده .

* وأما التبتل المنهي عنه فهو : الانقطاع عن الأزواج، والامتناع من طيبات الحياة الدنيا وما أباحه الله فيها .

الثاني: أن التبتل المأمور به محمول على وقت معين بمعنى معين أي : بعد أن فرغت من قضاء حوائج الدنيا وخصصت وقتًا من الأوقات لعبادة ربك، فتفرغ في هذا الوقت وانقطع عن المشاغل لعبادة ربك عزَّ وجل، كما قال تعالى : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ⑦ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾ [الشرح: ٧-٨] .

فإذا أقبلت على صلاتك ففرِّغ لها قلبك، وابتعد عما يشغلك، وأنت في صلاتك عن التفكر فيها وتدبرها .

أما التبتل المنهي عنه فعلى الوجه الذي قدمناه .

هذا وقد قال القرطبي رحمه الله:

ولكن معنى الآية : انقطع عن الأوثان ، والأصنام، وعن عبادة غير الله .

= رضي اللَّه عنه قال: لقد ردّ ذلك - يعني : النبي ﷺ - على عثمان بن مظعون، ولو أجاز له التبتل لاختصينا .

وفي لفظ مسلم: رد رسول اللَّه ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له لاختصينا .

وفي لفظ آخر عند مسلم: أراد عثمان بن مظعون أن يتبتل فنهاه رسول اللَّه ﷺ ولو أجاز له ذلك لاختصينا .

وكذلك قال مجاهد: معناه: أخلص له العبادة. ولم يرد التبتل، فصار التبتل مأمورًا به في القرآن، منهيًا عنه في السنة، ومتعلق الأمر غير متعلق النهي؛ فلا يتناقضان، وإنما بعث ليبين للناس ما نزل إليهم؛ فالتبتل المأمور به: الانقطاع إلى الله بإخلاص العبادة؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥] والتبتل المنهي عنه: هو سلوك مسلك النصارى في ترك النكاح، والترهب في الصوامع، لكن عند فساد الزمان يكون خيرُ مال المسلم غنمًا يتبع بها شغف الجبال، ومواقع القطر، يفرّ بدينه من الفتن.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

وقوله: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾، أي: أكثر من ذكره، وانقطع إليه، وتفرغ لعبادته إذا فرغت من أشغالك، وما تحتاج إليه من أمور دنياك، كما قال: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ [الشرح: ٧-٨]. أي: إذا فرغت من مهامك فانصب في طاعته وعبادته، لتكون فارغ البال. قاله ابن زيد بمعناه أو قريب منه.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً﴾.

ج: المعنى: إذا علمت أنه رب المشرق والمغرب، وأنه لا إله إلا هو فمن ثمَّ ينبغي أن تتخذه وكيلاً، وينبغي ألا تعبد أحدًا غيره وأيضًا اتخذه قائمًا بأمورك في كل مكان، وفي كل زمان. والله أعلم.

* * *

س ـ هل هناك تعلق بين قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ والآيات التي تقدمتها؟

ج: نعم هذا التعلق ظاهر، ووجه ذلك أن يُقال . . . لما اتخذتني وكيلاً ـ فأنا رب المشرق والمغرب لا إله إلا أنا ـ فاصبر علىٰ أذاهم فأنا أكفيكهم وأُدبِّر لك أمرك خير تدبيرٍ وأحسن تدبير.

* * *

س ـ هل قوله تعالى: ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً﴾ منسوخٌ؟

ج: ذهب بعض أهل العلم إلىٰ أن هذه الآية وما في معناها من الآيات منسوخ بآيات المجاهدة وبآية السيف، ومن الذين ذهبوا إلىٰ ذلك قتادة رحمه الله، فقد أخرج الطبري بسندٍ حسن عنه أنه قال: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً﴾ براءةُ نسخت ما هاهنا، أمر بقتالهم حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، لا يقبل منهم غيرها.

بينما رأىٰ آخرون من أهل العلم أن هذه الآية وما في معناها ليس بمنسوخ، ولكنهم وجهوا الهجر الجميل إلىٰ معانٍ توائم الأحوال، وتناسبها.

* * *

س ـ اذكر بعض هؤلاء المكذبين من أولي النعمة.

ج: ذكر بعض أهل العلم فريقًا من هؤلاء المكذبين منهم: شيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وآخرون.

* * *

س ـ ما المراد بالمهلة القليلة في قوله تعالى: ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾؟

ج: في ذلك قولان:

أحدهما: أن المراد انقضاء الحياة الدنيا.

الثاني: أن المراد المدة القليلة الباقية من أعمارهم ومن العلماء من قال: أَمَدُ ذلك إلى يوم بدر.

* * *

إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ﴿١٢﴾ وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٣﴾ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبٗا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا ﴿١٦﴾ فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي:

لدينا ـ أنكالاً ـ جحيما ـ طعامًا ذا غصة ـ أليما ـ ترجف ـ كثيبًا ـ مهيلاً ـ وبيلاً ـ منفطرٌ به ـ وعده ـ مفعولاً ـ تذكرة.

ج:

الكلمة	معناها
لدينا	عندنا.
أنكالاً	قيودًا[1].
جحيمًا	نارًا تُسعر وتتأجج.
طعامًا ذا غُصة	طعامًا له غصة أي يُغص به آكلهُ فيتعلق بالحلق لاينزل إلى الجوف ولا يخرج من الفم، كأن به شوكا يأخذ بالحلق.
أليما	مؤلمًا ـ مُوجعًا.
ترجف	تضطرب.
كثيبا	رملاً.
مهيلاً	المهيل: الذي أُهيل أي: حُرِّك من أسفله، فانهال من أعلاه.
وبيلا	شديدًا.
	متشققةٌ لشدته ـ متصدعة لهوله ـ متقطعة فيه.
	وعده بالقيامة، والثواب والعقاب.
	كائنًا لا خلف له، ولا مفرَّ منه.
	عظةٌ وعبرةٌ لمن اتعظ واعتبر.

(١) نقل القرطبي عن الشعبي قوله: أترون أن هذه الأنكال في أرجل أهل النار خشية أن يهربوا؟ لا والله، ولكنهم إذا أرادوا أن يرتفعوا استفلت بهم.

الكلمـــة	معنـاهـــا
منفطرٌ به	متشققةٌ لشدته ـ متصدعة لهوله ـ متقطعة فيه .
وعدُهُ	وعده بالقيامة ، والثواب والعقاب .
مفعولاً	كائنًا لا خلف له ، ولا مفرَّ منه .
تذكرة	عظةٌ وعبرةٌ لمن اتعظ واعتبر .

س ـ لماذا قال تعالى: ﴿ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً ﴾ مع أن ذلك لم يحدث للآن؟

ج: عُبِّرَ عن ذلك بصيغة الماضي لتحقق وقوعه.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِدًا عَلَيْكُمْ ﴾ الآية.

ج: قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالىٰ ذكره: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ ﴾ أيها الناس ﴿ رَسُولاً شَاهِدًا عَلَيْكُمْ ﴾ بإجابة من أجاب منكم دعوتي، وامتناع من امتنع منكم من الإجابة، يوم تلقوني في القيامة ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً ﴾ يقول: مثل إرسالنا من قبلكم إلىٰ فرعون مصر رسولاً بدعائه إلىٰ الحق، ﴿ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ ﴾ الذي أرسلناه إليه ﴿ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً ﴾ يقول: فأخذناه أخذًا شديدًا، فأهلكناه ومن معه جميعًا، وهو من قولهم: كَلأٌ مستوبل، إذا كان لا يستمرأ، وكذلك الطعام.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾.

ج: أورد الطبري[1] بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: كيف تتقون يومًا وأنتم قد كفرتم به ولا تصدقون به.

أما قوله: ﴿ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾ فمعناه: أن الصغار يشيبون في هذا

(١) الطبري أثر (٣٥٢٧٧).

اليوم لشدة الكرب فيه ولكثرة الأهوال والشدائد(١).

هذا، وقد قال السعدي رحمه الله في تفسير الآية الكريمة:

أي: فكيف يحصل لكم الفكاك والنجاة يوم القيامة، اليوم المهول أمره العظيم خطره، الذي يشيب الولدان، وتذوب له الجمادات العظام، فتتفطر السماء وتنتثر نجومها؟!

* * *

س ـ السماء قد تُذَّكر وقد تؤنَّث، اذكر دليلاً على مجيئها مذكرةً.

ج: قوله تعالىٰ: ﴿السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ﴾ .

* * *

س ـ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ﴾ إشارةٌ إلى ماذا؟

ج: إشارةً إلىٰ الآيات التي ذُكرت فيها القيامة، وذكرت فيها صنوف

---

(١) وفي الحديث المتفق عليه من حديث أبي سعيدٍ الخدري رضي اللَّه عنه عند البخاري (حديث ٤٧٤١)، ومسلم (مع النووي ٣/ ٩٧)، قال: قال النبي ﷺ: «يقول اللَّه ـ عز وجل ـ يوم القيامة: يا آدم. فيقول: لبيك ربنا وسَعديك. فينادي بصوت: إن اللَّه يأمرك أن تُخرج من ذرِّيتكَ بعثًا إلىٰ النار. قال: يا ربِّ، وما بَعثُ النار؟ قال: من كل ألفٍ ـ أراه قال ـ: تسعمائة وتسعة وتسعين. فحينئذٍ تضع الحاملُ حَمْلَها، ويشيب الوليد، وترىٰ الناس سكارىٰ وما هم بسكارىٰ، ولكنَّ عذاب اللَّه شديد. فشقَّ ذلك علىٰ الناس حتىٰ تغيرت وجوههم، فقال النبي ﷺ: من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين، ومنكم واحد. ثم أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جَنب الثور الأبيض، أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود، وإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، فكبَّرنا، ثم قال: ثلث أهل الجنة. فكبرنا، ثم قال: شطر أهل الجنة، فكبَّرنا.

العذاب وأليم العقاب، وما أعده الله فيها للكفرة والمكذبين والله أعلم.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾.

ج: المعنىٰ، والله أعلم: فمن شاء اتخذ طريقًا يتقرب به إلىٰ الله عزَّ وجل، وذلك بطاعة الله سبحانه وتعالىٰ، والعمل بما شرع.

* * *

إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ

أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ
وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ
مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ
فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ
فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ
قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا
وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ﴿٢٠﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي:

أدنى ـ يقدر الليل والنهار ـ لن تحصوه ـ تاب عليكم ـ يضربون في الأرض ـ أقرضوا الله قرضًا حسنًا.

ج:

الكلمة	معناها
أدنى	أقرب.
يُقدر الليل والنهار	يعلم مقادير ساعات الليل والنهار، ويعلم أوقات الليل والنهار.
لن تحصوه	لن تطيقوا قيامه كما أمرناكم به. لن تستطيعوا تحديد زمن القيام، لكونهم لم يكن عندهم ساعات ـ فلن تستطيعوا تحديد ثلث الليل ونصفه[1].

(١) أخرج الطبري (٣٥٢٩٦) وغيره من طريق يعقوب قال: ثنا ابن علية قال: ثنا عطاء بن السائب، عن أبيه، عن عبد اللّه بن عمرو، قال: قال رسول اللّه ﷺ: «خلتان لا يُحصيهما رجلٌ مسلمٌ إلا أدخلتاه الجنة، وهما يسير، ومن يعمل بهما قليلٌ: يُسبح اللّه في دبر كل صلاة عشراً، ويحمده عشراً ويكبره عشراً، قال: فأنا رأيت رسول اللّه ﷺ يعقدها بيده، قال: فتلك خمسون ومائة باللسان، وألفٌ وخمسمائة في الميزان، وإذا أوىٰ إلىٰ فراشِه سبح وحمد وكبَّر مائة، قال: فتلك مائة باللسان، وألفٌ في الميزان، فأيُّكُمْ يَعْملُ في اليوم الواحد ألفين وخمسمائة سيِّئة؟ قالوا: فكيف لا نحصيهما؟ قال: يأتي أحدكم الشيطان وهو في صلاته فيقول: اذكُرْ كذا، اذكر كذا حتىٰ ينفتِلَ، ولعلَّه لا يعقل، ويأتيه وهو في مضجعه فلا يزال يُنَوِّمه حتىٰ ينام».
حدثنا أبو كريب: قال: ثنا أبو نعيم، عن سفيان، عن عطاء بن السائب، عن أبيه، عن عبد اللّه بن عمرو، عن النبي ﷺ نحوه.
وهذا سند حسنٌ.

الكلمة	معناها
تاب عليكم	خفف عنكم.
يضربون في الأرض	يسافرون لطلب الرزق.
أقرضوا الله قرضًا حسنًا	أنفقوا في سبيل الله من خالص أموالكم في وجوه الخير عمومًا.

س ـ هل قيام الليل واجب أم لا؟ وما الدليل؟

ج: قيام الليل ليس بواجب، ولكنه مستحب والدليل على عدم وجوبه ما أخرجه البخاري[1] ومسلم من حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ثائر الرأس يسمع دوي صوته ولا يَفْقَهُ ما يقول، حتى دنا، فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «**خمس صلوات في اليوم والليلة**» فقال: هل عليَّ غيرها؟ قال: «**لا، إلا أن تطوع**».

* * *

س ـ ما الناسخ للأمر بقيام الليل؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن الناسخ هو قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ**... ﴾ إلى آخر الآية.

الثاني: أن الناسخ هو قوله تعالى: ﴿ **عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ** ﴾.

الثالث: قوله تعالى ﴿ **فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ** ﴾.

الرابع: إنه منسوخ بحديث «خمس صلوات في اليوم والليلة» قال (السائل) هل عليَّ غيرها؟ قال: «لا إلا أن تطوع».

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ﴾ **الآية**؟

ج: قال الطبري رحمه الله: «وقوله: ﴿ **عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ**

(١) البخاري (حديث ٤٦)، ومسلم (حديث ١١).

وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ يقول تعالىٰ ذكره: علم ربكم - أيها المؤمنون - أن سيكون منكم أهل مرض قد أضعفه المرض عن قيام الليل ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ﴾ في سفر ﴿يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾في تجارة قد سافروا لطلب المعاش فأعجزهم، فأضعفهم أيضًا عن قيام الليل ﴿وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يقول: وآخرون أيضًا منكم يجاهدون العدوّ فيقاتلونهم في نصرة دين الله، فرحمكم الله فخفف عنكم، ووضع عنكم فرض قيام الليل ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ يقول: فاقرءوا الآن إذ خفف ذلك عنكم من الليل في صلاتكم ما تيسَّر من القرآن. والهاء في قوله: «منه» من ذكر القرآن». وتقدم أثر عائشة رضي الله عنها في هذا الباب.

* * *

س - في قوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دليلٌ من دلائل النبوة وضح هذا الدليل.

ج: إيضاحه أن القتال لم يكن نزلت فرضيته علىٰ رسول الله ﷺ وأخبر به النبي قبل فرضيته، ثم فرض بعد فهذا إخبار بأمور لم تكن وقعت فوقعت كما أخبر عليه الصلاة والسلام.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

وقوله: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أي: علم أن سيكون من هذه الأمة ذوو أعذار في ترك قيام الليل، من مرضىٰ لا يستطيعون ذلك، ومسافرين في الأرض يبتغون من فضل الله في المكاسب، والمتاجر، وآخرين مشغولين

بما هو الأهم في حقهم من الغزو في سبيل الله، وهذه الآية ـ بل السورة كلها ـ مكية، ولم يكن القتال شُرع بَعدُ، فهي من أكبر دلائل النبوة؛ لأنه من باب الإخبار بالمغيبات المستقبلة؛ ولهذا قال: ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾، أي: قوموا بما تيسر عليكم منه.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ مع بيان أقل قدر ممكن من القراءة في صلاة الليل.

ج: أما قوله تعالى ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ فمعناه: اقرءوا في الصلاة بما أمكن من القرآن.

أما أقل ما يمكن قراءته ففاتحة الكتاب لحديث: «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**»[1].

ومن العلماء من قال: مع الفاتحة آية.

ومنهم من قال: آيتان. لما في الصحيحين من حديث أبي مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلةٍ كفتاه**»[2].

* * *

س ـ ما الفرق بين إيتاء الزكاة، والقرض الحسن؟

ج: الظاهر، والله أعلم، أن إيتاء الزكاة المراد به الزكاة المفروضة، والقرض الحسن: صدقة التطوع.

---

(١) البخاري (حديث ٧٥٦)، ومسلم (حديث ٣٩٤) من حديث عبادة بن الصامت مرفوعًا.

(٢) البخاري (مع الفتح ٩/ ٥٥)، ومسلم (٦/ ٩١).

س ـ لماذا نسب الإقراض إلى الله في قوله تعالى: ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ ؟

ج: ذلك، والله أعلم: لئلا يُمَنَّ على الفقير فيما يتصدق به عليه؛ وهذا لأن الفقير معاونٌ له في تلك القربة، فلا تكون له مِنةٌ عليه، بل المنَّة للفقير؛ لأنه عاون الغني على التقرب إلى الله.

* * *

س ـ كيف يكون القرض حسنًا؟

ج: ذلك، والله أعلم، بألا يُتبع بمنٍ ولا بأذى.

وأن يكون من كسبٍ حلال طيب، وعن نفسٍ طيبة، وأن يُستر فيه على المُتصدق عليه قدر الإمكان.

ويكون عن احتساب وطلبٍ للأجر، والثواب من الله عز وجل ويقصد به وجه الله، ولا يُقصد به وجه أحدٍ سواه.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ يقول: وما تقدموا ـ أيها المؤمنون ـ لأنفسكم في دار الدنيا من صدقة أو نفقة تنفقونها في سبيل الله، أو غير ذلك من نفقة في وجوه الخير، أو عمل بطاعة الله من صلاة أو صيام أو حجّ، أو غير ذلك من أعمال الخير في طلب ما عند الله، تجدوه عند الله يوم القيامة في معادكم، هوخيراً لكم مما

قدمتم في الدنيا، وأعظم منه ثوابًا: أي: ثوابه أعظم من ذلك الذي قدّمتموه لو لم تكونوا قدمتموه ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ يقول تعالىٰ ذكره: وسلوا الله غفران ذنوبكم يصفح لكم عنها ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ يقول: إن الله ذو مغفرة لذنوب من تاب من عباده من ذنوبه، وذو رحمة أن يعاقبهم عليها من بعد توبتهم منها.

* * *

س - وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾؟

ج: المعنىٰ، والله أعلم، واطلبوا المغفرة من ذنوبكم يغفرها لكم ربكم؛ فهو واسع المغفرة والرحمة.

قال السعدي رحمه الله:

﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ وفي الأمر بالاستغفار، بعد الحث علىٰ أفعال الطاعة، والخير، فائدة كبيرة. وذلك أن العبد لا يخلو من التقصير فيما أمر به، إما أن لا يفعله أصلاً، أو يفعله علىٰ وجه ناقص، فأمر بترقيع ذلك بالاستغفار، فإن العبد يذنب آناء الليل والنهار، فمتىٰ لم يتغمده الله برحمته ومغفرته، فإنه هالك.

تمت سورة المزمل ولله الحمد

* * *

سورة المدثر

مقدمة لهذه السورة المباركة

هذه السورة الكريمة سورة المدثر من أوائل ما نزل على رسول الله ﷺ، وقد حملت هذه السورة آدابًا يتأدب بها الدعاة إلى الله، ويحملونها أثناء دعوتهم إلى الله عز وجل، فضلاً عن الترغيب في الدعوة إلى الله، والحث على ذلك، والحث على تعظيم الله وتمجيده، وخشيته وحده لا شريك له، وتهديد المعاندين للدعاة إلى الله أشد التهديد، وبيان كيف وأن الآيات والأخبار التي يخبر الله عزّ وجل بها يفتن بها أقوام ويهتدي بها آخرون، ثم بيان عظيم شأن النار، ومن هم أهلها، ووصف المعرضين عن التذكرة بشرِ وصفٍ، وبيان تعنت الكافرين وتشددهم، وبعض مطالبهم كي يؤمنوا بالله عزَّ وجل، ثم بيان الحامل لهم على كفرهم، ثم الختام بخير ختام ألا وهو: الحث على التقوى والتماس العفو والمغفرة من الله عز وجل.

هذا على وجه الإجمال، أما بشيء من التفصيل: فيأمر الله نبيه محمداً ﷺ في ثاني سورة من سور الكتاب العزيز نزلت بعد سورة العلق، يأمره الله عز وجل بالقيام بجدٍ واجتهادٍ وعزم وإصرار للدعوة إلى الله عز وجل والإنذار، إنذار من هم في تيهٍ وجهلٍ وضلال. إنذار من هم في طريقهم إلى الجحيم، وليصاحبه في هذا الإنذار تكبير الله عزَّ وجل وتمجيده والخشية منه وحده لا شريك له، ذلك مع تطهير الثياب، ذلك التطهير المتضمن تطهيرها من مظالم العباد، فلا تدع إلى الله وأنت ملوثٌ بمظالم العباد، لا ترفع الأيدي إلا وهي طاهرة من المظالم، لا تغدر لا تغش، لا تخادع، ذلكم التطهير المتضمن تطهيرها من النجاسات والأوساخ.

ثم حث على هجران الأصنام والأوثان، وكل ما يجلب العذاب ويتسبب فيه، مع عدم المنّ والابتعاد عنه أشد الابتعاد؛ فلا تمن - وأنت داع إلى الله - على الناس بعطاياك، ولا تمن عليهم بعلمك ولا بذكائك فالفضل من الله عزَّ وجل، وكذلك لا تهدي هدية ولا تعطي عطية ترجو من ورائها ثوابًا أعظم منها، فليس هذا من مكارم الأخلاق، وكذلك لا تعدد أعمال البر التي تقوم بها على الله عز وجل، وكذا فاصبر على أذى قومك وما يلحقك من أذى منهم.

ثم حملت السورة الكريمة تذكيراً باليوم الآخر، فإن التذكير باليوم الآخر يحمل على العمل الصالح، فإذا أيقن الشخص أن أمامه يومًا يُجازى فيه المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته؛ عمل لهذا اليوم وجدَّ واجتهد وصدَّق وآمن.

ثم بعد أن أمر الله نبيه بالدعوة إلى سبيله وذكَّر وأمر بالآداب التي يتأدب بها الداعي إلى الله حذَّر أشد التحذير، وتوعد أشدَّ الوعيد هذا المستكبر المتعالي الذي حمله ماله وجاهه وثراؤه وبنوه على التكذيب والعناد والجحود والكفران.

ثم بيَّن الله عز وجل شيئًا من أمر النار وأمر خزنتها وموقف أهل الإيمان وغيرهم منها، ثم بيَّن سبحانه أن كل نفسٍ مرتهنة بعملها إن كان خيراً فخير، وإن كان شراً فشرٌ.

ثم كيف وأن أهل الجنة يرون أهل النار ويخاطبونهم وينادونهم ويسألونهم: ماسلككم في سقر؟ فيجيبونهم بالذي تسبب لهم في سلوك سقر؛ حتى يحذر مُحاذِر، ويتقي مُتقي، ثم وصف المعرضين بشرٍ وصف فالكافر المعرض عن الدعوة إلى الله شبِّه بالحمار الفار من القناصين، وكيف

وأن أهل الكفر يريدون أن يكونوا أنبياء تنزل عليهم صحف!! يريدون أن تأيتهم صحفٌ من رب العالمين بأسمائهم وأسماء آبائهم تحضهم على الإيمان والإسلام، كل ذلك منهم على سبيل التعنت والعناد وإلا فقد قال تعالى: ﴿**وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ**﴾ [الأنعام: ٧].

فمهما سألوا من شيءٍ وآتاهم الله إياه ما آمنوا ولا استقاموا، فقد قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ (٩٦) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ**﴾ [يونس: ٩٦-٩٧] فالحامل لهم على التكذيب عدم إيمانهم بالآخرة.

ثم بيان مهمة الرسول ﷺ، وأمر هذا القرآن الكريم وأنه للتذكرة، فمن شاء أن يتذكر تذكر، ومن أراد أن يعتبر اعتبر، لكن دومًا الموفق من وفقه الله، والمهتدي من هداه الله.

ثم ترغيب في ختام طيب وجميل، ترغيب في التقوى وحضُ عليها ثم التماس المغفرة من الله عزَّ وجل ذلكم الرب الرحيم الغفور نسأله سبحانه أن يجعلنا من المتقين، وأن يفيض علينا من بركاته، وأن يمن علينا بستره وعفوه وجميل إحسانه، فإلى هذه السورة المباركة نطرح عليها الأسئلة ونتبعها بالإجابة.

وما كان فيها من صواب فمن الله عز وجل، وما كان فيها من خطأ فمن أنفسنا ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان من الخطأ، وصل اللهم على نبينا محمد وسلم.

* * *

سورة المدثر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾
وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا
نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ
يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا
﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ
﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ
وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾
ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ
يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ
مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ

س ـ اذكر معنى ما يلي:

المدثر ـ فأنذر ـ وربك فكبر ـ وثيابك فطهر ـ الرجز ـ اهجر ـ لا تمنن تستكثر ـ ولربك فاصبر ـ نقر ـ الناقور ـ عسير ـ غير يسير ـ ذرني ـ خلقتُ وحيدًا ـ ممدودًا ـ شهودًا ـ مهدت له تمهيدًا ـ كلا ـ عنيدًا ـ سأرهقه صعودًا ـ فكَّر ـ قدَّر ـ قُتل ـ نظر ـ عبس ـ بسر ـ أدبر واستكبر ـ يؤثر ـ إن هذا إلا قول البشر ـ سأصليه سقر ـ لا تبقي ولا تذر ـ لواحة للبشر ـ عليها تسعة عشر.

ج:

الكلمة	معناها
المدثر	النائم في ثيابه المتلفف فيها ـ المتلفف في ثياب النوم تغطى بها ونام.
قم فأنذر	قم من مضجعك وخوِّف الناس وحذرهم. قم قيام عزمٍ وتصميم ـ شمر عن ساعد الجد وأنذر الناس.
وربك فكبر	عظم ربك بعبادته وباللجوء إليه وحده لا شريك له وخشيته وحده لا شريك له ـ اعتقد أنه أكبر من أن يكون له شريك ـ لا تعبد سواه.
وثيابك فطهر	لا تلبسها على معصية ولا على غدرةٍ. طهر الثياب من النجاسات.
الرجز	الأصنام[1] ـ الإثم والمعصية[2].

(١) ومنه قوله تعالى: ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾.

(٢) والرجز يطلق على العذاب، ومنه: «الطاعون رجز عذب به الأمم قبلكم»، ومنه: ﴿لئن =

الكلمـــة	معنـاهـــا
اهجر	اترك وابتعد .
ولا تمنن	لا تعطي عطية تطلب أكثرمنها ـ لا تمن على العباد بنبوتك
تستكثر	وتطلب منهم المال لتستكثر به ـ لا تستكثر عملك الصالح
	على ربك .
ولربك	اصبر على ما كلفك الله به ابتغاء وجه الله وثوابه .
فاصبر	اصبر على ما تلقى من المكروه والأذى انتظاراً لثواب الله .
	اصبر على عطيتك التي تعطيها للناس، واطلب ثوابها من
	الله .
	نُفخ .
نُقر	الصور .
الناقور	شاق ـ شديد .
عسير	غير سهل ولا لين .
غير يسير	دعني .
ذرني	خلقته وحدي لم يشاركني في خلقه أحد .
خلقت	خلقته وحيداً لا مال له ولا ولد، ولا يُعرف من أبوه .
وحيدًا	واسعًا كثيراً .
ممدودًا	حضوراً[1] ـ لا يسافرن ـ لا يغيبون .
شهودًا	يشهدون معه المحافل والاجتماعات والمناسبات .

= كشفت عنا الرجز﴾. والإثم، والمعصية تؤديان إلى العذاب .

(١) ووجه الامتنان بذلك أن الذي يسافر للعمل هو المحتاج إلى المال، أما إذا كان المال بحوذته فلا حاجة له إلى الأسفار، فمثلاً إذا كان المسافر سيسافر ويتقاضى في الشهر خمسة آلاف، ولكنه ببلده تأتيه خمسون ألفًا في الشهر، فلماذا إذن السفر؟!

الكلمـــــة	معنـــاهـــــــا
مهدت له تمهيدًا	بسطت له من الجاه والعيش والرياسة والمال بسطًا كبيراً، ووسعت عليه توسعة عظيمة ومكنته من صنوف المال والأثاث.
كلا	حقًا - (وكلا كلمة نفي مصحوب بالزجر) أي لن أزيده (هذا الأثيم المعاند).
عنيدًا	معاندًا للحق مجانبًا للصواب. والعناد أيضًا: الكفر بنعمة الله بعد العلم.
سأرهقه صعودًا	سأكلفه مشقةً من العذاب لا راحة له منها. وقال البعض: إن الصعود جبل في النار يُكلَّف صعوده[1].
قدَّر	قدَّر الأقوال التي سيقولها في القرآن. تروَّىٰ.
قُتل	لُعن - قُهر - غُلب.
نظر	تأمَّل - تروَّىٰ.
عبس	قبض ما بين عينيه.
بسر	كلح وجهه وتغيَّر لونه[2].

---

(١) لكن الخبر الوارد في ذلك ضعيف، فهو عند الطبري (٣٥٤١٣)، وغيره من طريق دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، عن رسول اللَّه ﷺ قال: «الصَّعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفًا ثم يهوي كذلك منه أبدًا» وفي سنده ضعف.

(٢) ومن ذلك قول الشاعر:

وقد رابني منها صدودٌ رأيته ... وإعراضها عن حاجتي وبُسُورها

الكلمـــــة	معنـــاهـــــــا
أدبر	أعرض عن الحق .
استكبر	رفض الانقياد للقرآن وتعاظم عن قبول الحق .
يُؤثر	يُنقل عن الآخرين (ممن كانوا قبله) .
إن هذا إلا قول البشر	ما هذا قول الله إن هو إلا قول المخلوقين .
سأصليه	سأدخله كي يصلي بحرِّها .
سقر	جهنم ـ دركة من دركات النار .
لا تبقي ولا تذر	لا تبقي من كان فيها حيًا بل تأكل لحمه وعظامه وجلده ودمه، ولا تتركه ميتًا، بل كلما نضجت جلودهم بدلهم الله جلودًا غيرها . وقال بعض العلماء : إن قوله لا تبقي في معنىٰ قوله ولا تذر، ولكن ذلك للتأكيد .
لواحةٌ للبشر	تلفح الجلد فتدعه أسود كالليل البهيم (فالبشر هو الجلد) . أجسادهم تلوَّح عليها . حرَّاقةٌ للبشر ـ غيرَّ جلودهم فاسودت . لفاحةٌ للجلد . وقيل : تلوح لهم النار فيرونها عن بُعد، من قولهم : لاح كذا أي ظهر .
عليها تسعة عشر	خزنتها القائمون عليها عددهم تسعة عشر خازنًا .

س ـ هل صح لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ سبب نزول؟

ج: نعم، صح في ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من طريق ابن شهاب قال: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن: أن جابر بن عبد الله الأنصاري (وكان من أصحاب رسول الله ﷺ) كان يحدث. قال: قال رسول الله ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي[2] (قال في حديثه): **«فبينا أنا أمشي سمعت صوتًا من السماء، فرفعت رأسي، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالسًا على كرسي بين السماء والأرض»** قال رسول الله ﷺ: **«فجثثت[3] منه فرقًا. فرجعت فقلت: زملوني زملوني. فدثروني، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾** [المدثر: ١-٥] **وهي الأوثان قال: ثم تتابع الوحي.**

* * *

س ـ يقال: إن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ أول ما نزل من القرآن، فما مدى صحة ذلك ومن القائلون به؟

ج: ذهب إلى ذلك أبو سلمة بن عبد الرحمن، ونقله عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

فأخرج البخاري ومسلم[4] من طريق يحيى بن أبي كثير قال: سألت أبا سلمة: أي القرآن أنزل قبل؟ قال: يا أيها المدثر: فقلت: أو اقرأ. فقال:

(١) البخاري (حديث ٤٩٢٥)، ومسلم (حديث ١٦١).

(٢) فترة الوحي أي: فتوره أي: تأخره واحتباسه وعدم نزوله.

(٣) جثثت أي: فزعت ورعبت.

(١) البخاري (حديث ٤٩٢٢)، ومسلم (حديث ١٦١ ص١٤٤).

سألت جابر بن عبد الله : أي القرآن أنزل قبل؟ قال: يا أيها المدثر. فقلت: أو اقرأ؟ قال جابرٌ: أحدثكم ما حدثنا رسول الله ﷺ. قال: «**جاورت بحراء شهرًا، فلما قضيت جواري[1] نزلت فاستبطنت بطن الوادي[2] فنوديتٌ، فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي، فلم أر أحدًا، ثم نوديتُ، فنظرت فلم أر أحدًا، ثم نوديت فرفعت رأسي، فإذا هو على العرش[3] في الهواء (يعني جبريل عليه السلام) فأخذتني رجفةٌ شديدةٌ، فأتيت خديجة فقلت: دثروني فدثروني. فصبوا علي ماء. فأنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ① قُمْ فَأَنذِرْ ② وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ③ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾** [المدثر: ١-٤].

بينما ذهب جمهور العلماء إلىٰ أن أول ما نزل من القرآن **﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم﴾**.

وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم[4] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرىٰ رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراءٍ فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلىٰ أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلىٰ خديجة فيتزود لمثلها، حتىٰ جاءه الحق وهو في غار حراءٍ، فجاءه الملك فقال: اقرأ. قال: «**ما أنا بقارئ**». قال: «**فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا**

---

(١) جواري أي: مجاورتي واعتكافي.

(٢) استبطنت الوادي: صرت في باطنه.

(٣) المراد بالعرش هنا الكرسي (الكرسي بين السماء والأرض كما تقدم).

(٤) البخاري (حديث ٣) ومسلم (حديث ١٦٠).

بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم﴾ فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: «**زملوني زملوني**» فزملوه حتى ذهب عنه الروع . . . . الحديث.

ووجه الجمع بين ما ذُكر عن أبي سلمة وجابر رضي الله عنه أن يُقال: إن سورة المدثر أول سورة نزلت بعد فترة الوحي.

أي أن القدر المذكور من سورة العلق نزل أولاً، ثم حصل فتور في الوحي، فمكث الوحي فترة لا ينزل، ثم نزلت سورة المدثر. وبهذا قال الحافظ ابن كثير، والحافظ ابن حجر - رحمهما الله تعالى.

❊ ❊ ❊

س - ما صحة الوارد من أن النبي ﷺ لما فتر الوحي حزن حزنًا شديداً فجعل يعدو إلى شواهق رؤوس الجبال ليتردى منها؟

ج: هذا ضعيف، فقد روي مرسلاً عند الطبري[1] من طريق الزهري قال: فتر الوحي عن رسول الله ﷺ فترة، فحزن حزنًا، فجعل يعدو إلى شواهق رؤوس الجبال ليتردى منها، فكلما أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل عليه السلام فيقول: إنك نبي الله، فيسكن جأشه، وتسكن نفسه، فكان النبي ﷺ يحدث عن ذلك، قال: بينما أنا أمشي يومًا إذا رأيت الملك الذي كان يأتيني بحراء على كرسي بين السماء والأرض، فجثثت منه رعبًا، فرجعت إلى خديجة فقلت: زملوني، فزمّلناه، أي فدثرناه فأنزل الله: ﴿يا

---

(١) الطبري (٣٥٣١٠) وهو مرسل.

أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ① قُمْ فَأَنذِرْ ② وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ③ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ قال الزهري: فكان أول شيء أنزل عليه: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ [العلق: ١]. . . حتىٰ بلغ ﴿ما لم يعلم﴾ [العلق: ٥].

وهذا الحديث أصله عند البخاري[1] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فذكر الحديث. . . وفي بعض طرقه: وفتر الوحي فترة حتىٰ حزن النبي ﷺ «فيما بلغنا حُزنًا غدا منه مرارًا كي يتردىٰ من رؤوس شواهق الجبال. فكلما أوفىٰ بذروة جبل لكي يلقىٰ منه نفسه تبدىٰ له جبريل، فقال: يا محمد، إنك رسول الله حقًا فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفىٰ بذروة جبل تبدىٰ له جبريل فقال له مثل ذلك».

* * *

س ـ في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ منقبةٌ لنبينا محمد ﷺ وضحها.

ج: إيضاحها أن الله عز وجل ما نادىٰ نبيه ﷺ بقوله: يا محمد، كما نادىٰ غيره من الأنبياء، فقد نادىٰ نوحًا عليه السلام فقال: ﴿يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ﴾ [هود: ٤٨].

ونادىٰ إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ ١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾.

[الصافات: ١٠٤، ١٠٥]

ونادىٰ موسىٰ بقوله: ﴿يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي

(١) البخاري (حديث ٦٩٨٢) وهذا القدر المشار إليه مرسل (من قوله فيما بلغنا. . .).

وَبِكَلامِي ﴾ [الأعراف: ١٤٤].

ونادىٰ عيسىٰ بقوله: ﴿ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ ﴾ [المائدة: ١١٠]

ولكنه سبحانه لم ينادِ نبيه محمداً ﷺ في آية من القرآن باسمه يا محمد، بل ناداه ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ و ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ و ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ ﴾ و ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالىٰ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ملاطفة في الخطاب من الكريم إلىٰ الحبيب إذ ناداه بحاله، وعبّر عنه بصفته، ولم يقل: يا محمد ويا فلان، ليستشعر اللين والملاطفة من ربه كما تقدم في سورة «المزمل». ومثله قول النبي ﷺ لعليّ إذ نام في المسجد: «قم أبا تراب» وكان خرج مغاضباً لفاطمة رضي الله عنها فسقط رداؤه وأصابه تراب؛ خرجه مسلم. ومثله قوله عليه الصلاة والسلام لحذيفة ليلة الخندق: «قم يا نومان».

* * *

س ـ قوله تعالى ﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ أنذر من؟ وأنذرهم بماذا؟

ج: أنذر الكفار والعصاة والمجرمين، وحذرهم النار وعقاب الله عز وجل.

وابدأ في الإنذار بقومك كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾.

[الشعراء: ٢١٤]

* * *

س ـ اذكر آية في معنى قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾.

ج: في معناها قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ [الأنفال: ١١].

* * *

س ـ اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾.

ج: لأهل العلمً في ذلك جملة أقوال:

أولها: لا تلبسها على معصية ولا على غدرة ولا ذنوب ولا آثام، والعرب تقول للنقي من الذنوب والآثام: طاهر الثياب وفي هذا يقول شاعرهم:

وإني بحمد الله لا ثوب فاجرٍ لبستُ
ولا من غَدرة أتقنعُ

وأنشدوا في ذلك أيضًا:

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه
فكل رداء يرتديه جميل

فعليه فهذا الوجه الأول حاصله: كن طاهرًا من المعاصي والذنوب والآثام والغدر، فلا تدع وأنت غادرٌ مذنب عاص ملوث بالآثام.

الثاني: اغسل ثيابك وطهرها من النجاسات، فقد كان المشركون لا يتطهرون من النجاسات.

الثالث: لا تلبسها من كسب خبيث.

الرابع: أصلح عملك.

الخامس: أصلح قلبك ونيتك.

وثمَّ أقوال أُخر، وأشهر الأقوال القول الأول والثاني، والذي عليه أكثر السلف هو القول الأول، نقله عنهم الطبري ولكنه استظهر القول الثاني.

أما الحافظ ابن كثير رحمه الله فقد قال:

وقد تشمل الآية جميع ذلك مع طهارة القلب، فإن العرب تطلق الثياب عليه، كما قال امرؤ القيس:

أفاطم مهلاً بعض هذا التدللِ
وإنْ كُنْت قَد أَزْمَعْت هجري فَأَجْملي
وإنْ تَكُ قَدْ سَاءَتْك منِّي خَليقَةٌ
فسُلِّي ثِيَابي منْ ثيَابِك تَنْسَلِ

وقال سعيد بن جبير: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾: وقلبك ونيتك فطهر. وقال محمد بن كعب القرظي، والحسن البصري: وخُلقك فَحسّن.

* * *

س ـ هل قوله تعالى: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ يُفيد أن النبي ﷺ كان لا يهجر الرجز؟

ج: لا يفيد ذلك.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالىٰ بعد أن أورد الوجهين في تفسير الرجز (وهما الأصنام، والمعصية): وعلىٰ كل تقدير فلا يلزم تلبسُهُ بشيءٍ من ذلك كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [الأحزاب: ١].

وكقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ

سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

***

س ـ اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله: ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴾.

ج: قدمنا بعض أقوال العلماء في ذلك، فمنها: لا تعطي عطية تريد بها أكثر منها، وهذا هو الربا المذكور في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ** ﴾ [الروم: ٣٩].

ومن مجيء المن بمعنى العطية قوله تعالى: ﴿ **فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ [ص: ٣٩].

ومن الأقوال أيضًا: لا تمن على العباد بنبوتك تطلب منهم مالاً وأجرًا على هدايتهم؛ فتستكثر بهذا المال.

وقول ثالث: لا تمنن بعملك الصالح على ربك، وتقول: فعلت وفعلت، وصبرت وأوذيت ونحو ذلك من أثقال النبوة، وأعباء الدعوة إلى الله، فنعم الله عليك أوسع وأعظم مما تتحمله وتلاقيه وتعاني منه.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ لأسماء: «**تصدقي ولا تحصي فيحصى عليك**».

وقريب من هذا المعنى: لا يكثر عملك في عينيك.

القول الرابع: لا تضعف ولاتتوان عن العمل، بل جِد واجتهد وواصل العمل والدعوة والعطاء. ومن المن بمعنى الضعف قولهم: حبلٌ منين أي ضعيف.

القول الخامس: لا تُعدد مآثرك ونعمك على من تفضلّت عليه بعطاء.

هذا، وقوله تعالى: ﴿ **ولا تمنن تستكثر** ﴾، قال بعض العلماء معناه: ولا

تمنن أن تستكثر، أي ولا تمنن طالبًا أن تستكثر، وأوردوا في ذلك بيت الشعر:

ألا أيهذا الزاجـري أحضُـرَ الوغى

وأن أشهد اللذات هل أنت مُخلدي

فالمعنىٰ: ألا أيها الزاجري أن أحضر الوغىٰ بدليل عطف و«أن أشهد» منصوبًا علىٰ الفعل» أحضر» وهو منصوب بأن المضمرة، وهو بعيد، فالفعل «تستكثر» مرفوع، ولم ترد قراءة فيه بالنصب. والله أعلم.

❊ ❊ ❊

س ـ ما صحة أثر ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾؟

ج: أما الأثر فهو ما أخرجه الطبري[1] وغيره من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، في قوله تعالىٰ: ﴿**فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ**﴾ قال رسول الله ﷺ: «**كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته يستسمع متى يؤمر ينفخ فيه؟**» فقال أصحاب رسول الله ﷺ: كيف نقول؟ فقال: تقولون: «**حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا**».

قلت: وعطيه العوفي ضعيف.

❊ ❊ ❊

س ـ قوله تعالى: ﴿غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ **ألم يكن بكاف عنه** ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾؟

ج: ذلك ـ والله أعلم ـ لتأكيد عسره علىٰ الكافرين، وأيضًا لبيان أن عسره زائل عن المؤمنين إن شاء الله.

❊ ❊ ❊

(١) الطبري (٣٥٣٧٤).

س ـ هل يلحق أهل الإيمان كربٌ وخوف يوم القيامة؟

ج: ذهب بعض العلماء إلىٰ أن أهل الإيمان لا يلحقهم خوف ولا كربٌ يوم القيامة، لقوله تعالىٰ ﴿**فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [الأحقاف: ١٣].

ولقوله تعالىٰ: ﴿**لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ**﴾ [الأنبياء: ١٠٣]. ونحو ذلك من الآيات.

بينما ذهب آخرون من أهل العلم إلىٰ أن الكرب يعتري الجميع ثم يزول عن أهل الإيمان ويرزقهم الله الأمن والأمان وذلك لقوله تعالىٰ: ﴿**يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ**﴾ [عبس: ٣٤-٣٧].

ولقول آدم عليه السلام: «**إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله**».

* * *

س ـ اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾.

ج: أما قوله: ﴿**ذَرْنِي**﴾ فمعناها: دعني، وهي كلمة تحمل معنىٰ التهديد الأكيد والوعيد الشديد، كقوله تعالىٰ: ﴿**وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً**﴾ وكقوله: ﴿**فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ**﴾ [القلم: ٤٤].

فالمعنىٰ: دعني مع هؤلاء، وكِلْ أمر هؤلاء إليَّ؛ فأنا أكفيكهم وأنتقم منهم أشد الانتقام.

ونحوه: «ذرني ومن خلقت وحيداً» أي: دعني مع هذا وكِلْ أمره إليَّ فأنا أكفيكه وأنتصر لك منه وأنتقم منه.

س ـ اذكر بعض الوارد في أسباب نزول قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً﴾؟ مع بيان درجته من الصحة؟

ج: من ذلك ما أخرجه الطبري[١] من طريق عكرمة: أن الوليد بن المغيرة جاء إلىٰ النبي ﷺ، فقرأ عليه القرآن، فكأنه رقّ له، فبلغ ذلك أبا جهل، فقال: أي عمّ، إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً. قال: لم؟ قال: يعطونكه؛ فإنك أتيت محمداً تتعرض لما قِبَله. قال: قد علمت قريش أني أكثرها مالاً. قال: فقل فيه قولاً يعلم قومك أنَّكَ مُنكر لما قال، وأنك كاره له. قال: فما أقول فيه؟ فوالله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه مني، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجنّ، والله ما يشبه الذي يقول شيئًا من هذا، ووالله إن لقوله لحلاوة، وإنه ليحطم ما تحته، وإنه ليعلو ولا يعلىٰ. قال: والله لا يرضىٰ قومك حتىٰ تقول فيه. قال: فدعني حتىٰ أفكر فيه، فلما فكر قال: هذا سحر يأثره عن غيره، فنزلت ﴿**ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً**﴾ قال قتادة، خرج من بطن أمه وحيداً، فنزلت هذه الآية حتىٰ بلغ ﴿**تِسْعَةَ عَشَرَ**﴾.

قلت: (وهذا ضعيف مرسل).

وثمَّ ما هو أضعف منه في الإسناد عند الطبري عن ابن عباس، قوله: ﴿**إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ**﴾ . . . إلىٰ ﴿**ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ**﴾ قال: دخل الوليد بن المغيرة علىٰ أبي بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه يسأله عن القرآن، فلما أخبره خرج علىٰ قريش، فقال: يا عجبًا لما يقول ابن أبي كبشة، فوالله ما هو بشعر، ولا بسحر، ولا بهذي من الجنون، وإن قوله لمن كلام الله. فلما

---

(١) الطبري (٤٥٣١٩).

سمع بذلك النفر من قريش ائتمروا وقالوا: والله لئن صبأ الوليد لتصبأن قريش، فلما سمع بذلك أبو جهل قال: أنا والله أكفيكم شأنه، فانطلق حتىٰ دخل عليه بيته، فقال للوليد: ألم تر قومك قد جمعوا لك الصدقة؟ قال: ألست أكثرهم مالاً وولدًا؟ فقال له أبو جهل: يتحدثون أنك إنما تدخل علىٰ ابن أبي قحافة لتصيب من طعامه، قال الوليد: أقد تحدثت به عشيرتي؟ فلا يقصر عن سائر بني قصيّ، لا أقرب أبا بكر ولا عمر ولا ابن أبي كبشة، وما قوله إلا سحر يؤثر، فأنزل الله علىٰ نبيه ﷺ: ﴿ **ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً** ﴾ . . . إلىٰ ﴿ **لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ** ﴾ .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى ﴿ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴾ .

ج: هذا محتملٌ لأمرين:

أحدهما: يطمع أن أزيده في الدنيا زيادة علىٰ ما هو فيه من المال والبنين.

الثاني: يطمع أن أزيده في الآخرة، فمع كونه لا يقر بالآخرة، إلا أنه يقول: وعلىٰ فرض أن هناك آخرة، فالذي أكرمني في الدنيا سيكرمني في الآخرة، يقول ذلك مع كفره وعتوه وظلمه وهذا كقول نظيره صاحب الجنتين: ﴿ **وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنقَلَباً** ﴾ [الكهف: ٣٤].

وكقول الله عز وجل في العاص بن وائل السهمي: ﴿ **أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً** ﴾ [مريم: ٧٧].

وقيل: ثم يطمع أن أزيد أي: أُبقي له ذلك الثراء والجاه والمال في ذريته وعقبه.

* * *

س ـ ما معنى ﴿ثُمَّ﴾ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾؟

ج: قال بعض العلماء: معناها التعجب، كقولك لرجل: أدخلتك داري وأكرمتك وأطعمتك وكسوتك ثم أنت تشتمني؟!

قال بعض العلماء: ونحوه قول الله تبارك وتعالى: ﴿الْحَمْدُ للَّه الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾.

[الأنعام: ١]

* * *

س ـ لماذا قيل: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾؟

ج: ذلك ـ والله أعلم ـ لتعظيم شأنها وتهويل أمرها، وبيان فظاعتها وشدتها.

* * *

﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةًۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًاۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ

س ـ اذكر معنى ما يلي:

أصحاب النار ـ عدتهم ـ فتنة ـ ليستيقن ـ الذين أوتوا الكتاب ـ ولا يرتاب ـ مرض ـ أدبر ـ أسفر ـ إحدى الكبر.

ج:

الكلمة	معناها
أصحاب النار	المراد بهم هنا خزنة النار.
عدتهم	عددهم.
فتنة	بلاء.
ليستيقن	ليوقن ـ ليتيقن ـ ليتأكد.
الذين أوتوا الكتاب	اليهود والنصارىٰ.
ولا يرتاب	ولا يشك.
مرض	شك ونفاق.
أدبر	ولّيَ ـ ذهب وقيل: أظلم.
أسفر	أضاء.
إحدى الكبر	إحدىٰ الأمور العظيمة.

س ـ وضح وجه قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً﴾.

ج: وجه ذلك للرد على المشركين الزاعمين أنهم يستطيعون مغالبة خزنة النار، فكجواب عليهم قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً﴾ أي ليسوا بشراً تستطيعون مغالبتهم. وثمَّ وجوه أُخر.

قال القرطبي رحمه الله:

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً﴾أي لم نجعلهم رجالاً فتتعاطون مغالبتهم. وقيل: جعلهم ملائكة لأنهم خلاف جنس المعذبين من الجنّ والإنس، فلا يأخذهم ما يأخذ المجانس من الرأفة والرقّة ولا يستروحون إليهم؛ ولأنهم أقوم خلق الله بحق الله وبالغضب له، فتؤمن هوادتهم؛ ولأنهم أشدّ خلق الله بأساً وأقواهم بطشاً.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ﴾، أي: خُزَّانها ﴿إِلاَّ مَلائِكَةً﴾ أي: غلاظًا شداداً. وذلك ردٌّ على مشركي قريش حين ذكر عدد الخزنة، فقال أبو جهل: يا معشر قريش، أما يستطيع كل عشرة منكم لواحد منهم فتغلبوهم؟ فقال الله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً﴾ أي: شديدي الخَلْق لا يقاومون ولا يغالبون.

* * *

س ـ ما وجه افتتان الكفار بعدد الملائكة؟

ج: وجه ذلك ـ والله أعلم ـ كما نُقل عن بعض الكفار أنهم لما سمعوا أن عدد الملائكة (الخزنة) تسعة عشر قالوا: نحن قادرون على قتلهم واحتلال الجنة بالقوة، أو إخماد النار فافتتنوا بذلك، وازدادوا تكذيبًا وسخرية ممن ذكرهم بالله وبجنته وبناره.

س ـ ما وجه استيقان الذين أوتو الكتاب؟

ج: وجه ذلك: أن أهل الكتاب إذا سمعوا قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ وافق ذلك ما هو ثابت عندهم في التوراة والإنجيل من عدد خزنة النار، فحينئذ يتيقنون من صدق رسول الله ﷺ إذ هو نبيٌّ أميٌّ لا يقرأ ولا يكتب ومع ذلك يخبرهم بعدد الملائكة.

* * *

س ـ ما وجه ازدياد الذين آمنوا إيمانًا؟

ج: يزداد الذين آمنوا إيمانًا لكون نبيهم ﷺ أتى بما وافق الثابت في التوراة والإنجيل.

* * *

س ـ اذكر بعض الأدلة على زيادة الإيمان.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: ٣١].

وقوله تعالى: ﴿ليزدادوا إيمانًا مع إيمانهم﴾ [الفتح: ٤].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧].

وقول الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠].

والآيات في هذا الصدد كثيرة جداً، وقد أوردناها في عدة مواطن من كتابنا التسهيل.

* * *

س ـ وضح المراد بقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾.

ج: إيضاحه: أن أمر الهداية أو الإضلال موكول إلى الله سبحانه وتعالى، وهو أعلم بخلقه يضل منهم من يشاء ويهدي من يشاء، أي يصرف عن الحق والإيمان من يشاء، ويوفق للحق والإيمان من يشاء.

قال الطبري رحمه الله تعالى:

وقوله: ﴿**كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ**﴾ يقول تعالى ذكره: كما أضل الله هؤلاء المنافقين والمشركين القائلين في خبر الله عن عدّة خزنة جهنم: أي شيء أراد الله بهذا الخبر من المثل حتى يخوّفنا بذكر عدتهم، ويهتدي به المؤمنون، فازدادوا بتصديقهم إلى إيمانهم إيمانًا ﴿**كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ**﴾ فيخذله عن إصابة الحق ﴿**وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ**﴾ منهم فيوفقه لإصابة الصواب.

* * *

س ـ اذكر بعض الأدلة على كثرة الملائكة.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث مالك بن صعصعة وفيه: أن النبي ﷺ قال: بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان... فذكر الحديث وفيه فرفع لي البيت المعمور فسألت جبريل فقال: هذا البيت المعمور يُصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم.

ومن ذلك ما أخرجه الطبراني، وغيره بإسناد يصح لشواهده وفيه: أن

(١) البخاري (حديث ٣٢٠٧) ومسلم (حديث ١٦٤).

النبي ﷺ قال: «**إني لأسمع أطيط السماء وما تلام أن تئط، وما فيها موضع شبرٍ إلا وعليه ملك ساجد أو قائم**»(١) .

* * *

س ـ وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ﴾ .

ح: أي من كثرة جنود ربك وتنوعهم فلا يعلمهم إلا هو لا يعلم عددهم، ولا يعلم وصفهم، ولا يعلم أصنافهم؛ فلله جندٌ من الملائكة، وجندٌ من البشر، وجند من غير هؤلاء(٢) .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ**﴾، أي: ما يعلم عددهم وكثرتهم إلا هو تعالىٰ، لئلا يتوهم متوهم أنما هم تسعة عشر فقط، كما قد قاله طائفة من أهل الضلالة والجهالة من الفلاسفة اليونايين، ومن تابعهم من الملتين الذين سمعوا هذه الآية، فأرادوا تنزيلها على العقول العشرة والنفوس التسعة، التي اخترعوا دعواها، وعجزوا عن إقامة الدلالة علىٰ مقتضاها، فأفهموا صدر الآية وقد كفروا بآخرها، وهو قوله: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ**﴾.

* * *

س ـ وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ .

ج: المراد ـ والله أعلم ـ وما هذه الحجج والبينات والدلائل والآيات التي نسوقها إلا موعظة للبشر يتعظون بها ويعتبرون .

---

(١) الطبراني (المعجم الكبير ٣/ ٢٠١) وله شواهد عند أحمد (٥/ ١٧٣) وغيره.

(٢) كالريح الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، والطير الأبابيل، . . . وغير ذلك.

وقال آخرون من العلماء: ﴿وَمَا هِيَ﴾ أي نار الدنيا تذكر بنار الآخرة.

وقال غيرهم: وما التذكير بعدد الملائكة إلا تذكيرٌ للبشر.

* * *

س - وضح المراد بقوله تعالى: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾.

ج: في ذلك أقوال:

يتقدم من الإيمان فيؤمن أو يتأخر فيكفر.

يتقدم في طاعة الله أو يتأخر فيعصي.

يتقدم فيما يقربه من الجنة أو يتأخر عنها. وثمَّ أقوال أُخر.

* * *

﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي
جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾
قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا
نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا
ٱلۡيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ
مُعۡرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ ﴿٥٠﴾ فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةِۭ ﴿٥١﴾ بَلۡ
يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ ﴿٥٢﴾ كَلَّاۖ بَل لَّا
يَخَافُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ
ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ
ٱلۡمَغۡفِرَةِ ﴿٥٦﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي:

رهينة ـ المجرمين ـ ما سلككم ـ سقر ـ نخوض مع الخائضين ـ يوم الدين ـ اليقين ـ قسورة ـ صحفًا ـ مُنشرة.

ج:

الكلمة	معناها
رهينة	مرهونة ـ حبيسة ـ مأخوذة بعملها ـ مسجونة بفعلها .
المجرمين	الكفار ، ويطلق الإجرام أيضًا علىٰ من عمل عملاً استوجب بسببه النار ولم يغفر له .
ما سلككم	ما أدخلكم .
سقر	دركة من دركات النار ـ اسم من أسماء جهنم .
نخوض مع الخائضين	نخالط أهل الباطل ونشاركهم في باطلهم وفي شركهم ، كلما غوىٰ غاوٍ غوينا معه .
يوم الدين	يوم الجزاء والحساب ـ يوم القيامة .
اليقين	الموت .
قسورة	الرماةُ والقنّاصون ـ الأسد . أصوات الرجال ـ النبال .
صحفًا	كتبًا .
مُنشرة	مفتوحة .

س ـ هل الكفار مخاطبون بفروع الشريعة؟

ج: ذهب إلىٰ ذلك فريق من أهل العلم، وإن كانت المسألة محل خلاف، أما الذين ذهبوا إلىٰ أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة فمن أدلتهم قوله تعالىٰ: ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ [المدثر: ٤٣-٤٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الحاقة: ٣٣، ٣٤]. وقوله تعالىٰ: ﴿فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّىٰ (٣١) وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [القيامة: ٣١-٣٢].

أما الذين قالوا: إن الكفار ليسوا بمخاطبين بفروع الشريعة، فمن حججهم: أن الشرك يحبط جميع الأعمال، كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣] وكما قال سبحانه: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

* * *

س ـ هل يرى أهل الجنة أهل النار يوم القيامة؟

ج: نعم يرونهم في بعض الأحيان إذا أراد الله ذلك دلَّ علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ فبينما هم يتساءلون ويسأل بعضهم بعضًا إذ يطلعهم الله عليهم فيقولون لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾.

ونحوه في قوله تعالىٰ في سورة الصافات: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٥٠) قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١) يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (٥٢) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ (٥٣) قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ (٥٤) فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٥٥) قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾ [الصافات: ٥٠-٥٦].

مبحثٌ مختصرٌ في حكم تارك الصلاة

س ـ اذكر بعض الأدلة التي استدل بها القائلون بتكفير تارك الصلاة وأدلة القائلين بعدم تكفيره، وكيف وجَّه القائلون بعدم كفر تارك الصلاة مع ذكر أدلة القائلين بكفره؟

ج: بعض أدلة القائلين بكفر تارك الصلاة:

أولاً: قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾

قال ابن القيم رحمه الله (في كتابه الصلاة وحكم تاركها):

فلا يخلو إما أن يكون كل واحد من هذه الخصال هو الذي سلكهم في سقر وجعلهم من المجرمين أو مجموعها، فإن كان كل واحد منها مستقلاً بذلك فالدلالة ظاهرة، وإن كان مجموع الأمور الأربعة فهذا إنما هو لتغليظ كفرهم وعقوبتهم، وإلا فكل واحد منها مقتضٍ للعقوبة، إذ لا يجوز أن يضم ما لا تأثير له في العقوبة إلىٰ ما هو مستقل بها.

ومن المعلوم: أن ترك الصلاة وما ذكر معه ليس شرطًا في العقوبة علىٰ التكذيب بيوم الدين، بل هو وحده كاف في العقوبة. فدل علىٰ أن كل وصف ذكر معه كذلك، إذ لا يمكن لقائل أن يقول: لا يعذب إلا من جمع هذه الأوصاف الأربعة، فإذا كان كل واحد منها موجبًا للإجرام ـ وقد جعل الله سبحانه المجرمين ضد المسلمين ـ كان تارك الصلاة من المجرمين السالكين

في سقر. وقد قال: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر: ٤٧-٤٨]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ [المطففين: ٢٩]، فجعل المجرمين ضد المؤمنين.

ثانيًا: قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ [القلم: ٤٢، ٤٣]

ثالثًا: قوله تعالىٰ: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩]

رابعًا: قوله تعالىٰ: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١١].

فالمفهوم المخالف إذا لم يتوبوا ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فليسوا بإخوانٍ لنا في الدين.

خامسًا: قوله تعالىٰ: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ﴾ إلىٰ قوله: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلاً إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾ [المرسلات: ٤٦].

سادسًا: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [السجدة: ١٥].

سابعًا: قوله تعالىٰ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤، ٥].

ثامنًا: قوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن

ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩].

تاسعًا: قول النبي ﷺ: «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»(١).

عاشرًا: قول النبي ﷺ: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر»(٢).

حادي عشر: قول النبي ﷺ: «ومن لم يحافظ عليها (أي على الصلاة) لم تكن له نورًا ولا برهانًا ولا نجاةً، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف»(٣).

ثاني عشر: قول النبي ﷺ: «بني الإسلام على خمس: شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان والحج»(٤).

ثالث عشر: قول النبي ﷺ: «من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم»(٥).

---

(١) صحيح، أخرجه مسلم (ص ٨٨) من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) حديث حسن، أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٦) والترمذي (٢٦٢١)، والنسائي (١/ ٢٣١)، وابن ماجه (حديث ١٠٧٩) من حديث بريدة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) في سنده عيسى بن هلال الصدفي، ولا أرى حديثه يرتقي للحسن، والحديث أخرجه أحمد في المسند (٢/ ١٦٩) والدرامي (٢/ ٣٠١) وغيرهما من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا.

(٤) صحيح، أخرجه البخاري (حديث رقم ٨) ومسلم (حديث ١٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٥) صحيح، أخرجه البخاري(حديث ٣٩١) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا.. وتمامه: الذي له ذمة الله وذمة رسوله فلا تُخفروا الله في ذمته.

رابع عشر: قول عبد الله بن شقيق: كان أصحاب النبي ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة[١].

أدلة القائلين بعدم كفر تارك الصلاة:

أولاً: قول الله تبارك وتعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾ [النساء: ٤٨].

ثانيًا: قول النبي ﷺ: «**خمس صلوات افترضهن من أحسن وضوءهن وصلاهن لوقتهن وأتم ركوعهن وخشوعهن كان له عند الله عهد أن يغفر له؛ ومن لم يفعل فليس له عند الله عهد، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه**»[٢] قالوا: فما دام دخل تحت المشيئة فقد خرج من دائرة الكفر.

ثالثًا: قول النبي ﷺ: «**من قال لا إله إلا الله (ابتغاء وجه الله) ختم له بها دخل الجنة**»[٣].

رابعًا: حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من شهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه، والجنة حق، والنار حقٌّ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**»[٤].

---

(١) أخرجه الترمذي (حديث ٢٦٢٢) من طريق بشر بن المفضل عن الجرير، مختلط، وهو سعد بن إياس، وهذا الأثر يحتاج مني لمزيد من التحرير.

(٢) صحيح لطرقه وشواهده، أخرجه البيهقي (السنن الكبرىٰ ٢/ ٢١٥) وله شواهد انظر الموطأ (ص١٢٣) وأحمد (٥/ ٣١٥).

(٣) حسن، أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٣٩١).

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (حديث رقم ٣٤٣٥) ومسلم حديث (٢٨).

خامسًا: حديث أنس رضي الله عنه عند البخاري ومسلم[١] وفيه أن النبي ﷺ ومعاذ بن جبلٍ رديفه على الرحل، قال: «**يا معاذ**» قال: لبيك رسول الله وسعديك. قال «**يا معاذ**» قال: لبيك رسول الله وسعديك. قال «**يا معاذ**» قال: لبيك رسول الله وسعديك قال: «**ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، إلا حرمه الله على النار**» قال: يا رسول الله أفلا أخبر بها الناس فيستبشروا؟ قال: «**إذًا يَتَّكِلُوا**» فأخبر بها معاذٌ عند موته، تأثمًا.

سادسًا: قول النبي ﷺ: «**أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه**»[٢].

سابعًا: حديث عتبان بن مالك وفيه: أن النبي ﷺ قال: «**إن الله قد حرَّم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**»[٣].

ثامنًا: حديث الشفاعة وفي بعض طرقه: وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لأخرجن من قال لا إله إلا الله»[٤].

تاسعًا: حديث البطاقة[٥] وفيه: أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعةً**

(١) البخاري (حديث ١٢٨) ومسلم (حديث ٣٢).

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٩٩).

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٤٢٥) ومسلم (حديث ٣٣) ولفظ مسلم: «لا يشهد أحدٌ أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فيدخل النار، أو تطعمه».

(٤) مسلم (حديث ١٨٤) والبخاري (حديث ٧٥١٠).

(٥) أخرجه الترمذي (٢٦٣٩) وأحمد (٢/ ٢١٣) وغيرهم بسندٍ حسن عن عبد الله بن عمرو ابن العاص مرفوعًا.

وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: أفلك عذرٌ؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: بلى إن لك عندنا حسنةً؛ فإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقةٌ فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك، فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟فقال: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفةٍ والبطاقة في كفةٍ، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء».

عاشراً: أخرج البخاري ومسلم[1] حديث الشفاعة من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا وفيه: فيقول الجبار: بقيت شفاعتي فيقبض قبضة من النار فيخرج أقوامًا قد امتحشوا فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له: ماء الحياة فينبتون في حافتيه كما تنبت الحبَّة في حميل السيل قد رأيتموها إلى جانب الصخرة وإلى جانب الشجرة فما كان إلى الشمس منها كان أخضر، وما كان منها إلى الظل كان أبيض، فيخرجون كأنهم اللؤلؤ فيجعل في رقابهم الخواتيم فيدخلون الجنة فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه، فيقال لهم: لكم ما رأيتم ومثله معه.

أما كيف وجه هذا الفريق من العلماء أدلة القائلين بكفر تارك الصلاة فكما نقله عنهم ابن القيم فقد قالوا: يجب حمل هذه الأحاديث وما شاكلها على كفر النعمة دون كفر الجحود . . .

---

(١) البخاري (حديث ٧٤٣٩) ومسلم (ص ١٧٠) حديث ١٨٣، واللفظ للبخاري.

وأورد ابن القيم لهم جملة أدلة على ذلك[1] ثم قال:

قالوا: وقد نفىٰ النبي ﷺ الإيمان عن الزاني، والسارق، وشارب الخمر، والمنتسب، ولم يوجب زوال هذا الاسم عنهم كفر الجحود والخلود في النار، فكذلك كفر تارك الصلاة ليس بكفر جحود ولا يوجب التخليد في الجحيم، وقد قال النبي ﷺ: «**لا إيمان لمن لا أمانة له**»، فنفىٰ عنه الإيمان، ولا يوجب ترك أداء الأمانة أن يكون كافراً كفراً ينقل من الملة. وقد قال ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾ [المائدة: ٤٤] ليس بالكفر الذي يذهبون إليه، وقال طاوس: سئل ابن عباس عن هذه الآية فقال: هو به كفر، وليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله. وقال أيضاً: كفر لا ينقل عن الملة، وقال سفيان عن ابن جريج عن عطاء: كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق.

* * *

(١) منها حديث: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر».

مبحثٌ في دلالة الاقتران

س ـ دلالة الاقتـران هل تفيـد التسـاوي في الأحكام أم لا؟ وضح ذلك؟

ج: الظاهر أن دلالة الاقتران لا تفيد التساوي في الأحكام، ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ** ﴾

فالتكذيب بيوم الدين كفرٌ بالاتفاق، وترك الصلاة كفرٌ على خلاف، وعدم إطعام المسكين ليس بكفر عند الجمهور ـ إلا في حالة جحود الزكوات المفروضة ـ والخوض مع الخائضين حكمه بحسب هذا الخوض وكذلك في حديث رسول الله ﷺ: «**الإسلام أن تشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً**».

هذا وأورد هاهنا شيئًا مختصراً يتعلق بدلالة الاقتران أورده الزركشي في البحر المحيط[1] عند مبحث دلالة الاقتران فقال: قال بها المزني وابن أبي هريرة والصيرفي منا، وأبو يوسف من الحنفية، ونقله الباجي عن نصّ المالكية. (قال): ورأيت ابن نصر يستعملها كثيراً. وقيل: إن مالكًا احتج في سقوط الزكاة عن الخيل بقوله تعالى: ﴿ **وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً** ﴾ [النحل: ٨] فقرن في الذكر بين الخيل والبغال والحمير، والبغال والحمير لا زكاة فيها إجماعًا، فكذلك الخيل.

---

(١) ج ٦ ص (١٠١).

وأنكرها الجمهور فيقولون: القِران في النظم لا يوجب القِران في الحكم، وصورته أن يدخل حرف الواو بين جملتين تامتين، كل منهما مبتدأ وخبر، أو فعل وفاعل، بلفظ يقتضي الوجوب في الجميع أو العموم في الجميع، ولا مُشاركة بينهما في العلة، ولم يدل دليل على التسوية بينهما، كقوله تعالى: ﴿**كُلُوا من ثَمَرِه إذَا أَثْمَرَ وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِه**﴾ [الأنعام:١٤١] وقوله: ﴿**فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وآتوهم**﴾ [النور:٣٣]، وكاستدلال المخالف في أن استعمال الماء ينجسه بقوله عليه السلام: «**لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ولا يغتسل فيه من الجنابة**» لكونه مقرونًا بالنهي عن البول فيه، والبول فيه يفسده، فكذلك الاغتسال فيه.

وهو غير مرضي عند المحققين، لاحتمال أن يكون النهي عن الاغتسال فيه لمعنى غير المعنى الذي مُنع من البول فيه لأجله. ولعل المعنى في النهي عن الاغتسال لا ترتفع جنابته، كما هو مذهب الحصري من أصحابنا.

واحتج القائلون بها بأن العطف يقتضي المشاركة، وقياسًا على الجملة الناقصة إذا عطفت على الكاملة.

وأجيب بأن الشركة إنما وجبت في الناقصة لافتقارها إلى ما تتم به، فإذا تمت بنفسها لا تجب المشاركة إلا فيما يفتقر إليه. ويدل على فساد هذا المذهب قوله تعالى: ﴿**مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ**﴾ [الفتح:٢٩] فإن هذه الجملة معطوفة على ما قبلها، ولا تجب للثانية الشركة في الرسالة. وقوله تعالى: ﴿**كُلُوا من ثَمَرِه إذَا أَثْمَرَ وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِه**﴾ والإيتاء واجب دون الأكل، والأكل يجوز في القليل والكثير، والإيتاء لا يجب إلا في خمسة أوسق؛ ولأن الأصل في كل كلام تام أن ينفرد بحكمه ولا يشاركه فيه الأولُ، فمن ادعى خلاف هذا في بعض المواضع فلدليل من

خارج لا من نفس النظم. أما إذا كان المعطوف ناقصًا، بأن لم يذكر فيه الخبر فلا خلاف في مشاركته للأول، كقولك: زينب طالق وعمرة، لأن العطف يوجب المشاركة، وأما إذا كان بينهما مشاركة في العلة فيثبت التساوي من هذه الحيثية، لا من جهة القِران، احتجاج أصحابنا أن اللمس حدث بقوله تعالىٰ: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [النساء: ٤٣] ومثله عطف المفردات، واحتجاج الشافعي علىٰ إيجاب العمرة بقوله: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]. قال البيهقي: قال الشافعي رضي اللَّه عنه: الوجوب أشبه بظاهر القرآن؛ لأنه قرنها. وقال القاضي أبو الطيب: قول ابن عباس: «إنها لقرينتها» إنما أراد بها لقرينة الحج في الأمر، وهو قوله: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ﴾ والأمر يقتضي الوجوب، فكان احتجاجه بالأمر دون الاقتران.

وقال الصيرفي في «شرح الرسالة»، في حديث أبي سعيد: «**غسل الجمعة واجب على كل محتلم، والسواك، وأن تمس الطيب**»: فيه دلالة علىٰ أن الغسل غير واجب، لأنه قرنه بالسواك والطيب وهما غير واجبين بالاتفاق. وقال غيره: احتج الشافعي علىٰ أن الصلاة الوسطىٰ الصبح من حيث قِرانها بالقنوت في قوله: ﴿وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨] ولم يحرم الأصحاب خطبة النكاح علىٰ المحرم مع أنها مقارنة للنكاح في قوله ﷺ: «**لا ينكح المحرم ولا يخطب**».

قال صاحب «الوافي»: ولأصحابنا في الأصول وجه أن ما ثبت من الحكم لشيء ثبت لقرينه، ولا يبعد أن قائله يحرِّم الخِطبة. والمذهب أنه لا يثبت الحكم للقرين إلا بأن يساويه في اللفظ أو يشاركه في العلة. وقد بيّنا مفارقة الخِطبة للعقد. وهكذا إذا قرن بينهما في اللفظ ثم ثبت لأحدهما حكم بالإجماع لم يثبت أيضًا للآخر ذلك الحكم إلا بدليل يدل علىٰ

التسوية، كاستدلال المخالف بأنه لا يجب غسل النجاسة بالماء، بل يجوز بالخل ونحوه بقوله: «**حتّيه ثم اقرصيه بالماء**» فقرن بين الحتّ والقرص والغسل بالماء، وأجمعنا على أن الحتّ والقرص لا يجبان، فكذلك الغسل بالماء.

وقال بعضهم: يقوىٰ القول به إذا وقعت حادثة لا نص فيها كان ردُّها إلىٰ ما قرن معها من الأعيان في بعض الأحوال أولىٰ من ردّها إلىٰ غير شيء أصلاً.

* * *

س ـ من المعنيون بأصحاب اليمين هنا؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحـــدها: أنهم أطفال المسلمين الذين ماتوا دون البلوغ فلم تجر عليهم الأقلام ولم تُسجل عليهم سيئات.

الثاني: أنهم الملائكة إذ هم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

الثـالث: المسلمون المخلصون الذين تابوا من ذنوبهم وغفرها الله لهم، والله أعلم.

* * *

س ـ اذكر بعض الأدلة التي تنفي الشفاعة عن الكافرين.

ج: من ذلك قوله تعالىٰ: ﴿**فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ**﴾.

وقوله تعالىٰ: ﴿**مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ**﴾.

وقوله تعالىٰ: ﴿**وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ**

س ـ وضح المراد بقوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (٤٩) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾؟

ج:المراد، والله أعلم، فما لهؤلاء الكفار الذين هم حولك يعرضون عنك كلما حاولت تذكيرهم بالقرآن وبالحق كأنهم - في إعراضهم عنك - حمير فرت ممن أراد اصطيادها.

وهذا تشبيه لإمعان الكفار في الفرار من التذكرة بإمعان الحمير في الفرار ممن أراد صيدها.

* * *

س ـ شُبه العالم الذي لا يعمل بعلمه بالحمار، وشبه المدعو الذي يفر من الدعوة إلى الله ومن التذكرة بالحمار دلّل على ذلك؟

ج:أما الدليل على الأول فقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ .

أما الدليل على الثاني فقوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (٤٩) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ .

* * *

س ـ وضح المراد بقوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾؟

ج:هذا - والله أعلم - بيان لتعنت الكافرين وشدة نفورهم عن الحق، فكل منهم يطلب لنفسه أن يكون نبيًا ينزل عليه وحيٌ، أو يطلب كتابًا من الله فيه اسمه وما أمره الله به بخصوصه.

أو يطلب أوراقًا وألواحًا نازلة من السماء على رسول الله ﷺ وصحائف فيها براءات من النار، ووعود بالجنة.

أو تأتي صحف عند باب أحدهم كل يوم مكتوب فيها الذنب الذي أذنب والجرم الذي ارتكب وهذه الآية كقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا... وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ﴾.

وقد بيَّن الله سبحانه وتعالىٰ أنه لو أنزل عليهم كتابًا كما طلبوا، ما آمنوا، ولا صدقوا، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

* * *

س ـ العقيدة الفاسدة لها تأثير على العمل بإفساده دلِّل على ذلك.

ج: كدليل عليه قوله تعالىٰ: ﴿بَل لاَّ يَخَافُونَ الآخِرَةَ﴾ فعدم خوفهم من الآخرة حملهم على أن يطلبوا الصحف المنشرة، وحملهم على الكفر بالله وتكذيب المرسلين.

ونحو ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ أي لما قالوا ـ أي اليهود ـ: ليس علينا إثم إذا ظلمنا الأميين، وهم العرب حملهم هذا المعتقد الفاسد على ظلم العرب وأكل أموالهم ونحوه قوله تعالىٰ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ إلىٰ قوله: ﴿أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

فالمعنىٰ لو ظنوا أنهم مبعوثون ليوم عظيم ما طففوا المكاييل ولا الموازين.

ونحوه أيضًا قول أهل الكتاب: ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ فهذا

الأميين، وهم العرب حملهم هذا المعتقد الفاسد على ظلم العرب وأكل أموالم ونحوه قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ إلى قوله: ﴿أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

فالمعنى لو ظنوا أنهم مبعوثون ليوم عظيم ما طففوا المكاييل ولا الموازين.

ونحوه أيضًا قول أهل الكتاب: ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ فهذا المعتقد الخاطئ حملهم على قتل الأنبياء بغير حق، وقتل الذين يأمرون بالقسط من الناس.

* * *

س ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ﴾ إشارة إلى ماذا؟

ج: ذلك، والله أعلم، إشارة إلى القرآن.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم: هو أهل لأن يتقي المتقون غضبه ويحذر المتقون عذابه، وهو أهل لأن يغفر ذنوب المذنبين وجرائم العاصين.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ يقول تعالى ذكره: الله أهل أن يتقي عباده عقابه على معصيتهم إياه، فيجتنبوا معاصيه، ويسارعوا إلى طاعته ﴿وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ يقول: هو أهل أن يغفر ذنوبهم إذا هم فعلوا ذلك، ولا يعاقبهم عليها مع توبتهم منها.

وقد أورد الحافظ ابن كثير رحمه الله حديثًا ضعيفًا عند تفسير هذه الآية فقال:

وقال الإمام أحمد(١) : حدثنا زيد بن الحباب، أخبرني سهيل أخو حزم، حدثنا ثابت البناني، عن أنس بن مالك؛ قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾، وقال: «**قال ربكم: أنا أهل أن أُتقى، فلا يجعل معي إله، فمن اتقى أن يجعل معي إلهًا كان أهلاً أن أغفر له**»ورواه الترمذي وابن ماجة من حديث زيد بن الحباب، والنسائي من حديث المعافي بن عمران، كلاهما عن سهيل بن عبد الله القُطَعي به.

وقال الترمذي: حسن غريب، وسهيل ليس بالقوي. رواه ابن أبي حاتم عن أبيه، عن هُدَبَة بن خالد، عن سُهيل به.

وهكذا رواه أبو يعلىٰ، والبزار، والبغوي، وغيرهم من حديث سُهيل القُطعي به.

* * *

(١) أحمد (٣/ ١٤٢) والترمذي (٣٣٢٥) والنسائي في الكبرىٰ (١١٦٣٠) وغيرهم، وفي سنده سهيل وليس بالقوي.

سورة القيامة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي:

لا أقسم ـ يوم القيامة ـ اللوّامة ـ نجمع عظامه ـ نسوي بنانه ـ ليفجر أمامه ـ أيان ـ برق البصر ـ خسف القمر ـ المفر ـ لا وزر ـ المستقر ـ ينبأ ـ قدَّم ـ أخَّر ـ بصيرة ـ ألقى ـ معاذيره ـ ولو ألقى معاذيره ـ جمعه ـ قرآنه ـ اتبع قرآنه ـ علينا بيانه ـ العاجلة ـ تذرون ـ الآخرة ـ ناضرةٌ ـ ناظرة ـ باسرة ـ تظن ـ فاقرة ـ كلا ـ التراقي ـ من راق ـ ظن ـ الفراق ـ التفت الساق بالساق ـ المساق ـ كذب وتولى ـ يتمطى ـ أولى لك فأولى ـ سدى ـ نطفة ـ يُمنى ـ علقة.

ج:

الكلمة	معناها
لا أقسم	أقسم[1].
يوم القيامة	يوم البعث والخروج من القبور للحساب والثواب أو العقاب.
اللوامة	التي تلوم صاحبها.
نجمع عظامه	نجمع العظام بعد تفرقها وتشتتها وبعد أن أصبحت رميما.
نسوي بنانه	نسوي بين أصابع يديه ورجليه ونلصقها فنجعلها شيئًا واحدًا كخف البعير، أو كحافر الحمار، فلا يستطيع أن يعمل الأعمال اللطيفة كالكتابة ونحوها.
ليفجر أمامه	ليكذب بما أمامه، أي بما هو آت من البعث والنشور أي أن المعنى، والله أعلم أن الإنسان لا يجهل قدرة الله على خلق الخلق وإعادتهم، ولكنه يريد بكلامه هذا أن يمهد لنفسه

(١) قال ابن الجوزي في زاد المسير: اتفقوا على أن المعنى قسم.

الكلمة	معناها
	طريقًا للفجور فيما هو آت[1] ولا يقلع عن معاصيه مُعللاً ذلك بأن لا بعث ولا حساب ولا عقاب ولا ثواب .
	والمعنى أيضًا يسوف في التوبه، يقول سوف أتوب .
أيان	متى .
برق البصر	فزع البصر، وشُق، وتحيرَّ من هول القيامة وفزع الموت شخص البصر . وقيل المعنى ـ حار ولم يستقر على حال .
خسف القمر	ذهب ضوؤه فلا ضوء له .
المفر	الملجأ ـ الخلاص ـ المكان الذي يهرب إليه .
لا وزر	لا مفر يفرُّ إليه ـ لا حصن يتحصن به ـ لا جبل يأوي إليه .
المستقر	المرجع والمصير والمنتهى .
يُنبأ	يُخبر .
قدَّم	عمل قبل موته من الطاعات .
أخَّر	عمل من المعاصي ـ تخلف عن الطاعة وضيع من الحقوق .
على نفسه بصيره	شاهد على نفسه ـ محاسبٌ لنفسه . كما قال تعالى ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ .
ألقى	قال ـ تكلم ـ أرخى .
معاذيره	اعذاره ـ اعتذاراته ـ ستوره .
ولو ألقى معاذيره	لو اعتذر بلسانه وتكلم وبيَّن لكن اعضاؤه تكذبه وتشهد

(١) أخرج الطبري بسندٍ حسن عن قتادة قال: قوله ﴿بل يريد الإنسان ليفجر أمامه﴾ قال: قال الحسن: لا تلقى ابن آدم إلا تنزع نفسه إلى معصية الله قُدُمًا قُدُمًا إلا من قد عصم الله .

الكلمـــة	معنـاهــــا
	عليه، فهي معاذيرٌ لا تقبل.
	ووجه آخر لو أرخىٰ عليه ستوره وكان وحده حيث لا يراه أحدٌ من الناس، لكن الله يراه ثم حواسه شاهدة عليه.
جمعه	أن نجمعه لك في صدرك.
قرآنه	قراءته أي نعينك علىٰ قراءته.
اتبع قرآنه	استمع لقراءته.
علينا بيانه	علينا أن نبينه للناس.
العاجله	الدنيا.
تذرون	تتركون (أي تتركون العمل للآخرة).
الآخرة	يوم القيامة
ناضرة	حسنة ـ جميلة ـ مسرورة ناعمة ـ بهيّةٌ.
إلى ربها ناظرة	تنظر إلىٰ ربها. وقول آخر (تنتظر ثواب ربها).
باسرة	متغيرة الألوان مسودةٌ كالحة ـ كاشرة ـ عابسة مقطبة.
تظن	تعلم وتؤمن.
فاقرة	مصيبةٌ كبرىٰ ـ داهية عظيمة تكسر فقار ظهرها.
كلا	كلمة نفي وردع وزجر، أو معناها حقًا.
التراقي	جمع ترقوة، وهي العظام المكتنفة لنقرة النحر وهو مقدم الحلق من أعلىٰ الصدر موضع الحشرجة.
من راق	من الذي يرقيه ليشفيه مما نزل به، هل من طبيب يُداويه، هل من شافٍ ومُعالج[1] من يرقي ليصعد مع الروح أو يصعد بها.

---

(١) قال قتادة التمسوا له الأطباء فلم يغنوا عنه من قضاء الله شيئًا.

الكلمـــــة	معنـــاهــــــا
	وقول آخر: أن هذا من قول الملائكة لبعضهم، مَنْ يَرقىٰ (أي: من يصعد) مع الروح؟ هل ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب[1]؟
ظن	أيقن - تأكد وعلم.
الفراق	فراق الدنيا والأهل والمال والولد.
التفت الساق بالساق	اجتمعت عليه الشدائد (شدائد الدنيا مع شدائد الآخرة) آخر يوم من الدنيا مع أول يوم من الآخره، أهل الدنيا يجهزون الكفن والملائكة يجهزون الكفن للروح. معنىٰ آخر: الفت إحدىٰ ساقيه بالأخرىٰ في الكفن.
المساق	المرجع والمآب والمنتهىٰ.
كذب وتولى	جحد، وأنكر، وأعرض.
يتمطى	يختال ويفتخر - يتبختر في مشيته.
أولى لك	وَلِيَكَ المكروه وهو أولىٰ بك .
فأولى	الويل لك ثم الويل. الويل لك حيًا والويل لك ميتًا، والويل لك عند البعث والويل لك في النار[2] .

(١) أخرج الطبري عن ابن عباس ﴿كلا إذا بلغت التراقي وقيل من راق﴾ قال: إذا بلغت نفسه يرقىٰ بها قالت الملائكة من يصعد بها؟ ملائكة الرحمة؟ أو ملائكة العذاب» «أثر» (٣٥٦٨٢).

(٢) قال القرطبي رحمه الله: قوله تعالىٰ: ﴿أولىٰ لك فأولىٰ ثم أولىٰ لك فأولىٰ﴾: تهديد بعد تهديد، ووعيد بعد وعيد، أي فهو وعيد أربعة لأربعة، كما رُوي أنها نزلت في أبي جهل الجاهل بربّه فقال: ﴿فلا صدق ولا صلىٰ ولكن كذب وتولىٰ﴾ أي لا صدق رسول الله، ولا وقف بين يديّ فصلّىٰ، ولكن كذّب رسولي، وتولّىٰ عن التصلية بين يدي. =

الكلمـــــة	معنـــاهــــــــا
	تهديد بعد تهديد، ووعيد بعد وعيد.
يُترك سدى	يُخلَّىٰ مهلاً - لا يُؤمر ولا يُنهىٰ - لا يعاتب ولا يعاقب ولا يحاسب.
نطفة	قطرة ماءٍ (منيّ) - ماء قليل من صلب الرجل.
يُمنى	يراق.
علقة	دمًا متعلقًا.

* * *

= فترك التصديق خَصْلة، والتكذيب خصلة، وترك الصلاة خصلة، والتولّي عن الله تعالىٰ خَصْلة؛ فجاء الوعيد أربعة مقابلة لترك الخصال الأربعة. والله أعلم. لا يقال: فإن قوله: ﴿ثم ذهب إلىٰ أهله يتمطىٰ﴾ خَصْلة خامسة، فإنّا نقول: تلك كانت عادته قبل التكذيب والتولّي، فأخبر عنها. وذلك بيِّنٌ في قول قتادة علىٰ ما نذكره، وقيل: إن رسول الله ﷺ خرج من المسجد ذات يوم، فاستقبله أبو جهل علىٰ باب المسجد، مما يلي باب بني مخزوم، فأخذ رسول الله ﷺ بيده، فهزّه مرّةً أو مرتين ثم قال: ﴿أولىٰ لك فأولىٰ﴾ فقال له أبو جهل: أتهددُني؟ فوالله إني لأعَزُّ أهل الوادي وأكرمه. ونزل علىٰ رسول الله ﷺ كما قال لأبي جهل. وهي كلمة وعيد.

س ـ قال تعالى ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ فنفى ها هنا القسم بيوم القيامة وقال تعالى ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ فأقسم هنا باليوم الموعود وهو يوم القيامة، فكيف نجمع بين الآيتين؟

ج: إذا قلنا إن معنى ﴿لا أُقْسِمُ﴾ هو أقسم فعليه سيكون معنى ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ أقسم بيوم القيامة، ومن ثمَّ فلا تعارض أما قوله ﴿لا﴾ فمن العلماء من قال هي للتوكيد كما يقول القائل لا، والله.

ومنهم من قال هي زائدة كقوله تعالى: ﴿لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الحديد:٢٩].

وكما قال ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء:٩٥].

ومنهم من قال إن كلمة ﴿لا﴾ ردٌّ لكلامٍ قد مضى من كلام المشركين الذين كانوا ينكرون الجنة والنار ثم ابتدأ القسم، فكأن المعنى ليس الأمر كما تظنون من أنه لا بعث ولا ثواب ولا عقاب، أقسم على ذلك بيوم القيامة.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ قيل: إن ﴿لا﴾ صلة، وجاز وقوعها في أول السورة؛ لأن القرآن متصل بعضه ببعض، فهو في حكم كلام واحد؛ ولهذا قد يذكر الشيء في سورة ويجيء جوابه في سورة أخرى؛ كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦]. وجوابه في سورة أخرى: ﴿مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: ٢]. ومعنى الكلام: أقسم بيوم القيامة؛ قاله ابن عباس وابن جبير وأبو عبيدة؛ ومثله قول الشاعر:

تذكرتُ ليلى فاعترتني صبابةٌ فكاد صميمُ القلب لا يتقطع

وحكى أبو الليث السمرقنديّ: أجمع المفسرون أن معنى ﴿لا أُقْسِمُ﴾:

أقسم. واختلفوا في تفسير: ﴿لا﴾ قال بعضهم: ﴿لا﴾ زيادة في الكلام للزينة، ويجري في كلام العرب زيادة ﴿لا﴾ كما قال في آية أخرىٰ: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن لا تَسْجُدَ﴾ [ص: ٧٥]. يعني أن تسجد، وقال بعضهم: ﴿لا﴾: ردٌّ لكلامهم حيث أنكروا البعث، فقال: ليس الأمر كما زعمتم.

قلت: وهذا قول الفرّاء؛ قال الفرّاء: وكثير من النحويين يقولون ﴿لا﴾ صلة، ولا يجوز أن يبدأ بجحد ثم يُجعل صلة؛ لأن هذا لو كان كذلك لم يعرف خبر فيه جحد من خبر لا جحد فيه، ولكن القرآن جاء بالرد على الذين أنكروا البعث والجنة والنار، فجاء الإقسام بالردّ عليهم [في كثير من الكلام المبتدأ منه وغير المبتدأ] وذلك كقولهم لا والله لا أفعل فـ«لا» ردٌّ لكلام قد مضىٰ، وذلك كقولك: لا والله إن القيامة لحقّ، كأنك أكذبت قومًا أنكروه. وأنشد غير الفرّاء لامرئ القيس:

فلا وأبيك ابنة العامِـر ... يِّ لا يَدَّعي القومُ أني أفِـرّ

وقال غُوَيّة بن سلمي:

ألا نادتْ أمامةُ باحتمال ... لتحزنُني فلا بِك ما أبالي

* * *

س ـ أقسم الله تبارك وتعالى بيوم القيامة فهل أقسم أيضًا بالنفس اللوامة أم لم يقسم بها؟

ج: ذهب كثير من أهل العلم إلىٰ أن الله سبحانه وتعالىٰ أقسم بالنفس اللوامة أيضًا، قال قتادة قوله ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۝١ وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ أقسم بهما جميعًا، وهو اختيار الطبري رحمه الله أما الحسن البصري رحمه الله فيرىٰ أنه لم يقسم بالنفس اللوَّامة.

* * *

س ـ اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى النفس اللوَّامة.

ج: النفس اللوامـة هي التي تلوم صـاحـبهـا، أمـا هل هذه النفـس نفس مؤمنة؛ أم نفس مـذمـومـة؟ أم أن المراد عـمـوم الأنفس؟ فبكلٍ قـال فـريق من أهل العلم قالوا فكل الأنفس تلوم صاحبها، الأنفس المؤمنة تلوم صاحبها لَمَ لم تستكثر مـن الخير؟ والأنفس الكافرة تلوم صاحبها لـم كفـرت ولـم عصيت وهل هذا في الآخرة أم في الدنيـا والآخـرة كـذلك؟ فـقـال بعـض العلمـاء إن ذلك في الدنيـا أيضًا، فنفس المؤمـن تلومه، فـإذا تكلم قال مـا أردت بكلامي هذا وإذا أكل تقول له ماذا أردت بأكلتك هذه وهكذا، فتلومه لعدم استكثاره من الخير وتلومه لفعله الشر.

أما نفس الكافر فتلومه في الآخرة.

أمـا من قـال إنها (المذمـومـة) فـهي التي تلوم صـاحـبـهـا حيث لا ينفع الندم لكن قول الأكثرين على الوجه الأول والله أعلم.

❊ ❊ ❊

س ـ ما مناسبة الجمع في القسم بين يوم القيامة، والنفس اللوَّامة؟

ج: أشار بعض العلماء إلى أن ذلك مفاده أن النفس اللوَّامه تلوم صاحبها يوم القيامة.

❊ ❊ ❊

س ـ من المراد بالإنسـان في قوله تعـالى ﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَن لَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ﴾؟

ج: هو الإنسان الكافر.

❊ ❊ ❊

س ـ وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى ﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَن لَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله:

وقوله ﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَن لَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ يقول تعالىٰ ذكره: أيظنّ ابن آدم أن لن نقدر علىٰ جمع عظامه بعد تفرقها؟ بلىٰ قادرين علىٰ أعظم من ذلك، أن نسوي بنانه، وهي أصابع يديه ورجليه، فنجعلها شيئًا واحدًا كخف البعير، أو حافر الحمار، فكان لا يأخذ ما يأكل إلا بفيه كسائر البهائم، ولكنه فرَّق أصابع يديه يأخذ بها، ويتناول ويقبض إذا شاء ويبسط فحسن خلقه.

* * *

س ـ ما وجه سؤالهم أيان يوم القيامة؟

ج: هذا السؤال منهم علىٰ سبيل الاستهزاء والتكذيب والاستبعاد كما ـ كانوا يقولون ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الملك: ٢٠].

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى ﴿بَلِ الإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَ﴾.

ج: المعنىٰ، والله تعالىٰ أعلم أن الإنسان شاهد علىٰ نفسه يوم القيامة تشهد عليه أعضاؤه وجوارحه مهما قدم بلسانه من اعتذارات ومهما جادل بالباطل فإن أعضاءه تكذبه وكما قال تعالىٰ ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [غافر: ٥٢].

وفي صحيح مسلم[١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال:

قالوا: يا رسول الله! هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال «**هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة، ليست في سحابة؟**» قالوا: لا. قال «**فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر، ليس في سحابة؟**» قالوا: لا. قال: **فوالذي نفسي بيده! لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما. قال فيلقى العبد فيقول: أي فل**[٢] **! ألم أكرمك، وأسودك**[٣] **،وأزوجك،وأسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس**[٤] **وتربع**[٥] **؟ فيقول: بلى. قال فيقول: أفظننت أنك ملاقيّ؟ فيقول: لا. فيقول: فإني أنساك كما نسيتني**[٦] **. ثم يلقى الثاني فيقول: أي فل! ألم أكرمك، وأسودك، وأزوجك، وأسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى. أي رب! فيقول: أفظننت أنك ملاقيّ؟ فيقول: لا. فيقول: فإني أنساك كما نسيتني. ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك. فيقول: يا رب! آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت. ويثني بخيرٍ ما استطاع. فيقول: ههنا إذاً**[٧] .

---

(١)مسلم (حديث ٢٩٦٨).

(٢)أي فُل: أي فلان.

(٣)أسوِّك: أجعلك سيداً على قومك.

(٤)(ترأس) أي تكون رئيس القوم وكبيرهم.

(٥)(تربع) أي تأخذ المرباع الذي كانت ملوك الجاهلية تأخذه من الغنيمة، وهو ربعها. يقال: ربعتهم، أي أخذت ربع أموالهم. ومعناه ألم أجعلك رئيساً مطاعاً.

قال القاضي، بعد حكايته نحو، ما ذكرته: عندي أن معناه تركتك مستريحاً لا تحتاج إلى مشقة وتعب. من قولهم: اربع على نفسك، أي ارفق بها.

(٦)(فإني أنساك كما نسيتني) أي أمنعك الرحمة كما امتنعت من طاعتي.

(٧)(ههنا إذا) معناه قف ههنا حتى يشهد عليك جوارحك، إذ قد صرت منكِرا.

قال ثم يقـال له: الآن نبعث شاهدنا عليك. ويتفكر في نفـسه: من ذا الذي يشهـد علي؟ فيختم على فـيه. ويقال لفـخذه ولحمه وعظامـه: انطقي. فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله. وذلك ليعذر[١] من نفسه.

وذلك المنافق. وذلك الذي يسخط الله عليه».

وفي رواية أخرىٰ عند مسلم[٢] من حديث أنس رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال: «**هل تدرونممَّ أضحك؟**» قال قلنا: الله ورسوله أعلمُ. قال **من مخاطبة العبد ربه. يقول: يا رب! ألم تجرني من الظلم؟ قال يقول: بلى. قال فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني: قال فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً. وبالكرام الكاتبين شهوداً. قال فيُختَمُ على فيه. فيقال لأركانه انطقي. قال فتنطق بأعماله. قال ثم يخلى بينه وبين الكلام. قال فيقول: بعداً لَكُنَّ وسُحقًا فعنكن كنت أناضل**».

قلت: وثمَّ معنىٰ آخر: بل إن الإنسان شاهدٌ علىٰ نفسه بما عمل من ذنوب وبما ارتكب من محارم وآثام، وإن أغلق عليه الغرف والأبواب، وأرخىٰ علىٰ نفسه الستور.

* * *

---

(١) (ليعذر) من الإعذار. والمعنىٰ ليزيل الله عذره من قِبَل نفسه بكثرة ذنوبه وشهادة أعضائه عليه، بحيث لم يبق له عذر يتمسك به.

(٢) مسلم (٢٩٦٩).

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ مع بيان سبب نزولها.

ج: المعنى، والله أعلم، أن النبي ﷺ كان إذا نزل عليه شيءٌ عجَّل به يريد حفظه من شدة حرصه عليه وخشيته من ذهابه، فكان يحرك اللسان ليحفظ، فقيل له ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ...﴾ الآيات.

وأخرج البخاري(١) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ قال: كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة، وكان مما يحرك شفتيه، فقال ابن عباس: فأنا أحركهما لكم كما كان رسول الله ﷺ يحركهما. وقال سعيد: أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما ـ فحرك شفتيه ـ فأنزل الله تعالى ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ قال: جمعه لك في صدرك وتقرأه ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ قال: فاستمع له وأنصت ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ ثم إن علينا أن تقرأه. فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأه.

* * *

س ـ في قوله تعالى ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ أدبٌ لأخذ العلم الشرعي، وضح هذا الأدب.

ج: قال السعدي رحمه الله تعالى في تفسيره:

وفي هذه الآية، أدب لأخذ العلم، أنّ لا يبادر المتعلم للعلم، قبل أن يفرغ المعلم، من المسألة، التي شرع فيها، فإذا فرغ منها، سأله عما أشكل

---

(١) البخاري (حديث ٥).

عليه. وكذلك إذا كان في أول الكلام، ما يوجب الرد أو الاستحسان، أن لا يبادر برده أو قبوله، قبل الفراغ من ذلك الكلام، ليتبين ما فيه من حق أو باطل، وليفهمه فهما، يتمكن فيه من الكلام فيه، على وجه الصواب.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله تعالى:

يقول تعالى ذكره لعباده المخاطبين بهذا القرآن المؤثرين زينة الحياة الدنيا على الآخرة: ليس الأمر كما تقولون أيها الناس من أنكم لا تبعثون بعد مماتكم، ولا تجازون بأعمالكم، لكن الذي دعاكم إلى قيل ذلك محبتكم الدنيا العاجلة، وإيثاركم شهواتها على آجل الآخرة ونعيمها، فأنتم تؤمنون بالعاجلة، وتكذبون بالآجلة.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله ﴿كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ﴾، أي: إنما يحملهم على التكذيب بيوم القيامة ومخالفة ما أنزل الله ـ عز وجل ـ على رسوله ﷺ من الوحي الحق والقرآن العظيم ـ أنهم إنما همتهم إلى الدار الدنيا العاجلة، وهم لاهون متشاغلون عن الآخرة.

* * *

س ـ اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: ﴿كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ﴾ وتوضح حب الناس للدنيا وتهاونهم بالآخرة.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى: ١٦-١٧].

وقوله تعالىٰ ﴿إِنَّ هَؤُلاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلاً﴾ [الإنسان: ٢٧].

* * *

س ـ هل يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة؟

ج: نعم، يرىٰ المؤمنون ربهم يوم القيامة قال تعالىٰ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.

وقد سئل النبي ﷺ من أصحابه هذا السؤال فقالوا: يا رسول الله هل نرىٰ ربنا يوم القيامة؟ قال: «**هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحواً؟!**» قلنا: لا. قال: «**فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذٍ إلا كما تضارون في رؤيتهما**»... فذكر الحديث.

وفيه أيضًا: «**فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا. فلاً يكلمه إلا الأنبياء فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟ فيقولون: الساق، فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن، ويبقى من كان يسجد لله رياءً وسمعة، فيذهب كيما يسجد، فيعود ظهره طبقًا واحدًا...**» الحديث[1].

هذا، وثم أدلة أُخر كثيرة في الباب أوردناها في تفسير سورة المطففين عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ فالكفار يحجبون عن رؤية ربهم، والمؤمنون في المقابل يرونه.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا.

س ـ ما التي بلغت التراقي؟

ج: هي النفس، كقوله تعالىٰ ﴿**فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ**﴾ [الواقعة: ٨٣].

❊ ❊ ❊

س ـ وضح معنى قوله تعالى ﴿فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّىٰ (٣١) وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله تعالى:

يقول تعالىٰ ذكره: فلم يصدق بكتاب الله، ولم يُصل له صلاة ولكنه كذَّب بكتاب الله، وتولىٰ فأدبر عن طاعة الله.

❊ ❊ ❊

س ـ قوله تعالى ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ هل قاله الرسول ﷺ لأحد؟

ج: قد قاله النبي ﷺ لأبي جهل ثم نزل القرآن بذلك.

أخرج النسائي[١] في السنن الكبرىٰ بسندٍ صحيح عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ﴿**أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ**﴾ قاله رسول الله ﷺ وأنزله الله عزَّ وجل؟ قال قاله رسول الله ﷺ ثم أنزله الله.

وانظر إن شئت تفسير عبد الرزاق[٢] وتفسير ابن أبي حاتم[٣] ففيهما تسمية أبي جهل.

❊ ❊ ❊

(١) السنن الكبرىٰ (١١٦٣٨/ ٢).

(٢) تفسير عبد الرزاق (٣٤٢٠).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (١٩٠٦٩) و(١٩٠٧٠).

س ـ اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾.

ج: من ذلك، والله أعلم، قوله تعالى ﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ** ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

وقوله تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ** ﴾ [الأنبياء: ١٦].

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: أليس الذي فعل ذلك فخلق هذا الإنسان من نطفة، ثم علقة حتى صيره إنسانًا سويًا، له أولادٌ ذكورٌ وإناث، بقادر على أن يحيي الموتى من مماتهم، فيوجدهم كما كانوا من قبل مماتهم. يقول: معلوم أن الذي قدر على خلق الإنسان من نطفة من مني يمنى، حتى صيره بشراً سويًا، لا يعجزه إحياء ميت من بعد مماته. وكان رسول الله ﷺ إذا قرأ ذلك قال: بلى.

* * *

س ـ هل ثبت أن النبي ﷺ كان إذا قرأ ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾ قال شيئًا؟

ج: أخرج أبو داود[١] بسندٍ صحيح عن موسى بن أبي عائشة قال كان

---

(١) أبو داود حديث (٨٨٤).

لكن لهذا الحديث علة، وهي أن الحديث روي من طريق موسى بن أبي عائشة أن رجلاً حدثهم قال أمهم رجلٌ يومًا . . . . فذكر الحديث ففي هذا السند واسطة بين موسى بن =

رجل يصلي فوق بيته، وكان إذا قرأ ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ قال: سبحانك فبلىٰ، فسألوه عن ذلك فقال سمعته من رسول الله ﷺ.

وأخرج أبو داود أيضًا من طريق أعرابي قال قال رسول الله ﷺ «**من قرأ منكم ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ فانتهى إلى آخرها ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ فليقل: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين، ومن قرأ ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ فانتهى إلى ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾، فليقل: بلى ومن قرأ ﴿وَالْمُرْسَلاتِ﴾ فبلغ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ فليقل آمنا بالله**»[1].

وعند الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال: قوله ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ ذُكر لنا أن نبي الله ﷺ كان إذا قرأها قال: سبحانك وبلىٰ.

وهذا، وإن كان حسنًا إلىٰ قتادة، لكنه مرسل وعند ابن أبي حاتم وعبد الرزاق[2] وغيرهما عن ابن عباس أنه مرَّ بهذه الآية ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن

= أبي عائشة وبين الصحابي، وهذه الواسطة رجل لم يُسم، وهذه الرواية عند عبد الرزاق في التفسير (٣٤٢٢) وعند ابن أبي حاتم (١٩٠٧٣).

(١) أبو داود حديث (٨٨٧).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٩٠٧٤) وعبد الرزاق في المصنف (٤٠٥١) من طريق أبي إسحاق عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

وأبو إسحاق وإن كان مدلسًا إلا أن نزول الإسناد هنا يقوي القول بعدم تدليسه، ذلك لأن وبين ابن عباس راويان.

يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ قال: سبحانك، وبلىٰ.

فبهذه الأحاديث والآثار مع الاتفاق[1] الذي نقله بعض العلماء علىٰ مشروعية ذلك، يظهر لنا من هذا صحة قول من قال: سبحانك، وبلىٰ؛ إذ قرأ: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ واللَّه تعالىٰ أعلم.

تم تفسير سورة القيامة بحمد اللَّه.

* * *

(١) انظر آخر تفسير سورة التين تتمة من تفسير أضواء البيان. ط

سورة الإنسان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي:

هل أتى ـ حينٌ ـ شيئًا مذكورا ـ نطفة ـ أمشاج ـ نبتليه ـ سميعًا ـ بصيرا ـ هديناه السبيل ـ شاكرًا ـ كفورًا ـ أعتدنا ـ سلاسل ـ أغلالاً ـ سعيرًا ـ الأبرار ـ كأس ـ مزاجها كافورًا ـ يشرب بها ـ يفجرونها تفجيرا ـ النذر ـ يخافون يوما ـ مستطيرًا ـ على حبه ـ مسكينًا ـ أسيرًا ـ جزاءًا ـ عبوسًا ـ قمطريرا .

ج:

الكلمة	معناها
هل أتى	قد أتى .
حينٌ	زمنٌ ـ مدةٌ .
شيئًا مذكورا	شيئًا له ذِكرٌ وشأنٌ وقيمة .
نطفة	ماء الرجل وماء المرأة ـ والنطفة الماء القليل[1] .
أمشاجٍ	أخلاط (اختلاط ماء الرجل بماء المرأة أي: ماء الرجل

(١) وكل ماءٍ قليل في وعاء فهو نطفة، وأوردوا في ذلك قول ابن رواحة رضي الله عنه:

ما لي أراك تكرهين الجنة   وهل أنت إلا نطفةٌ في شنَّة

وقال الطبري رحمه الله:

وأشبه هذه الأقوال بالصواب قول من قال: معنى ذلك ﴿من نطفة أمشاج﴾ نطفة الرجل ونطفة المرأة، لأن الله وصف النطفة بأنها أمشاج، وهي إذا انتقلت فصارت علقة، فقد استحالت عن معنى النطفة فكيف تكون نطفة أمشاجًا وهي علقة؟ وأما الذين قالوا: إن نطفة الرجل بيضاء وحمراء، فإن المعروف من نطفة الرجل أنها سحراء على لون واحد، وهي بيضاء تضرب إلى الحمرة، وإذا كانت لونًا واحدًا لم تكن ألوانًا مختلفة، وأحسب أن الذين قالوا: هي العروق التي في النطفة قصدوا هذا المعنى.

الكلمـــة	معنـاهـــــا
	يُمشج بماء المرأة).
	قول آخر: أمشاج ألوان وأطوار (مراحل) ينتقل إليها نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظم ثم تكسىٰ العظام لحمًا.
	وقيل ألوان النطفة حمراء - صفراء - بيضاء.
	وقيل العروق التي في النطفة.
نبتليه	نختبره.
سميعًا	ذا سمعٍ.
بصيرًا	ذا بصرٍ.
هديناه السبيل	بيَّنا له الطريق وأوضحناه له، ومنه ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾، ومنه ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾. وأيضًا المعنىٰ: عرفناه طريق الخير والطريق الشَّر.
إما شاكرًا وإما كفورًا	إما شقيًا وإما سعيدًا[1].
أعتدنا	أعددنا.
سلاسل	يسحبون بها إلىٰ النار - قيودًا.
أغلالاً	تغل بها الأيدي إلىٰ الأعناق.
سعيرًا	حريقًا - لهيبًا.
الأبرار	الذين بروا بطاعتهم لربهم وأداء فرائضه واجتناب معاصيه. ومن العلماء من قال الأبرار هنا هم أصحاب اليمين.

(١)وفي صحيح مسلم حديث (٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ . . . . كل الناس يغدو، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها.

الكلمـــة	معنـاهـــــا
كأس	كل إناء فيه شراب (خمر) فهو كأس .
مزاجها	رائحتها، فالكافور صفةٌ للشراب شوبها وخلطها .
كافورًا	الكافور عينٌ في الجنة .
	الكافور هو الكافور المعروف مع الفارق بين كافور الدنيا وكافور الآخرة فالمعنى أنها كالكافور في رائحتها .
يشرب بها	يشرب منها
يفجرونها تفجيرًا	يفجرون تلك العين، يشربون بها كيف شاءوا وحيث شاءوا في منازلهم وقصورهم، ويعني بالتفجير هنا الإسالة والإجراء (الجريان)، يوجهونها حيث شاءوا ويسوقونها حيث أرادوا .
النذر	العهد، ويراد به هنا كل ما أوجبه الإنسان على نفسه من الأفعال .
يخافون يومًا	يخافون عقاب الله في يوم .
مستطيرا	ممتدًا ـ طويلاً فاشيًا منتشرًا .
على حبه	مع حبهم له ورغبتهم فيه ـ ومعنى آخر : مع حبهم لله .
مسكينًا	المسكين الذي أسكنته الحاجة والفقر .
أسيرًا	المسجون ـ المحبوس ـ الحربي من أهل الحرب يؤخذ قهرًا بالغلبة .
جزاءً	ثوابًا .
عبوسًا	تعبس فيه الوجوه من شدة المكاره وطول البلاء .
قمطريرا	شديدًا ـ عصيبًا ـ القمطرير المقبض بين عينيه .

س ـ من المراد بالإنسان في قوله تعالى ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾؟

ومن المراد به في قوله تعالى ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾؟ وما المراد بالحين من الدهر؟

ج: قال كثير من العلماء: إن الإنسان في قوله تعالىٰ ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ﴾ هو آدم عليه السلام، أما الحين من الدهر فقالوا: هو المدة بين خلقه إلىٰ أن نُفخت فيه الروح (وذكر بعضهم أنها أربعون سنة ولا دليل علىٰ ذلك) ففي هذه المدة كان شيئًا مهملاً ليس له ذكرٌ ولا شأنٌ، ولا يدري به ولا يُعرف عنه كبير شيءٍ ولم يكن له قدر ولا شرف آنذاك.

وقال بعض العلماء: إن المراد بالإنسان عموم الإنسان، أتىٰ عليه وقتٌ وهو في بطن أمه لا يلتفت إليه كبير التفات لحقارته وضعفه فيُخبر ربنا أنه أوجده بعد أن لم يكن شيئًا، ومنه قوله تعالىٰ ﴿أَوَلا يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٦٧].

أما الإنسان في قوله تعالىٰ ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ فالمراد به عموم الإنسان (باستثناء آدم وزوجه عليهما السلام).

قال القرطبي: هم بنو آدم من غير خلاف.

أما الحين علىٰ هذا التفسير فهو القدر الذي مكثه في بطن أمه.

* * *

س ـ هل ورد أن النبي ﷺ كان يقرأ بسورة الإنسان في صلاته؟

ج: نعم ورد ذلك، فقد كان النبي ﷺ يقرأ بها في فجر يوم الجمعة في الركعة الثانيه.

ففي الصحيحين[١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر «ألم تنزيل، وهل أتىٰ علىٰ الإنسان».

وفي روايةٍ لمسلم أن النبي ﷺ كان يقرأ في الصبح يوم الجمعة بألم تنزيل في الركعة الأولىٰ، وفي الثانية هل أتىٰ علىٰ الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكوراً.

* * *

س ـ من الذي نُسب إليه أنه قرأ ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ فقال ياليتها تمتْ؟

ج: نسب ذلك إلىٰ أبي بكر رضي الله عنه، ونُسب إلىٰ عمر كذلك ولم أقف لذلك علىٰ سندٍ صحيح، والله أعلم.

* * *

س ـ هل في قوله تعالى ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ تقديم وتأخير؟

ج: قال بذلك بعض العلماء، فقالوا إن المعنىٰ إنا خلقنا الإنسان من نطفةٍ أمشاج فجعلناه سميعًا بصيراً لنبتليه فننظر هل يصرف سمعه وبصره إلىٰ الآيات ويتدبرها ويعمل بطاعة الله أم أنه سيصرف سمعه وبصره إلىٰ مساخط الله عز وجل وإلىٰ ارتكاب الفواحش والمحرمات.

* * *

(١) البخاري (مع الفتح ٢/ ٣٧٧) ومسلم (مع النووي ٦/ ١٦٨).

س ـ لماذا خُصَّ السمع والبصر بالذكر من بين سائر الحواس؟

ج: ذلك، والله أعلم، لأنهما أهم الحواس.

* * *

س ـ ما وجه قوله تعالى ﴿ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾؟

ج: وجه ذلك التذكير بنعم الله عزَّ وجل على العبد.

* * *

س ـ لماذا لم يقل الله عزَّ وجل إما شكورًا وإما كفورًا، بل قال إما شاكرًا؟

ج: قال القرطبي رحمه الله: وجمع اللَّه بين الشاكر والكفور ولم يجمع بين الشكور والكفور مع اجتماعهما في معنى المبالغة؛ نفيًا للمبالغة في الشكر وإثباتًا لها في الكفر؛ لأن شكر الله تعالى لا يؤدي، فانتفت عنه المبالغة، ولم تنتفِ عن الكفر المبالغة، فقلَّ شكره، لكثرة النعم عليه وكثرة كفره وإن قلّ مع الإحسان إليه. حكاه الماورديّ.

قلت (مصطفى): وقد يتأتى الشكور في حق بعض أهل الصلاح قال تعالى في شأن نبيه نوح عليه السلام ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء: ٣].

لكن الأغلب كما قدم القرطبي رحمه الله.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ﴾؟

ج: هنا قول لأهل العلم له قوته ووجاهته ينبني على أن المراد بالأبرار هنا

أصحاب اليمين، والمراد بـ ﴿عِبَادُ اللَّهِ﴾ المقربون فالمعنى على هذا أن الأبرار يشربون من كأسٍ ممزوجة بالكافور، وهذا الكافور يأتي من عينٍ يشرب منها المقربون.

أي أن الأبرار (أصحاب اليمين) يشربون من الكافور ممزوجًا بغيره، أما المقربون فيشربون من الكافور خالصًا غير مخلوط.

* * *

س ـ اذكر بعض الأدلة على استحباب الوفاء بالنذر.

ج: من ذلك قوله تعالى ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧]. وقوله تعالى ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وقوله عليه الصلاة والسلام: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعص الله فلا يعصه**»[1].

وقوله تعالى في ذم الذين لا يفون بالنذر ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ۝ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٥، ٧٦].

وكذا ذم رسول الله ﷺ الذين ينذرون ولا يفون[2] وذلك بذكره لهم في القرون التي ترد بعد القرون المفضلة.

* * *

(١) البخاري حديث (٦٦٩٦).

(٢) انظر البخاري (٣٦٥٠) ومسلم (٢٥٣٥).

س ـ هل صح لقوله تعالى ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ سبب نزول؟

ج: لم أقف على سبب نزولٍ صحيح لهذه الآية.

* * *

س ـ هل قول أهل الإيمان ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا ﴾ كان قولاً ظاهراً منهم في وجوه المُطعمين؟ أم شيء علمه الله في قلوبهم فأخبر الله به حتى يتأس بهم غيرهم في هذا القول؟

ج: ذهب كثيرٌ من أهل العلم إلى أن أهل الإيمان لم يتكلموا بذلك، ولكن شيءٌ علمه الله في قلوبهم فأخبر به كتأسيس لمبدءٍ ينبغي أن يُسلك عند الإطعام، قالوا: ولو تلفظوا بهذا اللفظ لأحرجوا الفقراء وكسروا خواطرهم.

* * *

س ـ الإطعام، شأنه شأن سائر الأعمال ـ ينبغي أن يبتغى به وجه الله حتى يثاب عليه العبد دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك:

قوله تعالى: **﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا ﴾**.

وقوله تعالى: **﴿ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴾** [الليل: ١٨ ـ ٢٠].

* * *

س ـ هل يجوز إطعام الكفار؟

ج: نعم يجوز ذلك، لقوله تعالى ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾.

ولقول النبي ﷺ «في كل كبدٍ رطبة أجر»[1].

* * *

(١) البخاري حديث (٢٣٦٣) ومسلم حديث (٢٢٤٤).

فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ

نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا

عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا

وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ

كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا

كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ وَيَطُوفُ

عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ

رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ

وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَـٰذَا

كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾

اذكر معنى ما يلي:

فوقاهم ـ لقّاهم ـ نضرة ـ سروراً ـ بما صبروا ـ متكئين ـ الأرائك ـ زمهريرا ـ دانية ـ ذُلِّلت ـ قطوفها ـ قدروها تقديرا ـ كأسًا ـ مزاجها ـ زنجبيلا ـ سلسبيلا ـ ولدان ـ مخلدون ـ ثمَّ ـ ملكًا ـ عاليهم ـ سندس ـ استبرق ـ حُلّوا ـ شرابًا طهوراً ـ سعيكم مشكوراً.

ج:

الكلمة	معناها
فوقاهم	فدفع عنهم وصرف عنهم.
لقّاهم	أعطاهم ـ منحهم.
نضرةً	حُسنًا وبهاءً في وجوههم.
سروراً	فرحًا وسعادةً وابتسامةً وسروراً في قلوبهم.
بما صبروا	بسبب صبرهم.
متكئين	الاتكاء الميل بأحد الشقين ـ وقيل الاتكاء جلسة التربع.
الأرائك	الأسرةُ (جمع سرير) في الحجال والعرب تسمىٰ السرير الذي في الحجلة أريكة، والحجلة شبه الخيمه (أو الناموسية) علىٰ السرير.
زمهريرا	برداً شديداً.
دانية	قريبة ـ دنت منهم ثمارها فيتناولوها كيف شاءوا.
ذللت	سُخِّرت، ذُلِّل اجتناء ثمرها فيجتنوا ثمرها كيف شاءوا (قياماً ـ قعوداً ـ متكئين).
قطوفها	ثمارها.

الكلمة	معناها
قدَّروها تقديرًا	جعلوها على قدر الشراب بلا زيادة ولا نقصان (فالشراب يأتي في الكأس على قدر ما يشربه الإنسان بلا زيادة ولا نقصان).
كأسًا	إناءً فيه خمر.
مزاجها	خليطها[1].
زنجبيلا	هو الزنجبيل المعروف (مع الفارق بين زنجبيل الدنيا وزنجبيل الآخرة).
سلسبيلاً	اسمٌ للعين، من قولهم سلسة (أي منقادٌ ماؤها يصرفونها كيف شاءوا) وقيل شديدة الجريان.
ولدان	غلمان (وقيل: هم أطفال المؤمنين الذين ماتوا في الصغر) وقيل غلمان ينشئهم الله عز وجل لخدمة أهل الجنة).
مُخلدون	لا يهرمون (لا يكبر سنهم) - لا يشيبون - لا يموتون دائمٌ شبابهم - باقون على ما هم عليه من الحسن ونضارة الوجه.
ثَمَّ	هناك (في الجنة).
مُلكًا	مملكة عظيمة وسلطانًا باهرًا.
عاليهم	فوقهم حجالهم المثبتة عليهم.
سندس	ديباجٌ رقيقٌ حسنٌ (السندس: ما رقَّ من الديباج)
استبرقٌ	ما غلظ مِن الديباج.

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تارة يمزج لهم الشراب بالكافور وهو بارد، وتارة يُمزج بالزنجبيل وهو حار ليعتدل الأمر، وأما المقربون فإنهم يشربون من كلٍ منهما صرفًا (أي خالصًا).

الكلمــــة	معنــاهـــــا
حُلُّوا	كُسوا ـ زُيِّنوا
شرابًا طهورًا	يُطهر البـواطن من الحسـد والحقـد والـغل والأذىٰ وسـائر الأخلاق الرديئة ومن طهـره لا يصـير بـولاً نجسًـا ، ولكنه يصـيـر رشـحًـا كالمسك ـ طاهرًا ومُطهرًا .
سعيكم مشكورًا	عـملكم مـحـمـودًا ـ شكركم عليه ربكم وحـمـدكم عـليه ورضيه منكم فأثابكم عليه .

* * *

س ـ قوله تعالى ﴿ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا ﴾ صبروا على ماذا؟

ج: صبروا على التكاليف التي كلفهم الله بها، والابتلاءات التي ابتلاهم الله بها.

* * *

س ـ لماذا جمعت الأكواب بين كونها قوارير وكونها من فضة؟

ج: ذلك لمزيد بيان لحسنها، فصفاؤها صفاء الزجاج وبياضها بياض الفضة.

أخرج الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: قوله ﴿ **وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ** ﴾ أي صفاء القوارير في بياض الفضة.

* * *

س ـ هل يجوز الشرب في آنية الفضة في الحياة الدنيا؟

ج: لا يجوز ذلك، لقول رسول الله ﷺ «**الذي يشرب في إناء الفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم**»[1]. ولقول النبي ﷺ: «**لا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تلبسوا الحرير والديباج فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة**»[2].

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى ﴿ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿ **إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا** ﴾ يقول تعالى ذكره: إذا رأيت يا

(١) البخاري (٥٦٣٤) ومسلم حديث (٢٠٦٥) من حديث أم سلمة رضي الله عنها مرفوعًا.

(٢) البخاري (٥٦٣٣) ومسلم حديث (٢٠٦٧).

محمد هؤلاء الولدان مجتمعين أو مفترقين، تحسبهم في حسنهم، ونقاء وبياض وجوههم، وكثرتهم، لؤلؤًا مبددًا، أو مجتمعًا مصبوبًا.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾، أي: إذا رأيتهم في انتشارهم في قضاء حوائج السادة، وكثرتهم، وصباحة وجوههم، وحُسن ألوانهم وثيابهم وحليهم، حسبتهم لؤلؤًا منثورًا.

ولا يكون في التشبيه أحسن من هذا، ولا في المنظر أحسن من اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن.

وقال الرازي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ وفي كيفية التشبيه وجوه:

(أحدها): شبهوا في حسنهم وصفاء ألوانهم وانتشارهم في مجالسهم ومنازلهم عند اشتغالهم بأنواع الخدمة باللؤلؤ المنثور ولو كان صفًا لشبهوا باللؤلؤ المنظوم، ألا ترى أنه تعالى قال ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ فإذا كانوا يطوفون كانوا متناثرين.

(وثانيها): أنهم شبهوا باللؤلؤ الرطب إذا انتثر من صدفه؛ لأنه أحسن وأكثر ماءً.

(وثالثها): قال القاضي هذا من التشبيه العجيب لأن اللؤلؤ إذا كان متفرقًا يكون أحسن في المنظر لوقوع شعاع بعضه على البعض فيكون مخالفًا للمجتمع منه.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ .

ج: المعنى، والله أعلم، إذا رميت ببصرك هنالك في الجنة رأيت نعيمًا واسعًا ومملكة عظيمة جدًا، وفرحًا وسرورًا وسعادة وابتهاجًا، فأدنى أهل الجنة منزلة من له عشرة أمثال مُلك ملك من ملوك الدنيا كما في الحديث عن رسول الله ﷺ .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى ﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ﴾ .

ج: المعنى، والله أعلم أنهم يلبسون ثيابًا من سندسٍ خُضرٍ أحيانًا، وثيابًا من استبرقٍ أحيانًا أُخر .

أو أنهم يلبسون هذه وتلك في آنٍ واحد .

* * *

س ـ ورد أن أهل الجنة ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ ﴾ وهنا قال تعالى ﴿ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ ﴾ فكيف يكون الجمع بين هذه الآية، وتلك؟

ج: الجمع من وجهين:

أحدهما: أن يقال إنهم يلبسون هذه تارة وتلك تارةً أخرى . أو يلبسونهما معًا .

الثاني: أن يُقال إن السابقين يحلون فيها من أساور من ذهب، وأصحاب اليمين حلوا أساور من فضةٍ والله أعلم بالصواب .

إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ

ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا ﴿٢٣﴾ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ﴿٢٤﴾ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ﴿٢٧﴾ نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٣٠﴾ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴿٣١﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي:

نزلنا ـ تنزيلا ـ حكم ربك ـ آثمًا ـ كفـورًا ـ بكرة ـ أصيلا ـ العاجلة ـ يذرون ـ وراءهم ـ يوما ثقيلا ـ شددنا أسرهم.

ج:

الكلمـــة	معنـاهـــــا
نزلنا	أنزلنا ـ أوحينا ـ فرقنا في الإنزال (لم ننزله جملة واحدة بل أنزلناه مفرقًا (بحسب الأسباب والوقائع والحاجات).
تنزيلاً	تفريقًا (نزولاً مفرقًا).
حكم ربك	قضاء ربك ـ ما امتحنك به ربك (من تبليغ الرسالة وأداء الفرائض).
آثما	مرتكب المآثم والمعاصي.
كفورًا	جحودًا لنعم الله.
بكرةً	صباحًا (قيل صلاة الصبح) ـ أول النهار.
أصيلاً	آخر النهار، (وقيل صلاة الظهر والعصر).
العاجلة	الدنيا.
يذرون	يتركون.
وراءهم	قيل المراد أمامهم.
يومًا ثقيلاً	يوم القيامة (ثقيل لثقل الحساب وشدته وعُسره).
شددنا أسرهم	شددنا خلقهم ـ قوينا مفاصلهم وشددنا إلىٰ بعضها من ذلك تقوية عضلة فتح الشرج فلو لم تكن قوية لانساب الغائط، وتقوية عضلة البول، وتقوية سائر الأعضاء. وقيل شددنا أسرهم، أحكمنا وثاقهم.

س ـ هل هناك ربطٌ بين قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلاً (٢٣) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾؟

ج: نعم هناك ربط بين هذا، وذاك، إيضاحه كما أنعمت عليك وأنزلت عليك القرآن تنزيلاً، فاشكر هذه النعمة، واصبر على قضاء الله وما قدره الله عليك، واصبر على أذى قومك منتظراً حكم الله عزَّ وجل فيهم، واصبر على ما امتحنك الله به من تبليغ رسالته وتنفيذ أوامره.

* * *

س ـ ما الفرق بين الآثم والكفور؟

ج: قال الرازي في تفسيره[1]:

ما الفرق بين الآثم والكفور؟ (الجواب) الآثم هو المقدم على المعاصي أي معصية كانت، والكفور هو الجاحد للنعمة، فكل كفور آثم، أما ليس كل آثم كفوراً، وإنما قلنا إن الآثم عام في المعاصي كلها لأنه تعالى قال ﴿**وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا**﴾ [النساء: ٤٨] فسمى الشرك إثمًا، وقال ﴿**وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ**﴾ [البقرة: ٢٨٣]، وقال ﴿**وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ**﴾ [الأنعام: ١٢٠]، وقال ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ**﴾ [البقرة: ٢١٩] فدلت هذه الآيات على أن هذا الإثم شامل لكل المعاصي، واعلم أن كل من عبد غير الله فقد اجتمع في حقه هذان الوصفان، لأنه لما عبد غيره، فقد عصاه وجحد إنعامه.

* * *

(١) بينا مراراً أن للرازي زلات كبيره في تفسيره فلتُتقى ويلتمس ما أصاب فيه.

س ـ وضح معنى قوله تعالى ﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ .

ج: المعنى، والله أعلم: ادعه به في صلاة الصبح وفي أول النهار، وفي صلاتي الظهر والعصر، وفي آخر النهار.

* * *

س ـ كثُر الحثّ على الاستعانة بالصبر والصلاة في عدة سور من كتاب الله عزَّ وجل، اذكر بعض المواطن التي ورد فيها هذا التذكير.

ج: من ذلك في سورة الإنسان، قوله تبارك وتعالى ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ وقوله ﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٢٥) وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً ﴾.

ومن سورة البقرة قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ ﴾.

ومن سورة الطور ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (٤٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴾.

ومن سورة الحجر قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾.

ومن سورة ص قوله تعالى ﴿ اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ﴾ أي اذكره واذكر صلاته وقيامه فقيامه خير قيام كما قد ذكر النبي ﷺ في شأنه.

ومن سورة المزمل قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً (٢) نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ﴾ إلى قوله: ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً ﴾. وثم آيات أُخر في سورٍ أُخر.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى ﴿ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلاً ﴾.

ج: قال صديق حسن خان في فتح البيان:

﴿ **إِنَّ هَـٰؤُلاءِ** ﴾ يعني كفار مكة ومن هو موافق لهم ﴿ **يُحِبُّونَ** ﴾ الدار ﴿ **الْعَاجِلَةَ** ﴾ وهي دار الدنيا ﴿ **وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلاً** ﴾ أي يتركون ويدعون خلفهم أو بين أيديهم وأمامهم يومًا شديدًا عسيرًا وهو القيامة، وسمي ثقيلاً لما فيه من الشدائد والأهوال، ووصفه بالثقل على المجاز لأنه من صفات الأعيان لا المعاني، ومعنى كونهم يذرونه وراءهم أنهم لا يستعدون له ولا يعبأون به، فهم كمن ينبذ الشيء وراء ظهره تهاونًا به واستخفافًا بشأنه، وإن كانوا في الحقيقة مستقبلين له وهو أمامهم.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى ﴿ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً ﴾.

ج: في ذلك وجهان لأهل العلم:

أحدهما: إذا شئنا بعثناهم يوم القيامة، وبدلناهم فأعدناهم وبعثناهم خلقًا جديدًا.

الثاني: إذا شئنا أمتناهم وأهلكناهم وأتينا بآخرين غيرهم، أطوع لنا منهم وأشد امتثالاً، كما قال تعالى ﴿ **إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا** ﴾ [النساء: ١٣٣].

وكما قال ﴿ **وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ** ﴾ [محمد: ٣٨].

وكما قال ﴿ **إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٩) وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ** ﴾ [فاطر: ١٦، ١٧].

* * *

س ـ قوله تعالى ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ إشارة إلى ماذا؟

ج: إشارة إلىٰ هذه السورة، وما ورد فيها من الآيات ففيها تذكرة لمن تذكر، وعظةٌ لمن اتعظ واعتبر، والله أعلم.

❊ ❊ ❊

س ـ وضح معنى قوله تعالى ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ يقول: يدخل ربكم من يشاء منكم في رحمته، فيتوب عليه حتىٰ يموت تائبًا من ضلالته، فيغفر له ذنوبه، ويدخله جنته ﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ يقول: الذين ظلموا أنفسهم، فماتوا علىٰ شركهم، أعدّ لهم في الآخرة عذابًا مؤلمًا موجعًا وهو عذاب جهنم، ونصب قوله ﴿وَالظَّالِمِينَ﴾ لأن الواو ظرف لأعدّ، والمعنىٰ: وأعد للظالمين عذابًا أليمًا. وذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله «وللظالمين أعدَّ لهم» بتكرير اللام، وقد تفعل العرب ذلك، وينشد لبعضهم:

أقول لها إذا سألت طلاقًا ... إلامَ تُسارعين إلى فراقي؟

ولآخر:

فأصبحن لا يسألنه عن بما به ... أصعد في غاوي الهوى أم تصوبا

بتكرير الباء، وإنما الكلام لا يسألنه عما به.

تمَّ تفسير سورة الإنسان، والحمد للَّه.

❊ ❊ ❊

سورة المرسلات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾
فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا
تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ
﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ
﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٧﴾
كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ
نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ
مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ
نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ
شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾

ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ
شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ
كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾
هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ
لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى
ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي:

المرسلات ـ عرفا ـ العاصفات عصفا ـ الناشرات نشرا ـ الفارقات فرقا ـ الملقيات ذكراً ـ عذراً أو نذراً ـ لواقع ـ طمست ـ فرجت ـ نسفت ـ أُقِّتت ـ يوم الفصل ـ ماء مهين ـ قرار ـ مكين ـ قدر معلوم ـ فقدرنا ـ كفاتا ـ رواسي ـ شامخات ـ فراتا ـ ثلاث شعب ـ لا ظليل ـ كالقصر ـ جمالات صفر ـ كيدٌ ـ فكيدون ـ هنيئًا؟

ج:

الكلمة	معناها
المرسلات	الرياح[1] ـ الملائكة .
عُرفا	متتابعة أي الرياح تأتي متتابعه يتبع بعضها بعضا أو الملائكة تُرسل بالعرف، وهو أمر الله ونهيه وهو المعروف عمومًا .
العاصفات عصفا	الرياح التي تعصف عصفًا شديداً ـ أي الرياح شديدة الهبوب .
الناشرات نشرًا	الرياح التي تنشر السحب، وتنشر المطر .
الفارقات فرقا	الملائكة تنزل بما يفرق به بين الحق والباطل الرياح تفرق السحاب .
الملقيات ذكرًا	الملائكة (بإجماع العلماء تُلقىٰ الذكر علىٰ الرسل عليهم الصلاة والسلام ـ الملقيات وحي الله إلىٰ رسله .

(١) ومنه كان رسول الله ﷺ إذا لقيه جبريل في رمضان أجود بالخير من الريح المرسلة .

الكلمـــــة	معنـــاهـــــــا
عذرًا	إعذارًا من الله لخلقه (لقطع أعذارهم فلا تكن لهم بعد ذلك حجة) .
نذرًا	إنذارًا للناس وتحذيرًا لهم مما أمامهم من المخاطر والمخاوف .
لواقع	لكائنٌ وحاصلٌ .
طمست	ذهب ضوؤها فلم يعد لها نور ولا ضوء .
فرجت	شققت وتصدعت .
نُسفت	ذُهب بها من أصلها .
أُقتت	أُجِّلت للاجتماع لوقتها يوم القيامة - أُوعدت جمعت في الوقت المحدد لجمعها يوم القيامة .
يوم الفصل	يوم القيامة يفصل الله فيه بين العباد .
ماءٍ مهين	نطفةٌ ضعيفة حقيرة في غاية الحقارة تخرج من بين الصلب والترائب .
قرار	مستقر (وهو رحم المرأة) .
مكين	يعني أن النطفة متمكنة من رحم المرأة .
قدر معلوم	زمن معلوم .
فقدَّرنا	فملكنا - قدّرنا ودبرنا ذلك الجنين (نقلناه من نطفة إلى علقة إلى مضغة)، (قدَّرنا السعادة والشقاوة) - (قدرنا الطول والقصر)، (والجمال وضده) .
كفاتًا	وعاء - بطنها للأموات وظهرها للأحياء تكفتهم أحياءً وأمواتًا يسكن فيها حيهم ويدفن فيها ميتهم[1] .

---

(١) ورد ذلك بإسنادٍ حسن عن قتادة عند الطبري .

الكلمـــــة	معنــاهـــــا
رواسي شامخات	جبــال راسيــة ثابتـه أرسىٰ الله بهـا الأرض لئـلا تميـد وتضطرب ـ مشرفات عاليات .
فراتا	عذبًا .
ذي ثلاث شعب	الدخان العظيم يرتفع يتشعب ثلاث شعب ، وذلك من شدته .
لا ظليل	لا يُظلهم من حرها ـ لا راحة فيه ولا طمأنينة .
كالقصر	القصر مفرد قصور (والمراد القصر العظيم) .
	وقيل أيضًا المراد الغليظ من الخشب كأصول النخيل وأصول الأشجار العظيمة .
جمالاتٌ صُفر	إبلٌ سود ـ إبلٌ صُفر .
	وقيل قلوس السفن تجمع فتوثق بها السفن ـ الحبال .
كيدٌ	حيلةٌ وتدبير .
فكيدون	فدبروا لي واحتالوا للهرب مني إن استطعتم .
هنيئا	لا تنغيص عليكم ، ولا ضـرر عليكم ، بل مستلذًا مستطابًا .

س ـ أين نزلت سورة المرسلات؟

ج: نزلت هذه السورة الكريمة على رسول الله ﷺ وهو في غارٍ بمنى.

ففي الصحيحين[١] من حديث عبد الله[٢] رضي الله عنه قال كنا مع النبي ﷺ في غارٍ. وقد أنزلت عليه: والمرسلات عرفًا. نأخذها من فيه رطبةً. إذ خرجت علينا حيةٌ. فقال «**اقتلوها**» فابتدرناها لنقتلها. فسبقتنا. فقال رسول الله ﷺ «**وقاها الله شركم كما وقاكم شرها**».

❊ ❊ ❊

س ـ هل ثبت أن رسول الله ﷺ قرأ بسورة المرسلات في صلاته؟

ج: نعم ثبت أن النبي ﷺ قرأ بسورة المرسلات في بعض صلاته ففي الصحيحين[٣] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إن أم الفضل سمعته وهو يقرأ ﴿**وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا**﴾ فقالت يا بني والله لقد ذكَّرتني بقراءتك هذه السورة إنها لآخر ما سمعت من رسول الله ﷺ يقرأ بها في المغرب.

❊ ❊ ❊

س ـ الواو في قوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلاتِ﴾ أين جوابه؟

ج: جواب ذلك في قوله تعالى إنما توعدون لواقع.

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه البخاري حديث (١٨٣٠) ومسلم حديث (٢٢٣٤).

(٢) عبد الله هو ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) البخاري حديث (٧٦٣) ومسلم حديث (٤٦٢).

س ـ وضح معنى قوله تعالى ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾.

ج: المعنىٰ، والله تعالىٰ أعلم، أن الذي يعدكم الله به سوف يقع ومن ذلك الوعد بيوم القيامة والحساب والثواب والعقاب وغير ذلك مما وعدكم الله به.

* * *

س ـ ما وجه الاستفهام في قوله تعالى ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾؟

ج: هذا الاستفهام للتعظيم والتفخيم والتهويل.

* * *

س ـ لماذا أُطلق على يوم القيامة يوم الفصل؟

ج: ذلك لكونه يُفصل فيه بين العباد.

* * *

س ـ لماذا قال تعالى ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾؟

ج: في هذا تعظيمٌ لذلك اليوم.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ إلى قوله تعالى ﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ والمراد منه.

ج: قوله تعالىٰ ﴿**كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ**﴾ فيه تهديد لأهل الإجرام فبعد أن ذكر الله إهلاك المتقدمين والمتأخرين لوَّح بتهديد أهل الإجرام، وأن مصيرهم كمصير سابقيهم في الانتقام منهم، كما قال تعالىٰ ﴿وما هي من الظالمين ببعيد﴾ وكما قال تعالىٰ ﴿**كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ**﴾ [الأعراف: ٤١].

قال السعدي رحمه الله:

أي: أما أهلكنا المكذبين السابقين، ثم نتبعهم بإهلاك من كذب من الآخرين. وهذه سنته السابقة واللاحقة، في كل مجرم لابد من عقابه، فلم لا تعتبرون بما ترون وتسمعون؟

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾؛ ولماذا تكررت؟

ج: إيضاحه، والله أعلم، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ بربهم بعد أن علموا أن الله خلقهم من ماءٍ مهين.

قال السعدي رحمه الله: يا حسرتهم وشدة عذابهم وسوء منقلبهم أخبرهم الله وأقسم لهم فلم يصدقوه فلذلك استحقوا العقوبة البليغة.

قلت: أما كونها تكررت فلأن النعم فيها تكررت، وكذلك تكرر التذكير بالعذاب، فأتبع كل أمرٍ بقوله ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي بذلك الأمر الذي أخبر الله به فعلىٰ سبيل المثال قال تعالىٰ ﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ ثم قال ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي بذلك الظل ذي الثلاث شعب. والله تعالىٰ أعلم.

* * *

س ـ ما المراد بالقدر المعلوم؟

ج: المراد بالقدر المعلوم: إلىٰ خروج النطفة من الرحم.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى ﴿ انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ .

ج: المعنىٰ، والله أعلم، انطلقوا إلىٰ ما كنتم به تكذبون في الدنيا انطلقوا إلىٰ العذاب الذي أُعد للكافرين، فها هو فانطلقوا إليه .

❊ ❊ ❊

س ـ لماذا قيل (كالقصر) ولم يقل (كالقصور)؟

ج: ذلك، والله أعلم، لأن القصر في معنىٰ القصور، كما قال تعالىٰ ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ أي يولون الأدبار وكقوله تعالىٰ ﴿ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ﴾ أي الأطفال .

❊ ❊ ❊

س ـ كيف قال تعالى ﴿ هَٰذَا يَوْمُ لا يَنطِقُونَ ﴾ وقد قال تعالى ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [الصافات: ٥٠]؟

ج: وجه الجمع بين هذا وذاك أن الأحداث تتنوع في ذلك اليوم تنوعًا شديداً، فوقت لا ينطقون فيه، ولا يؤذن لهم فيعتذرون، ووقت يُقبل بعضهم علىٰ بعض يتساءلون .

❊ ❊ ❊

س ـ وضح معنى قوله تعالى ﴿ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴾ .

ج: المعنىٰ ـ والله تعالىٰ أعلم ـ إن كانت لكم حيلة للفرار أو وسيلةٌ للخلاص، أو شيءٌ تكيدون به ربكم عز وجل فافعلوا .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴾ : تهديد شديد ووعيد أكيد، أي: إن

قدرتم على أن تتخلصوا من قبضتي، وتنجُوا من حكمي فافعلوا، فإنكم لا تقدرون على ذلك، كما قال تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ﴾ [الرحمن: ٣٣].

وقد قال تعالى: ﴿ولا تضرونه شيئًا﴾ [هود: ٥٧].

وفي الحديث[١] : «يا عبادي، إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني، ولن تبلغوا ضرّي فتضروني».

* * *

س - وضح معنى قوله تعالى ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلاً إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾؟

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلاً إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾ خطاب للمكذبين بيوم الدين، وأمرهم أمر تهديد ووعيد فقال تعالى: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلاً﴾، أي: مدة قليلة قريبة قصيرة، ﴿إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾، أي: [ثم تساقون] إلى نار جهنم التي تقدم ذكرها، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾، كما قال تعالى: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ ۝ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [يونس: ٦٩، ٧٠].

وقال السعدي رحمه الله:

هذا تهديد ووعيد للمكذبين، أنهم، وإن أكلوا في الدنيا، وشربوا وتمتعوا باللذات، وغفلوا عن القربات، فإنهم مجرمون، يستحقون ما يستحقه

---

(١) مسلم حديث (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي.

المجرمون، فتنقطع عنهم اللذات، وتبقى عليهم التبعات. ومن إجرامهم، أنهم إذا أمروا بالصلاة، التي هي أشرف العبادات وقيل لهم: ﴿ارْكَعُوا﴾ امتنعوا من ذلك. فأي إجرام فوق هذا؟ وأي تكذيب يزيد على هذا؟!!

❊ ❊ ❊

س - وضح معنى قوله تعالى ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾.

ج: الآية كقوله تعالى ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بعد الله وآياته يؤمنون﴾ فقوله تعالى بعده أي غير القرآن، أي إذا لم يؤمنوا بالقرآن ويصدقوا بما أخبر به مع ما فيه من التهديد والوعيد والبشارة والنذارة فبأي حديث يؤمنون.

قال القاسمي رحمه الله (في محاسن التأويل):

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ أي بعد هذا القرآن إذ كذبوا به مع وضوح برهانه وصحة دلائله في أنه حق منزلٌ من عنده تعالى، وفيه تنبيه على أنه لا حديث يساويه في الفضل أو يدانيه، فضلاً عن أن يفوقه ويعلوه فلا حديث أحق بالإيمان منه.

تم تفسير سورة المرسلات

في سؤال وجواب

ولله الحمد

❊ ❊ ❊

الفهارس العامة



١ ـ فهرست أطراف الأحاديث

حرف الهمزة

حرف الباء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

٢ـ فهرست الموضوعات